

مجلة مجمع اللغة العربية





مجلة مجمع اللغة العربية

(تصدر مرتين في السنة)

العدد السابع والثمانون

المحرم ١٤٢١ هـ / مايو ٢٠٠٠ م

" القسم الأول "

رئيس التحرير

إبراهيم التـرزي

أمين التحرير

سعد توفيق

مساعدة أمين التحرير

سميرة شعلان

محررا المجلة :

جمال عبد الحى أحمد

خالد محمد مصطفى



الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٧٣	• القاموس المغربي في رحلة ابن بطوطة للأستاذ الدكتور عبد الهادي التازي.	١	• كلمة افتتاح المؤتمر . للأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس الجمع.
٩٥	• مجمع اللغة العربية وعصر الحاسبات. للأستاذ الدكتور محمود مختار .	٤	• كلمة في افتتاح المؤتمر . للأستاذ الدكتور مفيد شهاب. وزير التعليم العالي والدولة للبحث العلمي
١٠١	• حوسبة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها الجمع في ثلاثة وستين عامًا. ١٩٣٤-١٩٩٧ للأستاذ الدكتور محمد هيثم الخياط.	٩	• بين مؤتمرين . للأستاذ إبراهيم التريزي الأمين العام للمجمع.
١١٣	• اللغة العربية ووسائل النهوض بها في مصر . للأستاذ الدكتور محمود حافظ.	٢٠	• في ظلال المجد . قصيدة للأستاذ حسن عبد الله القرشي.
١٢٧	• بين الفصيحة والدارجة . للأستاذ الدكتور عبد الله الطيب .	٢٣	• ازدهار الفصحى في القرن العشرين . للأستاذ الدكتور شوقي ضيف
		٣٧	• المعجم العربي الموحد لألفاظ الحياة العامة في العصر الحديث . للأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة .



الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٩٩	• قصيدة في رثاء الفقيذ العلامة الأستاذ محمود محمد شاكر . للأستاذ الدكتور عبد الله الطيب . • من قضايا اللغة العربية	١٣٣	• تصحيح " التصحيح " . للأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي . • العربية لسان الله تعالى نزل بها آدم عليه السلام ثم تراوحت بين التفرد والتشتيت والكيد لها . للأستاذ الدكتور على رجب .
٢٠٣	" العربية ومشاكلها في مجال المصطلحات العلمية ومناقشة حال هذه المصطلحات بين التعريب والوضع "	١٥٧	• اللغة العربية في عصر تقنيات المعلومات . للأستاذ الدكتور محمود فهمي حجازي . • اللغة العربية وتنازع الاختصاص بين أهل العلم والتعليم والإعلام . للأستاذ الدكتور كمال دسوقي
٢٢٧	• أدلة جديدة على الأصول العربية لبنية التوشيح والزجل الدورية . للأستاذ الدكتور فيدريكو كوريني	١٦٣	

بحوث ومحاضرات

كلمة الأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع في افتتاح المؤتمر *

وعقب المؤتمر مباشرة ستعقد ندوة لاتحاد مجامع اللغة العربية في الوطن العربي لمدة ثلاثة أيام ، وفتحت أبوابه - منذ العام الماضي - لانضمام الهيئات العلمية في بلداننا العربية التي ليس بها مجامع لغوية إليه، حتى لا تكون قراراته في توحيد المصطلحات العلمية ومعاجمها قاصرة عليه، بل تشاركه فيها الهيئات العلمية في البلاد العربية ، وانضمت إليه أكاديمية المملكة المغربية والمجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون ، وطلب الانضمام إليه هذا العام مكتب تنسيق التعريب بالرباط التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية وله نشاط كبير في نشر معاجم علمية .

وموضوع مؤتمر المجمع هذا العام قضايا اللغة العربية ، ومنها قضية تعلم الناشئة لها وتذليلها بحيث يتمثلون قواعدها تمثلاً قوياً، ومنذ الثلاثينيات في القرن الحاضر توضع محاولات في هذا

معالي الأستاذ الدكتور مفيد شهاب وزير التعليم العالي ووزير الدولة للبحث العلمي: الزملاء المجمعون :
السيدات والسادة :

نجتمع اليوم لافتتاح مؤتمر المجمع السنوي للنهوض باللغة العربية لغة القرآن الكريم الخالدة بخلوده ، وأقدم باسم المجمع واسمي الشكر الصادق لمعالي الأستاذ الدكتور مفيد شهاب وزير التعليم العالي ووزير الدولة للبحث العلمي لمشاركته لنا في هذا المؤتمر والتنويه بأعماله اللغوية العلمية والترحيب بأعضائه الوافدين من البلدان العربية والإسلامية والغربية ، وأحييهم باسم المجمع واسمي تحية مقرونة بعواطف الحفاوة بهم جميعاً من عاملين ومراسلين ، وإني أشكر لحضراتهم جميعاً تليبتهم الكريمة لدعوة المؤتمر وإثرائه ببحوثهم وأفكارهم العلمية القيمة ، وأتمنى لجميع الزملاء الوافدين طيب الإقامة بيننا في بلدهم الثاني مصر .

* أُلقيت هذه الكلمة في الجلسة الافتتاحية لمؤتمر الدورة الرابعة والستين يوم الاثنين ١٠ من ذي القعدة سنة ١٤١٨ هـ الموافق ٩ من

التذليل وتؤلف كتب ولا تزال مشكلة صعوباتها على الناشئة قائمة ووراء هذه القضية قضية العامية التي تراحم الفصحى في ألسنة الناشئة لاستخدامهم لها في حياتهم اليومية في التخاطب بالمنزل والشارع ، وتنبغي مقاومتها بتحفيظ الناشئة جزءا من القرآن الكريم وعنايتهم فيه بالنطق السليم مع عرض نماذج أدبية من الشعر والنثر تحببهم في الفصحى . وفي رأيي أنه ينبغي في كل بلد عربي مواجهة العامية بحركة تصحيحية ، لأن كلمات العامية في جملتها تحريف لكلمات الفصحى.

ولا يختلف اثنان في أن تعلم الناشئة المصرية للغة أجنبية ضروري لهم ، وكثرت في هذه الأيام مدارس اللغات الأجنبية ، وقلما تعنى بتعليم العربية لغة الناشئة الأم ، وقد تهملها، مما يعود على الناشئة بأضرار جسيمة ، وينبغي أن لا تصرفنا فوائد تعلم الناشئة للغة الأجنبية عما تتضمن من أضرار وهي قضية جديرة بالمناقشة .

ومما هو حريٌّ بالمناقشة قضية الإعلام بالإذاعة والتلفزة أو بالإذاعتين المسموعة

والمرئية ، وهما تستعملان العامية غالباً ، وكلنا نعرف أن لهما تأثيراً متواصلاً في الجماهير الشعبية ، فكان ينبغي أن تستعلا الفصحى المبسطة التي تكتب بها الصحف وتقرأها الملايين من الشعوب العربية صباح مساء . ويذيع التلفزيون السلاسل القصصية بالعامية ، وتقبل عليها الناشئة مساء . وينبغي أن تكون هذه السلاسل القصصية بالفصحى كما ينبغي أن يعمل الإعلام على حماية العربية لغة الثقافة والفكر والأدب والعلم والدين من كل ما يعوق تعلمها ونشرها في الأمة . وواجب أن يصبح التلفزيون أداة تثقيف وتربية بجانب أنه أداة تسلية وترفيه .

ومن قضايا اللغة العربية قضية تعريب التعليم الجامعي ، وعقد لها مجمعا مؤتمرات عدة ، ولا توجد - في عصرنا الحاضر - أمة تنازلت عن لغتها وعلمت العلوم في جامعاتها بلغة أجنبية سوى الأمة العربية إلا ما كان من سوريا الشقيقة ، فإنها علمتها بالعربية منذ نحو ثمانين عاماً . ولا يستطيع أحد أن يزعم أن لغات العالم جميعاً أكثر طواعية ومرونة لتعليم العلوم

الحديثة من اللغة العربية . ونصّ قانون تنظيم الجامعات المصرية في العشرينيات من القرن الحاضر على أن : " اللغة العربية لغة التعليم في الجامعات المصرية ما لم يقرر مجلس الجامعة في أحوال خاصة استعمال لغة أخرى . وكأن هذا الاستثناء أصبح في الكليات العلمية الجامعية القاعدة طوال سبعين عاماً بل تزيد . وإن الأمة تنتظر أن يبادر المجلس الأعلى للجامعات - في

عهد سيادتكم - إلى البدء في الخطوات الكفيلة بتعريب التعليم الجامعي بحيث لا نكاد نمضي في القرن الحادي والعشرين إلا وقد تمّ لمصر تعريب هذا التعليم . والقضية قضية بناء الصرح الحضاري للأمة في العصر الحاضر وما ينبغي أن يبذل له أساتذة الجامعات المصرية من جهود علمية خصبة مثمرة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

شوقي ضيف

رئيس المجمع

كلمة السيد الأستاذ الدكتور

مفيد شهاب

وزير التعليم العالي والدولة للبحث العلمي

بمجالاته: الأدبية ، والفكرية ، والعلمية .
أجل ، في هذا المكان المهيّب ، مجمع
الخالدين ، يجري البحث العلمي بكل
دأب وإخلاص ، وبكل صدق وتجرد ،
في سبيل تحقيق الأهداف الكبرى التي
حدّدها المجمع لنفسه منذ إنشائه ، والتي
تتمثل في الحرص على سلامة اللغة
وتيسيرها ، ثم تنميتها وتزويدها بما تحتاجه
من الألفاظ والمصطلحات ، وأخيرًا
النهوض بالمعجم العربي وجعله ملائمًا لثمن
المعجمات الحديث.

وهنا ينبغي أن نذكر بالتقدير
والعرفان أولئك الرواد العظام ، الذين كان
لهم دور هام في إنشاء مجمعكم الموقر .
ويأتي في مقدمتهم الإمام محمد عبده ،
الذي لاحظ أننا بحاجة إلى مجمع شبيه
بالأكاديمية الفرنسية ، يُعنى بتاريخ اللغة ،
ويزودها بالمصطلحات العلمية والحضارية
الجديدة ، ويضع فيها معجمات لغوية

الأستاذ الدكتور شوقي ضيف ، رئيس
مجمع اللغة ورئيس اتحاد الجامعات العربية:
الأعضاء الموقرون ، من المصريين والعرب
والمستعربين .

الضيوف الكرام :

السيدات والسادة :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

في هذا المكان المهيّب ، الذي يحرس
العربية ، ويصون الفصحى ، لا يملك
الإنسان إلا أن يشعر بالكثير من المهابة
والإجلال ، ويُحسّ بالكثير من الفخر
والاعتزاز ، وخاصة عندما يتحدث إلى
أعلام الفكر ، وفقهاء اللغة ، وأساطين
البيان .. أولئك العلماء الكبار ، الذين
يجاهدون بكل ما في طاقتهم ، من أجل
ازدهار اللغة العربية ، التي كرّمها الله تعالى
بنزول القرآن الكريم ، وحمل السنة
النبوية الشريفة ، وأصبحت مستودعًا أمينًا

للتراث العربي والإسلامي في مختلف

(*) أقيمت هذه الكلمة في الجلسة الافتتاحية لمؤتمر الدورة الرابعة والستين يوم الاثنين ١٠ من ذي القعدة سنة ١٤١٨ هـ الموافق ٩ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٨ م.

حديثه . ثم جاء من بعده ، أستاذ الجيل أحمد لطفي السيد ، الذي يعتبر الأب الحقيقي لهذا الجمع ، فلم يكتفِ بالدعوة إلى إنشائه ، وإنما أنشأ بالفعل ما يُسمى بمجمع دار الكتب سنة ١٩١٦ م ، وكانت محاولة فردية قامت على الجهود الذاتية ، أعقبها تدخل الدولة رسمياً بإنشاء هذا الجمع الجليل سنة ١٩٣٢ م.

وهنا ملاحظتان بالتأمل . الأولى أن قيام مجمع اللغة العربية إنما جاء في البداية نتيجة جهود أهلية ، تماماً كما حدث بالنسبة إلى إنشاء أول جامعة حديثة في مصر ، ثم ما لبثت الدولة أن تبنته ودعمت أركانها ، حتى أصبح بحق مؤسسة علمية رفيعة المستوى ، وحقق من النتائج أكثر مما كان متوقعاً (كمثّل حبة أنبتت سبع سنابل ، في كل سنبل مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء) . والملاحظة الثانية ، أن هذا الجمع الخالد قد أقام بنيانه ، منذ البداية ، على نظرة عالمية ، صدر فيها عن تقدير كامل للعلم في حد ذاته ، بصرف النظر عن جنسيات أصحابه ومعتقداتهم . فقد ضم - إلى

جانب أعضائه المصريين - إخوة من العلماء العرب والمستعربين ، وظل محافظاً على هذا التقليد الرائع بعد أن توسع فيه - حتى اليوم .

السيدات والسادة :

إن مجمع اللغة العربية بالقاهرة قد أصبح له تاريخه الحافل بجلال الأعمال . وهو يُعدّ بكل المقاييس إحدى مفاخرنا الوطنية والقومية ، ليس فقط بسبب ما يضمه من صفوة العلماء والباحثين ، وإنما أيضاً بما حققه من إنجازات .. فهو يتابع بكل حرص ما يُهدّد لغتنا القومية ، ويقوم على الفور بمناهضته ، ويرصد بكل وعي تطور اللغة ، باعتبارها كائناً اجتماعياً ، ويرشد مسيرتها ، حتى تظل محافظة على أصالتها من ناحية ، غير منغلقة في وجه المستحدثات الحضارية من ناحية أخرى . وإلى جانب هذا وذاك ، فإنه يعمل بكل جد واجتهاد لتمهيد السبيل أمام متعلمي العربية ، ويبذل أقصى جهده لاختيار أدق الألفاظ ، وتحديد أنسب الأساليب ، لكي تعبر عن الفكر تعبيراً دقيقاً وواضحاً .

وإن نظرة إلى مجموعة القرارات العلمية ،
التي أصدرها الجمع من خلال مؤتمراته
السابقة ، تؤكد ، بكل وضوح ، مدى
الثراء الذي أصبحت تتميز به اللغة العربية
المعاصرة ، في مصطلحات الطب
والصيدلة ، والرياضيات والهندسة ،
والزراعة وعلم الأحياء ، والنفط
والجيولوجيا ، والحاسب الآلي - إلى
جانب مصطلحات الأدب والشريعة
والفلسفة ، والحضارة .

ومما لا شك فيه أن وراء كل مصطلح
أقره مجتمع الموقر يقف جهد كبير ،
وبحث دائب ، وتقدير وقياس واجتهاد ،
صدرت من علماء ومتخصصين ، لا هم
لهم إلا النهوض بلغتنا العربية ، ولا
يشغلهم سوى الحفاظ على مكانتها
متقدمة بين سائر لغات العالم .

السادة الأعلام :

رئيس وأعضاء الجمع الموقر :

إن اللغة وسيلة التفاهم الأولى ، كما أنها
حاملة الفكر ومرآته . وإذا كنتم تعكفون
على درس اللغة والبحث في أعماقها ،
فإنكم تمهدون - في نفس الوقت - طرق

الاتصال بين الأفراد والمجتمعات ،
وتدعمون أواصر التقارب بين الأمم
والشعوب ، كما أنكم تساعدون الفكر
العربي لكي ينهض من جديد ، مشاركاً
بفعالية أكثر في الحضارة الإنسانية
المعاصرة ، ومساهماً فيها بإبداعاته التي
أضأت أمام الإنسانية طريق التقدم
والنهضة .

من هنا ، فإننا ننظر إلى عملكم بكل
التقدير والامتنان ، ونتوقع للغة العربية
على أيديكم ، وبفضل جهودكم ، المزيد
من الرفعة والازدهار .

وإذا سمحتم لي بكلمة شخصية في
هذا المقام ، فإنني أود أن أصارحكم بأني
نشأت في أسرة تقدر اللغة العربية
وتحترمها ، وتحرص في نفس الوقت على
أن تزود أبناءها باللغات الأجنبية ، لذلك
فقد كبر معي إحساسي الشديد باللغة ،
وتقديري العميق للكلمة الصائبة ،
والأسلوب الدقيق الذي يعد انعكاساً
للفكر المنهجي الصحيح .

وما أحوجنا اليوم أن نربي أبناءنا على
هذا النحو ، وأن نغرس فيهم حب

العربية، وصحة التعبير بها عما يريدون ،
من غير أن يقف التمسك باللغة القومية
حائلا دون التزود باللغات الأجنبية التي
يتواصلون بها مع ثقافات العالم المتنوعة .
ولا بد أن نعترف أننا في مواجهة
مهمة صعبة ، تقع علينا فيها مسئولية
كبيرة . فنحن مطالبون بتسهيل مناهج
تعليم اللغة العربية ، لأبنائها من ناحية ،
ولغير الناطقين بها من ناحية أخرى .
ونحن مطالبون بأن نجعل العربية لغة طيعة،
تستجيب بسرعة لمتطلبات التطور
المتلاحق ، والتقنيات المستحدثة . ونحن
مطالبون بالاستمرار في وضع المعاجم
العربية الحديثة لكل المستويات ، سواء
كانت عامة أو متخصصة ، أحادية اللغة
أو ثنائية ، حتى تكون مراجع معتمدة ،
توحد للجميع طرق استخدام اللفظ
المناسب في مكانه المناسب ، وأخيراً فإننا
مازلنا في انتظار كتاب قواعد اللغة العربية
، السهل البسيط المباشر ، الذي يأخذ بيد
متعلم اللغة ومحبها على السواء إلى
الاستخدام اللغوي الصحيح ، من أقصر
الطرق ، وفي أسرع وقت ممكن .

السادة الأعلام :

رئيس وأعضاء مجمع الخالدين:

إننا نعيش اليوم عصر الاتصالات
بكل أبعاده ، التي جعلت من العالم
الكبير قرية صغيرة ، يجري فيها تبادل
المعلومات بسرعة فائقة ، وتتواصل فيها
المجتمعات والثقافات بدون الحواجز
التقليدية القديمة، لذلك فإننا مطالبون
بمواجهة تحديات هذا العصر ، المتسارع
الخطى ، المتعدد المجالات، ومن الواضح أن
أمامنا فرصة كبيرة لجعل اللغة العربية
إحدى أهم وسائل الاتصال بين كتلة
هائلة من السكان ، في منطقة من أكثر
مناطق العالم حركة وحيوية . وقد أثبتت
اللغة العربية قدرتها الفائقة على تأكيد
ذاتها بين لغات العالم المعاصر ، منذ أن
أصبحت لغة معترفاً بها في المحافل
الدولية ، والمؤتمرات العالمية . ولم تقصر
أبداً عن التعبير بدقة وكفاءة عن كل
ما يراد منها ، سواء في المجالات
الأدبية والفكرية والعلمية ، أو في
المجالات السياسية ، والدبلوماسية ،
والاستراتيجية .

السادة الأعلام :

رئيس وأعضاء مجمع الخالدين :

يأتي مؤتمركم السنوي ، للدورة الرابعة والستين ، في وقت أصبح مجتمعنا كله مؤمنا بتطوير التعليم والبحث العلمي ، كمدخل أساسي لاقتحام قرن ميلادي جديد ، لا مكان فيه للخاملين أو الكسالى، وإنما البقاء والغلبة للمنافسين وذوي القدرة والكفاءة . ومنذ وقت مبكر، أدركت قيادتنا السياسية هذه الحقيقة ، فأعلن السيد الرئيس محمد حسني مبارك العقد الأخير من القرن العشرين عقد التعليم ، وقفزت ميزانيته من ملايين الجنيهات إلى المليارات . كما يشهد البحث العلمي لدينا طفرة نوعية ، سوف تكون لها نتائجها الملموسة في المستقبل القريب . وفي ظل هذه النهضة ،

وذلك التوجه ، فإنني أدعو كل السادة المجمعين إلى المساهمة الفعالة بفكرهم ، وعلمهم ، وخبرتهم الطويلة في تلك المسيرة التي تشهدها مصرنا الغالية .

ويطيب لي في هذا المقام ، أن أتوجه بخالص الشكر والتقدير للقائمين على تنظيم هذا المؤتمر السنوي ، الحافل ، كما أرحب أشد الترحيب بكل العلماء الأفاضل، الذين يشرفون هذا المؤتمر بحضورهم ومشاركتهم ، من مختلف الأقطار الشقيقة والصديقة ، راجيا لهم طيب الإقامة في بلدهم الثاني مصر ، التي كانت ومازالت ركيزة للعروبة ، ومنارة عالية للحضارة الإنسانية .

وفقكم الله ، وسدد على طريق الحق والخير والعلم خطاكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مفيد شهاب

وزير التعليم العالي

والدولة للبحث العلمي

بين مؤتمرين

للأستاذ إبراهيم الترزي

الأمين العام للمجمع

المؤتمر السابق :

فاق مؤتمر الدورة الجمعية السابقة كل ما سبقه من مؤتمرات في عدد جلساته ؛ فقد بلغت عدتها عشرين جلسة ، منها تسعٌ علنية : أولاها جلسة افتتاح المؤتمر ، وثلاثٌ منها لتأيين أعضاء راحلين ، أولهم: الأستاذ محمد بهجة الأثري عضو المجمع من العراق ، وألقى كلمة المجمع في تأيينه الأستاذ الدكتور يوسف عز الدين عضو المجمع المراسل من العراق ، وثانيهم: الأستاذ سعيد الأفغاني عضو المجمع من سورية ، وألقى كلمة المجمع في تأيينه الأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيس مجمع دمشق ، وعضو مجمعنا من سورية ، وثالثهم : الأستاذ الدكتور جاك بيرك عضو المجمع من فرنسا ، وألقى كلمة المجمع في تأيينه الأستاذ الدكتور عبد الهادي التازي عضو المجمع من المغرب .

واستقبل في إحدى الجلسات العلنية

العالي والبحث العلمي :

الأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس

المجمع:

الأساتذة الزملاء :

أيها السادة :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ، وبعد فيسعدني أن أوجه تحية ترحيب ، مشفوعة بالشكر ، إلى السيد الوزير ، في أول لقاء حميم له بالجمعين ، في مؤتمرهم السنوي، كما أوجه تحية ترحيب ، مشفوعة أيضا بالشكر ، إلى من لبوا دعوة مؤتمرنا ، وبخاصة من وفدوا إلينا من زملائنا العرب والمستعربين ؛ ليؤدوا واجبهم الجمعي في نظر ما أنجزه مجتمعهم من مصطلحات علمية ، وقرارات لغوية ، ومواد معجمية، وهي - بحمد الله - حفيلة جليلة ، تناهز عدتها ثلاثة آلاف !

وإليكم البيان المعهود بأعمال مجمعنا

ما بين مؤتمرين : سابق ولاحق .

(*) أُلقيت هذه الكلمة في الجلسة الافتتاحية لمؤتمر الدورة الرابعة والستين يوم الاثنين ١٠ من ذي القعدة سنة ١٤١٨ هـ الموافق ٩ من

الأستاذ الدكتور شاكر الفحام عضو
المجمع من سورية ، وألقى كلمة المجمع في
استقباله الأستاذ الدكتور شوقي ضيف
رئيس المجمع .

وخصصت أربع جلسات علنية لأربع
محاضرات عامة :

الأولى : " طه حسين المجمع " للأستاذ
الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع .

والثانية : " قضية التعريب في مصر "
للأستاذ الدكتور محمود حافظ نائب
رئيس المجمع .

والثالثة : " اللغة العربية بين الوهم وسوء
الفهم " للأستاذ الدكتور كمال بشر
عضو المجمع .

والرابعة : " اللغة العربية والإسلام والعلم "
للأستاذ الدكتور عبد الحافظ حلمي محمد
عضو المجمع .

أما الجلسات الباقية فكانت مغلقة ،
نظير المؤتمر فيها مصطلحات : الفيزيقا
والهندسية ، والجيولوجيا والرياضيات ،
والحاسبات ، والنقط ، وعلوم الأحياء ،
والطب ، والكيمياء ، والجغرافيا ،
وأصول الفقه ، والفلسفة ، والتربية ، الموسيقا .

كما نظر المؤتمر أعمال لجنة الألفاظ
والأساليب ، ولجنة الأصول ، ولجنة
اللهجات والبحوث اللغوية ، ولجنة
المعجم الكبير .

أما البحوث التي قدمها الأساتذة
الزملاء إلى المؤتمر فقد بلغت عدتها
عشرين بحثا ؛ عالج أكثرها موضوع
المؤتمر ، وهو " التعريب " ، وعالج باقيها
أمورا شتى في اللغة ، والأدب ، والتاريخ ،
وغير ذلك .

وأصدر المؤتمر - في جلسته الختامية
- توصيات ، منها ما يلي :

■ يوصي المؤتمر الحكومة المصرية
وسائر الحكومات العربية بالعمل على
تعريب التعليم العالي والجامعي ؛
إعمالا للنص الوارد في قانون
الجامعات ، حتى لا تظل جامعات الأمة
العربية هي الجامعات الوحيدة في
العالم التي تدرس العلوم بلغة أجنبية .

■ يوصي المؤتمر بالعمل على إنشاء
هيئة كبرى للترجمة ، تضع خطة محكمة
لترجمة العلوم والتكنولوجيا الغربية ، مع
ملاحظة التطورات العصرية فيهما ؛

خدمة لتعريب التعليم الجامعي ، على أن يلحق بهيئة الترجمة معهد " لتدريب طبقة من المترجمين الممتازين ، الذين يتقنون ترجمة العلوم والتكنولوجيا إلى اللغة العربية ، وترجمة التراث العربي ، وبخاصة معاني القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، إلى اللغات العالمية .

■ يوصي المؤتمر بأن تعمل مجامع اللغة العربية ، والهيئات العلمية ، في الوطن العربي ، على إصدار معاجم تضم مصطلحات مصحوبة بتعاريف محددة لها - بجانب ما أصدرته منها - في علوم العصر الحديث ؛ كعلوم الهندسة الوراثية ، والتكنولوجيا الحيوية ، والإلكترونيات ، وعلوم البيئة ، والمحيط الجوي ، والاتصالات ، والمعلومات ، وعلوم الفضاء .

■ يوصي المؤتمر بأن تعمل الحكومات العربية على الالتزام باللغة العربية الصحيحة في جميع وسائل الإعلام : المقروءة ، والمسموعة ، والمرئية ، وبخاصة مسارح الدولة ، والمسلسلات التلفزيونية والإذاعية .

■ يوصي المؤتمر بأن تعني وزارات الإعلام ، وهيئات الإذاعتين : المسموعة والمرئية بإعداد دورات تدريبية للعاملين فيها ؛ لتدريهم على الضبط الإعرابي ، والنطق السليم .

■ يؤكد المؤتمر ما سبق أن أوصى به من التزام رجال الدولة والمسؤولين في الوطن العربي أن تكون خطبهم وبياناتهم الموجهة إلى الجماهير بلغة عربية سليمة .

المجلس واللجان :

عقد المجلس ثلاثاً وثلاثين جلسة ، منها ثلاث علنية : أبْن في الأولى الأستاذ مصطفى أمين عضو الجمع ، وألقى كلمة الجمع في تأبينه الأستاذ الدكتور سليمان حزين عضو الجمع ، وأبن في الثانية الأستاذ محمود شاكر عضو الجمع ، وألقى كلمة الجمع في تأبينه الأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس الجمع ، وابن في الجلسة الثالثة الدكتور أبو شادي الروبي عضو الجمع ، وألقى كلمة الجمع في تأبينه الأستاذ الدكتور محمود حافظ نائب رئيس الجمع . وقد رزى الجمع بوفاء

الأستاذ الدكتور محمد السيد غلاب عضو
الجمع ، وسيقام حفل تأيينه عقب هذا
المؤتمر ، إن شاء الله.

ونظر المجلس في الجلسات الثلاثين
الباقية مصطلحات في الفيزيكا ، والهندسة
والرياضيات ، والمعالجة الإلكترونية ،
وعلوم الأحياء ، والنفط ، والكيمياء
والصيدلة ، والجغرافيا ، والتاريخ والآثار ،
والرياضة البدنية ، والأدب ، والشريعة ،
والفلسفة ، وعلم النفس والتربية .

كما نظر المجلس أعمال لجنة الألفاظ
والأساليب ، ولجنة الأصول ، ولجنة
اللهجات والبحوث اللغوية .

وسينظر المؤتمر ما أنجزته هذه اللجان
مع طائفة جديدة من مواد المعجم الكبير.
مطبوعات الجمع :

صدّر من مطبوعات الجمع :

■ الجزء السابع من معجم التكملة ،
والذيل والصلة ، للزبيدي ، بتحقيق
الأستاذ عبد الوهاب عوض الله رئيس
قطاع الجمع ، ومراجعة الأستاذ
مصطفى حجازي عضو الجمع .

■ أجزاء مجلة الجمع ، من الخامس
والسبعين إلى الثمانين .

■ وتحت الطبع :

■ المجموعة السابعة والثلاثون من
المصطلحات العلمية والفنية .

■ معجم القانون . الذي يصدر
كاملا ، شاملا كل فروع القانون ،
ويتضمن نحو سبعة آلاف مصطلح .

■ معجم المصطلحات الهندسية ،
ويتضمن نحو ثلاثة آلاف مصطلح .

■ الجزء الثالث من معجم
المصطلحات الطبية ، ويتضمن كذلك
نحو ثلاثة آلاف مصطلح .

■ وفي الطريق إلى المطبعة :

■ المجموعتان : الثامنة والثلاثون ،
والتاسعة والثلاثون من مجموعة
المصطلحات .

■ ومعجم المصطلحات الموسيقية .

■ والجزءان : الرابع والخامس من
المعجم الكبير .

■ أجزاء المجلة : من الحادي والثمانين
إلى الثالث والثمانين .

أيها السادة :

يشهد العالم تقدماً هائلاً ؛ بل قفزات باهرة ، في الاتصالات والمعلومات ، بما يتيح العلم من مخترعات تتطور تطوراً متلاحقاً في كل مجال ، ومن ذلك ما يسمى " ثورة المعلومات " ، ودخل الحاسب الآلي - أو الحاسوب - كل معهد علمي ، ومؤسسة ، ونادٍ ، بل كل بيت ، ومحل تجاري صغير .

ولم يكن الجمع بعيداً عن ذلك ؛ فقد أنشأ - منذ سنوات - مركزاً للحاسبات ، بإشراف شيخ جليل من علمائنا ، جمع إلى خبرة الشيوخ حماسة الشباب ، هو الأستاذ الدكتور محمود مختار ، مقرر لجنة المعالجة الإلكترونية بالجمع ، وقد أشرف كذلك على إنشاء قاعة للحاسبات ذات أجهزة متطورة متكاملة ، كان الفضل في تزويد الجمع بها للأستاذ الدكتور محمد هيثم الخياط عضو الجمع المراسل من سورية ، ونائب الرئيس الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية ؛ التي استهداها - مشكوراً ومشكوراً - هذه الأجهزة للمجمع .

أيها السادة :

لقد أخذ الجمع يفتح صومعته لجمهور المثقفين ، ويوثق اتصاله المباشر بهم ؛ فأنشأ لجنة ثقافية برئاسة الأستاذ الدكتور كمال بشر ، استهلت نشاطها بندوة عن الشاعر اللغوي الأديب الأستاذ علي الجارم عضو الجمع الراحل ، ثم عقدت ندوة أخرى عاجلت فيها " قضايا الشعر المعاصر " .

ولا يفوتني التنويه بتقدير عالمي للأستاذ الدكتور محمود حافظ نائب رئيس الجمع ، الذي اختير عضواً بهيئة المستشارين بالاتحاد الدولي لتاريخ العلوم ، في بلجيكا .

أيها السادة :

اللغات في حاجة دائمة إلى معاودة النظر ، حيناً بعد حين ؛ فهي في حركة دائمة من النمو ، والتطور ، والتجديد .

واللغات في هذا كله تحتاج إلى ما يحفظ عليها صحتها وعافيتها ، وطب اللغات لا ينهض به إلى الجامع ، والنبغاء الأكفاء أولو العزم من الباحثين .

وريادة اللغات إلى الآفاق الجديدة في كل علم ، وأدب ، وفن ، لا يتولاها كذلك إلى الجامع ، وهؤلاء النبغاء الأكفاء.

فالنمو اللغوي حين ينشأ عن طبيعة اللغة يجدد شبابها وحيويتها ؛ لأنه يزيد لها قدرة على العطاء ، والتفاعل مع الحياة ؛ فهو يستنهض في اللغة إمكاناتها الاشتقاقية، وطاقاتها البيانية ؛ للتعبير عن الناس ، وما ينشئون من علم ، وأدب ، وفن ، وما يصنعون من حضارة متجددة، وما يأخذون به أنفسهم من حياة تتطور في مجتمعاتهم، على امتداد الزمان والمكان. هذا هو النمو اللغوي الصحي ؛ لأنه ينشأ عن طبيعة اللغة نفسها .

أما النمو اللغوي العشوائي فإنه يصيب اللغة بالترهل والغثاثة ، والإعياء والفهاهة ؛ لأنه ينشأ في اللغة عن دنخيل يتسلل إليها ، وغريب يسطو عليها ، وهجين يندس في ألفاظها وأساليبها ، دون رقيب أو حسيب، أو ضابط أو رابط، من الجامع ، وعلماء اللغة والاصطلاح .

وقد يظن البعض أن هذا النمو اللغوي العشوائي يزيد اللغة غنى ، وذلك ظن فطير أهوج ، بل وهم مكذوب ؛ فهذا النمو اللغوي العشوائي تضخم لغوي غير حميد ، نسأل الله تعالى أن يعيد لغتنا منه ، وكما قال الشاعر الحكيم أبو الطيب المتنبي لسيف الدولة :

أعيذها نظرات منك صادقة

أن تحسب الشخم فيمن شحمه ورم وطب اللغات الذي يخلصها من هذا الداء والوباء لا يحذقه إلا كل نطاسي من جهابذة اللغة والعلم ، في مجامعهم وجامعاتهم .

واللغات يداهمها هذا الوباء إذا أصاب شعوبها الضعف والخمول ، كما حدث لبلداننا العربية والإسلامية ؛ حين استكانت إلى حياة الرغد والرفاهية ، ومزقتها الأطماع والأهواء ، بعد أن كانت راياتها ترفرف شامخة فوق ربوع الأندلس ، ممتدة إلى تخوم الصين والروم ، وكانت حضارتها سيدة الحضارات، ولغتها العربية سيدة اللغات، استوعبت كل العلوم، وطورتها، وابتكرت فيها ، فأقبل

الأوروبيون وغيرهم على تعلم العربية، لغة العلم والحضارة ، وكان الأوروبيون يفاخرون بتعلم العربية، وبالرحلة إلى العلماء العرب والمسلمين ؛ ليأخذوا عنهم علومهم ، وينقلوها إلى بلادهم ، حيث قامت النهضة الأوربية على أسس من علوم العرب وحضارتهم . ثم أدرك العرب داء الترف، وغرقوا في ملذاتهم ، وعصفت بهم الفرقة، فتداعت حضارتهم ، ولم تقو لغتهم على مقاومة الدخيل من سائر اللغات .

ويستشري هذا الوباء اللغوي كذلك حين تقع الشعوب فريسة غزو واحتلال ؛ فالغازي المحتل يعمل جاهداً على أن يغزو كل مقومات الشعب الذي يقع في قبضته، ومن أهم هذه المقومات اللغة ؛ لأنها لسان فكره وثقافته ، وبالهيمنة عليهما يصبح الغزو غزواً للعقول والنفوس ، فيضمن تبعيتها له ، حتى بعد رحيل جيوشه ، وإنهاء غزوه العسكري ، وما زالت هذه الظاهرة اللغوية تطالعنا في كثير من بلدان آسيا وإفريقيا . وكم عانت بلادنا العربية من ذلك حين تعرضت لغتنا لغزوات من

التركية ، والإنجليزية والفرنسية ، والإيطالية ، وأتاح ذلك الفرصة للغة العامية ؛ فذاهمت حمى الفصحى المستباح، كما شد من أزر دعاة العامية !

وقد استفز ذلك همم الغير من علماء العربية وأدبائها ومفكراتها ، فهبوا متصدين له ، داعين إلى إنشاء الجامعات اللغوية ؛ ليكون أعضاؤها سدنة للغة كتاب الله الكريم ، يحمون حماها ، ويأخذون بحقها في كل مجال أدبي وفني ، وعلمي وإعلامي ، وثقافي وحضاري ، واضعين ضوابط لما يستخدمونه من مصطلحات أجنبية عالمية ، حتى تزداد لغتنا ثراءً وعطاءً ، وقدرة على التعبير عن كل جديد في العلم والحضارة ، وبذلك تصبح مؤهلة لأن تكون لغة علم عالمية ، وتحقق أمل أمتنا في تعريب التعليم !
أيها السادة :

الموضوع المقترح للبحث في مؤتمر هذه الدورة الجمعية (الرابعة والستين) هو :
"قضايا اللغة العربية"، وهو موضوع عظيم الخطر، بليغ الأثر ، في حياتنا العلمية ، والتعليمية ، والإعلامية ، والثقافية .

وبجمعنا - منذ نشأته - لم يغفل معالجة قضايا اللغة العربية ؛ فقد عكف على فحصها وعلاجها ، على امتداد دوراته الجمعية .

فموقفنا اليوم من موضوع مؤتمر هذه الدورة إنما هو " عود على بدء " ، ومراجعة لما سبق أن عاجله بجمعنا من قضايا اللغة العربية ؛ حتى لا يظن ظان أن بجمعنا لم ينتبه لقضايا لغتنا إلا اليوم ، وبجمعنا مبتلى بالظنون والافتقادات ، التي يرمى بها من كل جانب ، وبخاصة من إعلامنا الذي لو اقترب من الجمع ، وتعرف على نشاطه لقال كلمة إنصاف تقدره حق قدره .

فقد أخذ بجمعنا في دوراته الأولى - منذ أكثر من ستين عاماً - يعالج قضايا: الدخيل ، والمولد ، والتعريب ، والنحت ، والاشتقاق من أسماء الأعيان العربية والأجنبية ، كما عاجل بجمعنا قضية وضع المصطلحات العلمية والفنية والحرفية ، وقضية توحيد النطق بالحروف العربية ، وقضية اللهجات العربية : قديمها وحديثها ، وقضية ألفاظ الحياة العامة ،

التي سميت فيما بعد " ألفاظ الحضارة " ، وقد أنشأ الجمع لجنة خاصة بها ؛ لعظيم أهميتها ، واتصالها الوثيق بحياة الناس في بيوتهم ، وأسواقهم ، ونواديهم ، وحرفهم ، وغير ذلك من شؤون حياة مجتمعنا العربي المعاصر .

كما عاجل بجمعنا قضايا: إحياء التراث العربي ، والتأليف المعجمي : قديماً وحديثاً ، ولغة العلم ، ولغة الإعلام ، ولغة الصحافة ، والفصحى والعامية ، والعامي الفصيح ، والأعلام الجغرافية ، والتعريب . أما قضية تيسير النحو - وبخاصة النحو التعليمي - فقد ظل الجمع يعاود علاجها على امتداد ثلاثين عاماً ؛ ففي أوائل الأربعينيات بدأت قضية النحو التعليمي تستنهض اهتمام الجمعيين ، وتلح عليهم ، حين عمت الشكوى من تعليم النحو لدى الناشئة ومعلميهم ؛ فدفعت وزارة المعارف - حينذاك - هذه القضية الكبرى إلى ساحة بجمعنا ، لنظرها ، والفصل فيها .

والحق أن الشكوى من النحو ليست وليدة هذا العصر ؛ فهي قديمة قدم النحو

نفسه ، فالنحو بين علوم اللغة له دولة
وصولة ، حتى صار سلطانه مهاباً لدى
المتحدثين والكاتبين ، بل لقد هابه كثير
من أرباب الفصاحة والبيان ، فهذا الخليفة
الأموي " عبد الملك بن مروان " المعروف
بطلاقة لسانه وبلاغته - حين قيل له :
لقد عجل إليك الشيب يا أمير المؤمنين!..
قال: " لقد شيبني ارتقاء المنابر وخوف
اللحن ! " .

وهذا الكسائي شيخ نحاة الكوفة يقول :
إنما النحو قياس يتبع

وبه في كل علم ينتفع

فإذا ما أبصر النحو الفتى

مر في النطق مرّاً واتسع

واتقاه كل من جالسه

من جليس ناطق أو مستمع

وإذا لم يبصر النحو الفتى

هاب أن ينطق جبناً وانقمع

ولكن النحاة حين أخذوا يوغلون في

قواعد النحو ، ويبالغون في تفريعاتها ،

وعملها ، ويكثرون القول في الصرف

ومصطلحاته، حتى بدا كلامهم كأنه

رطانة أعجمية في أسماع بعض العرب ؛

لأنهم لم يكونوا قد ألفوه بعد في القرن
الأول من الهجرة ، وقد أثار هذا غضب "
أبي مسلم " مؤدب " عبد الملك بن مروان " ،
واستنكره ، فقال هذا الشعر :

قد كان أخذهم في النحو يعجبني

حتى تعاطوا كلام الزنج والروم

لما سمعت كلاماً لست أعرفه

كأنه زجل الغربان والبوم

تركت نحوهم ، والله يعصمني

من التقحم في تلك الجزائيم

وكتب رفيع بن سلمة إلى أبي عثمان بكر

المازني - عالم النحو المشهور - يشكو

إليه ما يعانيه من الإضمار في النحو ،

وبخاصة إضمار " أن " بعد الفاء والواو

المقترنتين بالمضارع ، فقال :

تفكرت في النحو حتى مللت

واتعبت نفسي به والبدن

وأتعبت بكرة واصحابه

بطول المسائل في كل فن

وكنت بظاهره عالماً

وكنت بباطنه ذا فطن

خلا أن باباً - عليه العفاء -

للفاء يا ليته لم يكن

وللواو باب إلى جنبه

من المقت أحسبه قد لعن

أجيبوا لما قيل هذا كذا

على النصب؛ قالوا : بإضمار "أن"

لقد خفت يا بكر من طول ما

أفكر في أمر " أن " أن أجن

أما عمّار الكلبي فقد أخذ ينعى على

النُّحاة ولَعَهُم بالتفنُّن في الإعراب ،

وضَرَبَ أمثلةً أخذوا يتداولونها ؛ كقولهم:

"ضَرَبَ عبد الله زيدًا " ، فقال يشكو بهذا

الشعر :

ماذا لقيت من المستعربين ومن

قياس نحوهم هذا الذي ابتدعوا

إن قلت إقافية بكرًا يكون لها

معنى يخالف ما قاسوا، وما صنعوا

قالوا : لَحَنْتَ ؛ فهذا الحرفُ منخفضٌ

وذاك نَصْبٌ ، وهذا ليس يرتفعُ

وحرَّشوا بين " عبد الله " في سَفَه

وبين " زيد " ، وطال الضَّرْبُ والوَجَعُ

بل إن بعض كبار النحاة ضاق بالإغراق

في التأويل الإعرابي ، كقولهم في المثال

المشهور الذي لا يكاد يخلو منه كتابُ

نحو: " أكلت السمكة حتى رأسها "

بنصب رأسها ورفعها وجرّها ، على تأويل

"حتى" في كل حال ، حتى قال شيخٌ من

شيوخ النحاة وهو " الفراء " : "سأموت

وفي نفسي شيءٌ من حتى " !

وقد شهدت هذه القاعة التي نحن فيها

الآن شيخًا من شيوخ اللغة في عصرنا هو

الأستاذ كمال بشر الذي يلقي محاضرة

في مؤتمراتنا السابق ، جعل عنوانها كأنه

صيحة احتجاج يوجهها إلى الإعرابيين من

النُّحاة فقال : " النحو ليس الإعراب ،

والإعراب ليس النحو " !

ومن قبل في الأندلس ، منذ ثمانية

قرون ، كتب " ابن مضاء " كتابه

المشهور: " الردُّ على النُّحاة " الذي حققه

أستاذنا الدكتور شوقي ضيف ، في صدر

شبابه ، وقد ظلَّ الدكتور شوقي معنيًا

بقضية " تيسير النحو " ، وقَدَّمَ - منذ

رُبع قرن - مشروعًا لتيسير النحو ، حظي

بتقدير المجلس والمؤتمر ، وصَدَرَ في كُتَيْب

تداوله الباحثون في شؤون النحو . ثم

أصدر الأستاذ الدكتور حسين كامل بهاء

الدين وزير التربية والتعليم قرارًا بتأليف

لجنة من الجمعيين ورجال التعليم ، برئاسة

الأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس
المجمع، لوضع أسس النحو التعليمي في
مراحل التعليم المدرسي .

في ختام كلمتي أجدد الترحيب بكم ،
والشكر لكم .

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

إبراهيم العززي

الأمين العام للمجمع اللغة العربية

في ظلال المجد قصيدة

للأستاذ حسن عبد الله القرشي

مرحبا يا صانعا أمجادها	وثبة الفكر لدى العام الجديد
لفة القرآن في خير مديد	تلقانا بعيد بعد عيد
والذي شيد في أرباضنا	تلقانا رؤى علوية
فمما تبقى إلى يوم الخلود	ليس يثني ومضها أعتى السدود
وجلا الضاد عروسا حلوة	تلقانا وفي مجمعنا
تطي جلوتها عذب النشيد	عرس الأعراس في اليوم السعيد
يزهو التاريخ في أفيائها	مجمع تهدي النجالات له
وترى الآداب أفوان عقود	من كرام مثل العزة رصيد
والسنا ينبع من واحاتها	عاش للأجيال مجلو السنا
وينادي صيبا هل من زيد ؟	فجنوا من حقله حب الحصيد
* * *	كم توافي رهطه كي يهبوا
يا بني يعرب والخطب دنا	فأرزا لحكمة أثمار خلود
وصقور البقي تزهو بالحشود	يتبارون على ساحته
كلهم قد شط في إجرامه	بجليل فاره المعنى فريد
يضمّر الغدر بعزم من حديد	همهم والمجد يعلي شأنهم
فلنقم وحدة شعب صامد	وهوهم ، وهو مقياس السعود
تتحدى كل جبار عنيد	أن يروا مجمعهم فوق الذرى
* * *	علما يعلو على كل صعيد
راية العرب شرائع مدة	فهو أخرى بجهود فذة
خالق الأكوان ذو البطش الشديد	تتحرى للجنى أزهى الورود
	* * *

هي لن تخشى انحراراً أبداً
منذ (بدر) وهي زلزال رعود
عقدت للنصر دوماً موثقاً
واحتوى الموثق إقرار العهود
إن يكن جار زمان بحصى
فغداً يحفل بالدر النصيد
والدين كر ، وفر ولقده
يتداني النصر من حبل الوريد
لم يطل يأسى ولا دام أسى
صنعة الأبطال تحطيم القيود
والعدى مهما تبادوا بالأفرى
فسيلقون بأعماق اللحد
وديار العرب مهما اغتربت
فقصاراها إلى عود حميد
قدم الطاغى ستلقى قطعها
ليس هذا زمن الباغي المريد
لوحوا بالسلم فاهزت له
أنفس حالته يدنو للمريد
فبدا أكذوبة ممقوته
بسوى حرب حياة ووجود
يسترد الحر فيها أرضه
فإذا بالخصم كالكلب الطريد
بعد ما عاش كوحش طاشر

عن نيوب هي كالسم المبيد
ويخال (القدس) ملكاً خالصاً خالصاً
يحتويه دون حق وشهود
قد رضعنا الخلف مرّاً علقماً
كشراب ، سائغ الطعم برود
وتعادينا عداء أحمقا
ليس يهوداه لنا غير اليهود
وهو لولا الخلف فينا والذي
نشر الأفلاك في الأفق البعيد
كانت الدنيا لنا مزرعة
وبنو صهيون أشباه العبيد
سألوني إننا في رقبة
ما الذي أبدعت من حالي النشيد
جاءك الغيث لم تمطر لنا
ما يلد الصبب ذا القلب العميد
قلت إن الشعر في مشغلة
عن رحيق الحب في زاهي الوجود
فأسألوني عن دم في وطني
أيجف الدم عن صدر الشهيد
ودعوا الشعر حزيناً إنني
لا أجيب اليوم عن (بيت القصيد)
غير أني في غد قد أشتري
لي شباة إرنان بعيد

حامل الراية أطلق للذرى

راية للنبشمين الأسور

واراني الأقدام عن آبائهم

من رعوة ثم عن خير جدود

راية الأعلام أخرى بالعلا

في يدي قرم وفي كف عضيد

(خالد) واحدها يوم الوغى

والفتى (المقداد) ذو الرأي السديد

والآتي كم قد سحت أرواحهم

في سبيل الله تهفؤ للمزيد

أين منا المثل العليا التي

عاش فيها المجد نبراس الجنود ؟

لم تكن تخشى حمماً أو ردى

كم لدى الجنة من روح شهيد

وحمانا ذمة في دمننا

ليس بحمية سوى عالي الجهود

شعلة المجد سرت من روحنا

ليس يجيا الضوء من غير وقود

حسن عبد الله القرشي

عضو الجمع المراسل

من السعودية

ازدهار الفصحى في القرن العشرين

للأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس الجمع

الزملاء الجمعيون ، سيداتي وسادتي :

الفصحى لغة عريقة تتعمق في التاريخ إذ نشأت منذ نحو ستة عشر قرناً ، وهي -بذلك- أقدم اللغات الحية زمناً وأطولها حياة ، تولدت من لهجة قريش وارتفعت إلى منزلة لغة أدبية لعرب الجزيرة العربية في الجاهلية ، وإنما اختارت قبائل الجزيرة لهجة مكة القرشية لتكون لغة أدبية عامة لها لأن مكة كانت مهوى أفئدتهم بسبب مركزها الديني الروحي والاقتصادي المادي فكانت حارسة الكعبة بيت عبادتهم ، وكانت قوافلها التجارية تجوب الجزيرة شمالاً وجنوباً وشرقاً ، وكان العرب يجتمعون بها في أعيادهم الدينية وفي الأسواق المحيطة بمكة ، وبخاصة في عكاظ ينشدون فيها أشعارهم ، ويحتكمون إلى النقاد لإعلان أسماء المتفوقين فيهم . وكانت القبائل العربية ترى الحبشة تسيطر على اليمن ثم الفرس ، ويسيطر الروم على القبائل في الشمال الغربي للجزيرة ،

والفرس على القبائل في الحيرة والشمال الشرقي ، فتجمعت قلوبهم حول مكة التي لم تدن يوماً لسلطان أجنبي فكانت رمز استقلالهم وعاصمة ديانتهم الوثنية ، وكان طبعاً أن يشعروا بسمو لهجتها ، وأن يتخذوها لغتهم الأدبية التي يصوغون فيها أدعيتهم الدينية وأشعارهم . ونوه أسلافنا بجمال اللهجة القرشية الفصحى وتفوقها على اللهجات العربية من مثل قول أحمد بن فارس : "إن قريشاً أفصح العرب ألسنة وأصفاهم لغة " ويقول أبو نصر الفارابي : "كانت قريش أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق وأحسنها مسموعاً وأبينها إبانة عما في النفس " .

وحظيت هذه الفصحى القرشية بنزول القرآن الكريم فيها وما صب بها من إشاعات بلاغية وربانية بحيث لم يتح لأمة من الأمم كتاب يماثله في روعة البيان، وظن الأسلاف أن هذه الروعة

وحدها مدار إعجازه وحدها ووقفوا عندها يصورونها في مباحث قيمة ، وفاتهم من وجوه إعجازه أنه ينقل من يتلوه ومن سمعه إلى حضور رباني يملك عليه له وقلبه، ويستولي على كيانه ، فيستسلم للرسول ويعلن إليه إسلامه على نحو ما كان يحدث للمسلمين القرشيين الأولين وما حدث لعمر بن الخطاب ، فقد كان كافراً وملاًه خاله أبو جهل أكبر أعداء الرسول حنقاً عليه وغضباً لتفريقه الجماعة في مكة، وأقسم لخاله ليقتلنه وتقلد سيفه، وسار في شوارع مكة وفيها علم أن أخته فاطمة وزوجها سعيد بن زيد أسلما ولم يكن يعلم، وسمعهما يتلوان القرآن قبل دخوله البيت فدخل غاضباً في عنف ، وضرب أخته فقالت له: قد أسلمنا فاصنع ما بدالك . يقول عمر: - كما في عيون الأثر - فرأيت كتاباً في ناحية من البيت، فقلت لأختي أعطني ، ولم أزل بها حتى أعطته لي ، فإذا فيه سورة الحديد ، وقرأت في أولها (بسم الله الرحمن الرحيم) فدعرت ورميت الصحيفة من يدي ثم رجعتُ إلى نفسي فإذا فيها : (سبح لله

ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) فكلما مررت باسم من أسماء الله دُعرت ثم ترجع إلي نفسي حتى بلغت الآية : (آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) وبلغتُ إلى قوله : (إن كنتم مؤمنين) فقلت أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . ووضع عمر سيفه في غمده وذهب مهرولاً إلى رسول الله وأعلن إليه إسلامه . وفي هذا الخبر ما يصور بدقة ما أقوله من أن القرآن الكريم يمسك بزمام تاليه وسامعه ، بحيث يستسلم لله ورسوله، وهو إعجاز عبر عنه عمر بقوله إنه كان يذعر كلما تلا اسماً من أسماء الله .

وسمع الوليد بن المغيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو يتلو بعض آيات من القرآن وكان من ألد أعدائه ، فتوجه إلى نفر من قريش قائلاً: "والله لقد سمعت من محمد كلاماً، ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن وإن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة " . وقد شعر بوضوح أن آيات القرآن تباين كلام الإنس من شعرائهم الفصحاء كما تُباين كلام الجن الذي كان

يزعم كُهانهم أنهم ينطقونهم به ؛ فهو ليس شعراً موزوناً مما كان ينطق به شعراؤهم ، ولا سجعا مقفىً مما كان ينطق به كهانهم. إنه نمط جديد باهر يؤثر في النفوس والقلوب.

وقد عملت هذه الفصحى القرآنية على تقريب ما بينها وبين اللهجات القبلية إذ كان العرب يتلونه آناء الليل وأطراف النهار ، وتغلغلت هذه الفصحى باليمن في الإنحاء الداخلية التي كانت لا تزال تتكلم اللغة الحميرية . ولما فُتحت البلاد الإسلامية أخذت هذه الفصحى تسود شرقاً وغرباً إذ كانت تلاوة القرآن فرضاً مكتوباً على كل مسلم، ويقول الله تعالى: (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشةً ضنكا ونحشره يومَ القيامةِ أعمى قال ربِّ لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تُنسى) وبذلك تحول المسلمون في جميع أقطار البلاد الإسلامية إلى حفظه للقرآن يتلوه كبيرهم وصغيرهم ، حتى من سكنوا منهم في رعوس الجبال وفي الصحارى النائية مما جعل المسلمين في كل بقاع

الأرض ينطبعون بطوابع الفصحى القرآنية.

وتتميز فصحى القرآن بأسلوبهم الرصين مع الجزالة والعدوبة وقربها من الأفهام حتى تلمس شغاف القلوب ، أسلوب واضح يلذ الأذان حين تسمع إليه والأفواه حين تنطق به والأفئدة حين تصغى له ، وقد استطاع أن يفتح قلوب الشعوب حين فتح العرب الأمصار من أواسط آسيا إلى المحيط الأطلنطي فإذا جميعها تهجر لغاتها وتزایل ألسنتها ، وتحل فيها جميعاً لغته الصافية الشفافة بألفاظها الناصعة المستحسنة في الأذان وعلى الأفواه.

وهذا الأسلوب الرائع هو الذي أقام عمود العربية وحافظ على مقوماتها وأوضاعها في العالم العربي الكبير إلى اليوم، وكان المظنون حين حملت العربية في العصر العباسي علوم الأوائل السابقين لها جميعاً والفلسفة اليونانية أن تحدث تغييراتٌ وانحرافات في أوضاع العربية ، ولم تحدث، إذ وسعتها العربية باشتقاقاتها وصيغها الكثيرة، وتمثلت كل ما نقل إليها

من الحضارات السابقة : الهندية والفارسية .
واليونانية مبن على علم وفكر وفلسفة ،
وأضيفت في جميع المجالات الفلسفية
والعلمية . إضافات باهرة جعلتها تنفرد
بقيادة العالم علمياً وفلسفياً وحضارياً .
وأخذت تذيب علومها وفلسفتها في أوروبا
وأقطار العالم لمدة ستة قرون من القرن
الثاني الهجري / الثامن الميلادي إلى القرن
الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي
ملأت فيها الأرض علماً وأدباً وفلسفة .

وحدثت خطوب وأحداث كثيرة .
ماتت لغات كانت ناطقة ومنتشرة مثل
اللغتين اليونانية العتيقة واللاتينية ، وبليت
منها فصيحى العربية . بلاء كثيراً جعل
حضارة الأمة العربية وما يُطوى فيها من
العلوم والفلسفة تكاد تتوقف . ويصيرها
عُطيلٌ شديد ، غير أنها لم تمت . وظل
لواؤها مرفوعاً طوال عدة قرون . فحدثت
فيها وردت إلى أن وصلت إلى القرن
التاسع عشر الميلادي بعد كل ما أصابها
مين الكوارث والخطوب سلبية دون أن
يعتريها شيء من الفساد أو الاحتلال .
وكانت مصر قد بدأت نهضة علمية .

فضممتها إلى صدرها وأخذت تنقل إليها
العلوم الحديث للغرب ، وأدقها أداء دقيقاً ،
وسرعان ما كوّنت مصر منها لغة علمية
في القرن الماضي انتفعت بها جاراتها
العربية ، وعربت - مع العلوم الغربية -
القانون الفرنسي وعلم الاقتصاد ويسميه
العرب علم المعاش . ولم تلبث مصر في
العقود الأخيرة من القرن الماضي أن بدأت
ترجمة الآداب الأوروبية وما ينطوي فيها
من الأعمال القصصية والمسرحية .
وكانت فصيحى الشعر في هذه العقود قد
تخلصت - على يد البارودي - من أغلال
السديع الثقيلة ومن أساليبه الركيكة النعثة
وأصبح الشعر يصور حياة الشاعر
ومشاعره وحياة أمته مع استعارته من
أسلافه . إظهارهم الشعري ، غير أنه يملؤه
ببروحه وبشخصيته وبألمته وأحداثها
السياسية . مما اختلف عليه من أيام نعيم
وأيام بؤس ونفسي في سرته .

ونمضي إلى القرن العشرين . فيختلف
حافظ وشوقي البارودي ، أما حافظ فشمل
إلى قيثارة الفصحى وتراً وطنياً ثلثاً . ملأ به
قلوب الشعب المصري حماسة وصلابة

لمنازلة الإنجليز المحتلين لدياره ، وهو فيه
يعد سابقاً لشعراء مصر والبلاد العربية ،
وشدَّ مع هذا الوتر وترا عربيا وكان أو ما
وقع فيه من نغم نداء قويا للمصريين
والعرب لإغاثة الفصحى ضد أعدائها
المستعمرين إذ هاجمها قاض إنجليزي
بمحكمة الاستئناف الأهلية يسمى ويلمور
ألف كتابا عن لغة أهل القاهرة سنة
١٩٠٢ دعا فيه لاتخاذ العامية لغة للآداب
والعلم في مصر ، وأحدث الكتاب هِزَّةً
حادَّةً في مصر والبلاد العربية . وردَّ عليه
ردا عنيفا حماة الفصحى وفي مقدمتهم
حافظ إبراهيم إذ نشر ضد دعوته
قصيدته: "اللغة العربية تنعي حظها بين
أهلها " مصوبا أبياتها - كالسهام - إلى
دعوته فقضت عليها قضاء مبرما وفيها
يقول على لسان الفصحى :

وسعتُ كتاب الله لفظاً وغاية

وما ضقت عن آيٍ به وعطيات

فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة

وتنسيق أسماء لمخترعات

أنا البحر في أحشائه الدر كامن

فهل سألوا الغواص عن صدقاتي

وحافظ يرد في هذه الأبيات على ما
كان يردده أعداء الفصحى من أنها لا
تحمل مصطلحات العلوم الغربية
ومخترعات الغرب، ويقول إن هذا ليس
من قصور ذاتي فيها إنما هو قصور في
أهلها ، ويقول حافظ إنه يكفيها فخراً أنها
وسعت كتاب الله وآياته المحكمة مشيراً
بذلك إلى أن دعوة ويلمور باستخدام
العامية تحمل في طياتها دعوة إلى القطيعة
بيننا وبين القرآن الذي يضمه المصريون
إلى صدورهم وقلوبهم وهدمت القصيدة
دعوة ويلمور من أساسها ، واضطر إلى
مغادرة مصر في غير رجعة .

ويقف حافظ مع سورية ولبنان ضد
الاستعمار ، مسلطاً عليه نارا حامية من
أشعاره ويستشعر بقوة ما بين مصر
والبلاد العربية الشقيقة من أخوة ، وينتصر
دائماً للشيخ محمد عبده فيما كان يأخذ
به نفسه من الإصلاح الديني ، ويشدُّ إلى
قيثارة الفصحى وترا جديدا سبق به
معاصريه من شعراء العربية غير منازع ،
وأقصد وتر الشعر الاجتماعي الذي يصور
فيه عللنا الاجتماعية والأخلاقية ، مع

الدعوة إلى البر بالفقراء والبؤساء ، وحث
الأثرياء على بذل أموالهم للملاجئ
والجمعيات الخيرية.

وشدّ شوقي إلى قيثارة الفصحى وترّا
اجتماعيًا بديعاً كما شدّ إليها وترّا وطنيًا
رائعاً اشترك فيهما الوطني والاجتماعي مع
حافظ، وله فيهما أبيات نادرة مثل قوله:
وطني لو شُغِلْتُ بالخلد عنه

نازعتني إليه في الخلد نفسي

فحتى لو كان ينعم في أعطاف الخلد
وجنابات الجنان لن ينساه ولن يغرب عن
خياله ، فمصر معبودته بترائها العبق .
وشدّ في قيثارة الفصحى وترّا عريباً في
غاية الروعة ، وقصائده في دمشق قلما
تجد دمشقياً لا يحفظها ولا يتغنى بأبياتها ،
من ذلك قصيدته القافية التي نظمها حين
صوّب الفرنسيون عليها مدافعهم ، وفيها
يدعو السوريين إلى استمرار الثورة على
الفرنسيين وبذل دمائهم وأرواحهم في
سبيل ما يريدون من الحرية والاستقلال ،
يقول :

وللحرية الحمراء بابٌ

بكل يدٍ مضرجةٍ يُدَقُّ

وشدّ إلى قيثارة الفصحى وترّا تاريخياً
تغنى فيه بتاريخ مصر وأمجادها الفرعونية
غناء حاراً ، وله في هذا التاريخ قصائد
فريدة مثل قصيدته في أبي الهول وقصيدته
في اكتشاف قبر توت عنخ آمون
وقصيدته: النيل وفيها صور تاريخ الفراعنة
وأمجادهم الحضارية العريقة ، وذكر تابوت
موسى وقصة يوسف وإخوته ومريم
وعيسى ونزول الإسلام في مصر
واستضاءتها بأنواره مجسماً في ذلك كله
شخصية النيل المعنوية بجانب شخصيته
الحسية . وشدّ إلى قيثارة الفصحى وترّا
دينياً بمدائح للرسول صلى الله عليه وسلم،
يتفوق فيها على جميع معاصريه ، ومن
أروعها يتيمة الفريدة التي سمّاها
البردة والتي نظمها على غرار مدحه
نبوية للبوصيري تحدث فيها عن
سيرة الرسول وشمائله العطرة ، وردّ
فيها على أعداء الإسلام الذين يزعمون
أنه إنما انتشر بالسيف وسفك الدماء
قائلاً:

قالوا غزوتَ ورُسِلُ الله ما بُعِثُوا

لقتل نفسٍ ولا جاءوا لسفك دمٍ

جَهْلٌ وتضليل أحلامٍ وسَفْسَطَةٌ
فَتَحَّتْ بِالسَّيْفِ بَعْدَ الْفَتْحِ بِالْقَلَمِ
ولو أن هؤلاء الأعداء قرءوا القرآن
وما فيه من قوله تعالى : " وقاتلوا في سبيل
الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا
يحب المعتدين " لعرفوا أن حروب الرسول
صلى الله عليه وسلم لم تكن عدوانية إنما
كانت دفاعية . ولشوقي أبيات كثيرة
نادرة في مديح الرسول صلى الله عليه
وسلم كقوله في افتتاح قصيدة في ذكرى
المولد النبوي :

وُلد الهدى فالكائنات ضياءُ

وَفَمُ الزَّمانِ تَبَسُّمٌ وثناءُ

ويتحدث في فواتحها عن مولده وما
حدث فيه من خوارق متعددة . وشوقي
عبقري الشعر العربي الحديث ، وقد
احتذى الشعراء في مصر والبلدان العربية
نماذجَه ونماذج حافظ في الشعر الوطني
والاجتماعي ، وبذلك أظلت مدرستهما :
مدرسة الإحياء في العالم العربي من الخليج
إلى المحيط .

ونشأ جيل جديد يمثلُه عبد الرحمن
شكري وإبراهيم المازني وعباس العقاد اتجه

بفصحى الشعر وجهة لم تُعرف لها قديماً
إذ جعلوا قصائدها تعبر عن معانٍ إنسانية
عامة وعن الطبيعة والكون وعن النفس
ودخائلها ومطامحها وآلامها وأحلامها ،
واستغرق هذا الجيل منزع الرومانسية
في الغرب ، ولكل منهم دواوين متعددة .
وخلفت هذا الجيل مدرسة أبولو ، ويتألق
فيها إبراهيم ناجي وعلى محمود طه أما
إبراهيم ناجي فغرق في المنزع
الرومانسي الأوربي إلى أذنيه، فجعل شعره
ذاتياً وجدانياً يتغنى فيه بحب شقي عاثر
غشاءٍ كله ألم وشجن وقلق ممض وكأنه
يتجزع الحياة من كوب ماء مرير ، وكان
على محمود طه مثل ناجي يتأثر بالمنزع
الرومانسي الوجداني ، وعنى في شعره
برصف الألفاظ الخلافة التي تؤثر في قارئه
برنينها وألحانها المتلاحقة . وله ولصاحبه -
مثل شعراء المدرستين السابقتين -
تجديدات في الأوزان والقوافي .

ويشيع - منذ أواسط القرن العشرين -

نمط جديد من الشعر يتخفف من أثقال
العروض، فيلغي القافية المطردة إلغاء تاماً،
ويلغي معها فكرة الشطر والبيت ،

فالقصيدة من هذا النمط الجديد لا تتكون من أبيات بل تتكون من سطور متلاحقة، ولا تستبقي من العروض الموروث للشعر العربي سوى التفعيلة إذ يعتمد عليها في سطورها ، ولذلك سموا هذا النمط شعر التفعيلة ، ومن شعرائه الممتازين نازك الملائكة بالعراق، وصالح عبد الصبور بمصر ومنذ ظهر شعراؤه كثرة مفرطة في العالم العربي .

ومما يذكر لشوقي أنه أدخل في فصحي الشعر العربي فناً شعرياً جديداً هو فن الشعر التمثيلي الغربي ، وقد أراد به أن يقاوم تيار اللغة العامية الذي طغى على المسرح المصري ، ونجح في ذلك نجاحاً منقطع النظير ، وفتن الشباب بأعماله التمثيلية لإرضاء عواطفهم الوطنية والعربية، ولتمصيره هذا الفن الأوربي إذ جعله فناً مصرياً عربياً لأول مرة في تاريخنا الحديث ، وقد ألف فيه ثلاث مسرحيات ترضي العواطف الوطنية وهي مصرع كليوباترا وقمبيز وغلى بك الكبير، ومسرحيتين ترضيان العواطف العربية الإسلامية ، وهما مجنون ليلي وعنترة ،

والحق بهما مسرحية نثرية هي أميرة الأندلس . وخلفه عزيز أباظة واتخذ منه إماماً يتبع خطاه ، فينظم على قيثارة الفصحى مسرحية وطنية هي شجرة الدر ومسرحيات عربية ، هي قيس ولبنى والعباسة والناصر وغروب الأندلس سوى مسرحياته شهريار وقافلة النور وأوراق الخريف .

وعلى هذا النحو ازدهر الشعر العربي في القرن العشرين وازدهرت معه فصحاؤه إذ وقع الشعراء على قيثارتها مالا يكاد يحصى من الدواوين ذات الاتجاهات الجديدة لا في مصر وحدها بل في جميع أقطار العالم العربي ، سوى ما صاغ لها شوقي وعزيز أباظة من الشعر التمثيلي المسرحي .

وإذا انتقلنا من فصحي الشعر إلى فصحي النثر في القرن العشرين لاحظنا - منذ فواتحه - أن الكتاب تخلصوا من أسلوب السجع وما كان يثقله من أغلال البديع ، وتحولوا إلى أسلوب مرسل خال من العوائق ، وأخذوا يُمرّنونه في موضوعات سياسية واجتماعية وفي أداء

ما يترجمونه من الموضوعات والمعاني الغربية ، وظهر حينئذ خطباءٌ وكتابٌ كبارٌ مثل مصطفى كامل ومصطفى لطفي المنفلوطي وأحمد لطفي السيد ، أما مصطفى كامل فكان خطيب الأمة السياسي ، الذي ينازل الاحتلال الإنجليزي منازل حادة ، ويعد مؤسس الخطابة السياسية في مصر والبلاد العربية ، ونماها بعده سعد زغلول وخطباء الأحزاب السياسية ، واقرنت بها الخطابة القضائية ، إذ نقلنا نظام القضاء الغربي وما يتصل به من المحامين المدافعين عن المدَّعين والمتهمين ، ونبغت في الخطابة القضائية طائفة كبيرة من المحامين . ونهضت مصر بهذين اللونين من الخطابة في الأدب العربي الحديث ، فهي التي أتيح لها من بين البلاد العربية أن تنشط فيهما ، إذ كانت الحريرات مكبوتة في تلك البلاد بسبب خضوعها للترك أو لفرنسا ، ولم ينقل إليها مبكرًا النظام القضائي الغربي كما نقل إلى مصر .

وأما مصطفى لطفي المنفلوطي فكان محررا في صحيفة المؤيد ، ولم يكن يكتب

في السياسة إنما كان يكتب في بعض جوانب حياتنا الاجتماعية مقالات نشرها في تلك الصحيفة بعنوان " نظرات " تحول فيها إلى ما يشبه مصلحا اجتماعيا ، إذ يتحدث فيها عن عيوب المجتمع وما يتصل بها من مساوئ الأخلاق ، ويدعو إلى البر بالفقراء مصورا حياتهم وما فيها من هوان ، كما يدعوا إلى التمسك بالفضائل . وهو يعني - في نظراته - بفصحى سلسلة عذبة يتيح لها جرسا حسن الوقع في النفوس ، وظل الشباب في عصره وبعده يعجبون به إعجابا شديدا .

وكان أحمد لطفي السيد محرر صحيفة الجريدة ، وكان في مقالاته بها يعنى بتلقين الشعب المصري حقوقه وواجباته السياسية وما ينبغي أن يسود فيه من مبادئ الحرية : حرية الفرد وحرية الأمة وكان لا يزال يحاول تربية الشعب وتعريفه بما ينبغي له من النظم السياسية والاجتماعية السديدة ومن الاستقلال الذي ينزل من الأمة منزلة الخبز والماء . وكل ذلك يؤدي بفصحى جزلة رصينة .

ونمضي بعد الحرب العالمية الأولى في هذا القرن فتنشأ عندنا الأحزاب ويؤسس كل حزب لنفسه صحيفة ينشر فيها آراءه في السياسة والحكم . وأخذت صحف الأحزاب وما عاصرها من مجلات أدبية كالهلال والمقتطف تنقل إلى القراء بحوثاً في الأدب والفكر الغربيين ، وألحقت بصحف الأحزاب مجلات أدبية مثل السياسة الأسبوعية والبلاغ الأسبوعي ، ونشطت الكتابات الأدبية ، ويحمل لواءها العقاد والمازني في الكتابات النقدية وطه حسين ومحمد حسين هيكل في المثل العليا في الأدب ونقده - ولعباس العقاد وطه حسين حوار واسع في منزعهما للتجديد مع مصطفى صادق الرافعي الذي كان يحمل راية القلم ويدافع عنه دفاعاً حاراً ، وكان سلامة موسى ثائراً على القلم ثورة عنيفة ويدعو بقوة إلى نبذ كل ما يتصل به من علم وأدب ونظم سياسية ، ولا بأس عنده أن نجعل لغتنا أقرب إلى العامة .

وكان سلامة موسى يقف وحده ، فإن أدباء مصر المجددين من أمثال طه

حسين وهيكل وعباس العقاد والمازني كانوا يجمعون على أن يظلوا - ويظل معهم الكتاب في مصر وغير مصر - مع الفصحى الرصينة الناصعة البديعة ، فهم يحرصون على الإعراب وعلى ألفاظ الفصحى السائغة التي تقررها المعاجم ، وهم في هذا الإطار يجددون تجديداً لا يخرجون به عن أصول الفصحى ، وإنما يثريها وينميها بفكر جديد .

ومما لا ريب فيه أن هؤلاء المجددين العظام من أدبائنا أحدثوا في الفصحى العربية مرونة واسعة وقد أخذت جماعتهم تتكاثر وتتسع لعناصر من الشباب الذين حذقوا اللغات الأجنبية وفقهوا بدقة الآداب الغربية مثل توفيق الحكيم الروائي ومحمود تيمور القصصي بحيث أصبحنا بين الحريين العالميتين الأولى والثانية في هذا القرن نملك أدبا مصرياً عربياً جديداً نبت في وطن مصري على أيدي طائفة من المصريين .

وتتطور حياة المصريين العلمية والأدبية بعد الحرب العالمية الثانية تطوراً واسعاً لسبب مهم ، وهو أن الجامعات

المصرية أنشأت أجيالا متخصصة في كل فرع من فروع العلم والأدب الغربيين ، ونتج عن ذلك أن أصبحت الفصحى لسانا لكثير من ألوان الأدب والعلم ، ونشأت بيننا طبقة من العلماء تحسن التعبير العلمي والأدبي . واتسعت ترجمة الفكر الغربي ، وحقا كان قد سبق إلى ذلك كبار الأدباء السابقين مثل المازني وطه حسين ومحمد حسين هيكل ، وقد تلاهم الشباب الذين تخرجوا في الجامعات ، وأقبلوا على ترجمة الفكر من جميع اللغات الأوروبية التي ثقفوها كما أقبلوا على بسط المذاهب الأدبية الغربية من كلاسيكية ورومانسية وواقعية ورمزية وسريالية ، واشتركت معهم في هذه الجهود الخصبة أدباء البلاد العربية من الشباب وغير الشباب .

ونشأ عن ذلك أن أخذت حياة الأدب العربي المعاصر تتصل بحياة الآداب الغربية ، إذ أخذ الشباب في مصر وغير مصر يحاول إحداث نماذج من المسرحيات والقصص تطابق نماذج الغربيين في هذين الفنين على نحو ما هو معروف عن توفيق

الحكيم ومحمود تيمور ويحيى حقي ونجيب محفوظ وغيرهم كثيرون ممن يجيدون الفن المسرحي والفن القصصي . وأخذت مسرحيات توفيق الحكيم تترجم إلى اللغات الأجنبية ، وتمثل على بعض مسارح الغرب في فرنسا والنمسا وإيطاليا . وترجم إلى اللغات الأجنبية قصص كثيرة لمحمود تيمور ويحيى حقي ونجيب محفوظ ولقصاصين آخرين في مصر والبلاد العربية ، وظفرت بعض قصص نجيب محفوظ بجائزة نوبل العالمية ، وهو اعتراف بأن أدبه عالمي إنساني وأن أدبنا العربي يرقى إلى مرتبة الآداب العالمية الحية الكبرى .

وحتى الآن لم أتكلم عن الصحافة وتأثيرها الكبير في الفصحى وقد نشأت عندنا الصحافة في الثلث الأخير من القرن الماضي ، وأخذت تعنى بالشعب وتصوير ميوله وأهوائه السياسية ، وكان ذلك تحولا كبيرا بالفصحى ، إذ كان طال بها العهد في مخاطبة الحكام والأمراء والطبقة المثقفة في الأمة ، وكانت تخاطبهم بلغة مسجوعة تراكمت عليها أعشاب البديع ، وهي

الآن تخاطب الشعب ، فكان طبيعيًا أن تنفي السجع وأعشاب البديع عن لغتها وتخطبه بلغة سهلة واضحة يستطيع أن يفهمها توا.

وتصادف أن المطبعة أظهرت محري الصحف على أعمال أدبية للأسلاف من أمثال ابن المقفع كتبت بأسلوب مرسل ليس فيه سجع ولا بديع ، فتحولوا إلى الكتابة بهذا الأسلوب ، حتى يفهم الشعب ما يريدون أن يقولوه ، وحتى لا يجد مشقة في هذا الفهم .

ويتولى الصحافة والصحف في القرن العشرين محررون ناهيون كثيرون أخذوا يبسطون أساليبهم الصحفية تبسيطًا لا ينزل بها إلى مستوى العامة والابتدال ، وفي نفس الوقت لا تعلو عليهم ولا ترتفع بحيث يشعرون بشيء من العسر في قراءتها وفهمها ، أساليب سهلة وواضحة حتى لا يعزفهمها على الطبقات الدنيا في الشعب إذ تريد الصحف أن تذيع وتنتشر في جماهيره . ومن أجل ذلك يحتاج الصحفي دائمًا إلى التبسيط في تفكيره وأسلوبه . وإذا كانت الفكرة التي يريد أن يبلغها إلى

الجماهير الشعبية مرتفعة في نفسها حاول بكل ما يستطيع أن يبسطها إلى أقصى حنء، حتى تكون واضحة للجماهير ، وحتى لا تجد أي مشقة في فهمها ، ولا بد أن يختار لها فصحي سهلة مبسطة غاية التبسيط . ومع تعاقب العقود في القرن الحاضر بلغت الصحافة المصرية من تبسيط الفصحي أقصى حد ممكن .

والصحافة - بذلك - أنشأت لنا فصحي جديدة بين العربية الموروثة والعامية التي نتداولها في حياتنا اليومية ، ففيها فصاحة الأولى ، وفيها سهولة الثانية وقربها من الأفهام . وأتاحت الصحافة المصرية لهذه الفصحي المصرية الجديدة أن تنتشر لا في مصر وحدها بل في العالم العربي جميعه، إذ تقبل عليها الجماهير القارئة في البلاد العربية في لبنان وسوريا والأردن والعراق والحجاز والسودان وبلدان المغرب ، وأصبحت الفصحي الصحفية المصرية هي الفصحي الشائعة في البلاد العربية . وتكثر الصحف في مصر والعالم العربي منذ منتصف القرن الحاضر، حتى ليصدر منها يوميا مئات وتكثر معها

المجلات الأدبية ويبلغ قراء بعض الصحف في مصر مليوناً وأكثر ، وأعجب أن يقول بعض الكتاب إننا في حاجة إلى لغة وسطى بين اللغة الموروثة والعامية ، والصحافة قد أوجدت له هذه اللغة وهو الجماهير يحملونها ويقرءونها صباح مساء، ولو جمعت في أي بلد عربي لتكونت منها تلال .

ولم تستفرع من الفصحى في القرن العشرين فصحى الصحافة وحدها ، وقد تفرعت منها فصحى أدبية متنوعة تنوعاً واسعاً بتنوع الفنون التي استحدثتها مصر في القرن الحاضر ، وفي مقدمتها فن المقالة وقد أُفِرِدَتْ لها مجلات أسبوعية مثل السياسة الأسبوعية والبلاغ الأسبوعي والرسالة والثقافة ومجلات شهرية مثل الهلال وكانت تعنى المقتطف بعرض الحركة العلمية عند الغربيين وتصوير نظرياتهم المختلفة بخلاف المجلات التي سبقتها فقد عنت بالأدب ومباحث الغربيين العميقة في الفكر والأخلاق والفلسفة والاجتماع والاقتصاد . ومنذ أواسط القرن تتكاثر المقالات في الصحف

وتتكاثر المجلات ، ويصبح لكل كلية علمية مجلة .

ولم يكن للفصحى في الماضي سوى المقامات التي تصور مغامرات أديب متسول يخلب سامعيه ببلاغة عباراته ، وكنا قد أخذنا نتأثر بالأدب الغربي ولم يلبث هيكمل في العقد الثاني من القرن الحاضر أن كتب قصة اجتماعية طويلة مستضيئاً فيها بالقصص الغربي وتقاليده ، ويكثر بعد الحرب الأولى في هذا القرن الشباب الذين يكتبون الأقصوصة كتابة فنية . ويكثر محمود تيمور من الأقاصيص والقصص الاجتماعية الطويلة ، ويبلغ الذروة في فن القصة ، ويشاركه في القصة الطويلة طه حسين واصفاً الحياة المصرية المازني متجهاً في قصصه إلى التحليل النفسي ، ويتكاثر معهم القصص من الشباب ، ونمضي بعد ثورتنا المصرية فيحدث انفجار في كتابة القصة عندنا سواء من حيث كثرة القصص أو من حيث كثرة ما ينتجون من القصص بالفصحى ، مما يُصَوِّرُ نشاطاً هائلاً بفن القصة في القرن العشرين ، ونال الأستاذ

نجيب محفوظ في هذا الفن - كما أسلفنا -
جائزة نوبل الأدبية .

ولم تعرف الفصحى فن المسرحية قبل
القرن العشرين ، وما تتقدم إلى العقد
الثاني من هذا القرن حتى يلمع اسم
كاتبين مسرحيين هما فرح أنطون
وإبراهيم رمزي درَسَا أصول هذا الفن
الغربي وألَّفَا فيه مسرحيات تاريخية
 واجتماعية، وتضع الحرب العالمية أوزارها،
وينشط التمثيل المسرحي وتؤلف له
مسرحيات اجتماعية مختلفة ، وتنشئ
الدولة في سنة ١٩٣٤ الفرقة القومية كما
تنشئ المعهد العالي للتمثيل ، ويظهر توفيق
الحكيم ، ويثب بالتأليف المسرحي وثبة
كبرى ، ويُرسِي قواعده في النثر كما
أرساها شوقي في الشعر ، ويتابع نشر
مسرحياته البديعة . وكما حدث بعد

الثورة انفجار في فن القصة ، وتكاثر
مؤلفوها في مصر وغير مصر حدث
انفجار مقابل في فن المسرحية وتكاثر
مؤلفوها وتكاثرت المسرحيات .

وواضح من كل ما أسلفت أن
الفصحى ازدهرت في القرن العشرين
ازدهاراً عظيماً ، فقد تفرع منها فصحى
صحفية مبسطة يحملها الملايين من
الجماهير المصرية والعربية يومياً ، وبث في
فصحى النثر كبار الأدباء نضرة ورونقا
رائعين . وليس ذلك ما حققته فحسب ،
فإنها أدت أداءً بديعاً ما استحدثناه من
فنون المقالة والقصة والمسرحية وبذلك
عاشت - طوال القرن العشرين - في النثر
والشعر جميعاً حياة مزدهرة أعظم ما
يكون الازدهار وأروع .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

شوقي ضيف

رئيس المجمع

المعجم العربي الموحد

للألفاظ الحياة العامة في العصر الحديث (*)

للأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة

ترددت كثيراً في تحديد عنوان هذا البحث الذي يتناول قضية من أهم القضايا اللغوية التي تواجه العربية في مسيرتها العلمية والأدبية والاجتماعية والتقنية في العصر الحديث . والعربية التي نستحدث عنها هي العربية الفصيحة التي تمثل جوهر وجود أمتنا وهي في الوقت ذاته لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، لغة العروبة والإسلام ... ومنذ أصبحت العربية لغة الوحي الألهي ، فقد انتقلت من كونها لغة أمة من الأمم تصدق عليها نواميس نشوء اللغات وارتقائها واندثارها أو انحلالها إلى لغات أخرى . أقول : انتقلت العربية الفصيحة من حيث ثوابتها إلى كونها لغة خالدة بخلود القرآن الكريم . فالعربية الفصيحة باقية إلى الأبد، طالما بقي في الكون مسلمون مؤمنون بكتاب الله العزيز الذي أنزله الله - سبحانه وتعالى - وحياً على رسوله

الأمين صلوات الله وسلامه عليه، بلسان عربي مبين.

وتتصل هذه القضية اللغوية بمواكبة العربية مستطورات الحياة والتعبير عن شؤونها وأدواتها وكل ما يمت لها بسبب في هذا الكون الرحب . فتوقفت ملياً عند تحديد طبيعة هذا المعجم موضوع البحث، وتحديد هوية ألفاظه ومفرداته فاتجه الفكر بادئ ذي بدء إلى القول : " ألفاظ الحضارة في العصر الحديث "، ولكنني شعرت بتساؤلات تطفو على الذهن ، منها ما يتعلق بتحديد مفهوم الحضارة ... ومنها ما يتعلق بتعريف أهل الحضارة، والشعوب التي تنتسب إلى حضارة معينة ... وكثرة الشروح والتعريفات اللغوية والاصطلاحية لكلمة " حضارة " . فقليل: الحضارة تعني الإقامة في الحضر وهي خلاف البداوة ، ويقال : فلان من أهل الحضارة أي من سكان المدن والقرى

* ألقى هذا البحث في الجلسة الثالثة يوم الثلاثاء ١١ من ذي القعدة سنة ١٤١٨ هـ الموافق ١٠ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٨ م

وليس من سكان الخيم..

وإن نظرة شاملة في تاريخ هذه المجتمعات الإنسانية تدلنا على أن هذه المجتمعات متحولة ونامية ومتطورة ، وأن التفريق بين الحضارة والبداءة لا يتعدى التحديد اللغوي ، ويصبح الأمر أكثر وضوحًا عندما يتناول الحديث صفة الجمع " الحضارات " ومفردا حضارة ، إذ يتعدى معناه اللغوي إلى معنى اصطلاحى يعنى مجموع الخصائص الاجتماعية والدينية والخلقية والتقنية والعلمية والفنية الشائعة عند شعب معين، كالحضارات المصرية القديمة، والصينية وما بين الرافدين واليونانية واللاتينية والعربية والأوربية ... إلخ وإن هذا المدلول يشمل الحياة المادية والروحية للإنسان ...

ونحن عندما نتحدث عن " ألفاظ الحضارة " في مشروعنا المعجمي في الوقت الحاضر ، فإنما نعني جميع الألفاظ التي يستعملها الإنسان العربي في " حياته العامة " من مأكّل ومشرب وملبوسات وما يتعلق بها ... ومن منزل وأدوات

منزلية وأثاث وما يتعلق بشؤون البيت. وكذلك أسماء الأماكن العامة والخاصة وما يتعلق بها، والمكاتب وأدواتها وأجهزتها، والمركبات وما يتعلق بها ، والحرف وأنواع المهن والصناعات وأدواتها والمواد المستعملة فيها، وكذلك ما يتعلق بالتربية الرياضية وأنشطتها، وجوانب الحياة الفنية ، ومجالات الترويح والزينة. ويتعدى هذا المدلول ، التعبير عن الأدوات والأشياء المادية إلى التعبير عن الحياة الثقافية العامة التي تنم عن الحس الحضاري والاجتماعي والذوق الجمالي في التعامل بين الأفراد والجماعات في حياتهم اليومية، وفي لغة مختلف وسائل الاتصالات الجماهيرية.

ونحن إذ حدّدنا الموضوعات التي يتناولها مشروع معجمنا ، فلا ضير علينا إذا أطلق عليه عنوان : " المعجم العربي الموحد لألفاظ الحياة العامة في العصر الحديث " أو " المعجم العربي الموحد لألفاظ الحضارة في العصر الحديث " ، وربما كان الأخذ بعبارة " ألفاظ الحياة العامة " أكثر دقة ووضوحًا وأبعد عن

اللبس الذي تثيره عبارة " ألفاظ الحضارة
في العصر الحديث " ..

ومهما تكن التسمية التي نختارها ،
فإن " ألفاظ الحياة العامة " أو " ألفاظ
الحضارة " تضرب في جذورها بعيداً في
حياة أمتنا في أقاليمها المختلفة . وهي
مستمرة ونامية ومتطورة عبر القرون
باستمرار الحياة ذاتها ، والحاجة إلى التعبير
عن شؤونها وعن كل طارئ جديد . وإن
العفوية وإشاعة الاستعمال والحاجة إلى
التعبير ، تكون الأسس الثابتة في إنشاء
الألفاظ والتعابير الاصطلاحية التي كان
الناس يشعرون بالحاجة إليها في مختلف
أقاليمهم ومدنهم وبيئاتهم .

وربما كان من الصواب ، أن ننبه منذ
التبداية في بحثنا هذا ، إلى قضية لغوية
مهمة رافقت العربية الفصيحة الموحدة
بعيد أن أصبحت لغة القرآن الكريم ولغة
الإسلام في العقيدة والفكر والسياسة .
وتتمثل هذه القضية باللبس الذي حدث
في فهم العلاقة بين لغة الحياة اليومية
وألفاظها الدالة على مختلف شؤون الحياة
المعيشية ، وبين العامية . فقد خرج العرب ،

من جزيرتهم ، يرفعون راية الإسلام ،
ويحملون القرآن الكريم دعوة إنسانية
سامية ، تتساوى أمامها أجناس البشر
وألوانهم وأعراقهم ، دون إكراه أو قهر .
وقد خرج الصحابة والتابعون ، مجاهدين
في جيوش الفتح ، معلمين وناشرين
مبادئ الإسلام . فكانت حلقات العلم ،
وتعليم القرآن الكريم والسنة النبوية
الشريفة تسير جنباً إلى جنب مع الجيوش
الفاتحة . وأصبح تعلم القرآن الكريم وتعلم
العربية قراءة وكتابة واجبا على كل مسلم
يدخل في هذا الدين الحنيف وإن نظرة
شاملة على المدى الذي وصلت إليه
الفتوحات الإسلامية في صدر الإسلام
والعصر الأموي ، تبين لنا مدى الأصالة
في تعريب الشعوب المختلفة التي اعتنقت
الإسلام . فما إن يمر جيلان أو ثلاثة على
أبناء من اعتنقوا الإسلام حتى تصبح
العربية لغة التفسير والحديث والفقه ، ولغة
النثر والشعر والعلم ، كما تحدثنا الوثائق
التي بين أيدينا حول تعريب هذه الشعوب
ولاسيما تعريب الأندلس .

فمنذ مطلع القرن الثالث الهجري ، نجد

أن حركة التعريب قد امتدت في الأندلس لتشمل الطوائف المسيحية التي بقيت محافظة على عقيدتها . وكان من طبيعة الأشياء ، وسنن العمران البشري والامتداد الجغرافي للدولة الإسلامية من حدود الصين والهند شرقاً إلى أطراف أوروبا غرباً ، بشعوبها ولغاتها المختلفة ، أن تتجه الدراسات اللغوية العربية ، إلى تفسير القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، وإلى تعلم العربية في مصادرها الأصلية في الشعر والنثر والخطابة ... فالنص القرآني هو النص الذي نشأت حوله جميع الدراسات اللغوية والأدبية الأخرى .

وكان الشعر في العصر الجاهلي وفي صدر الإسلام والعصر الأموي ، وكذلك ما حفظ من خطب ورسائل ونثر ، هي المصادر اللغوية الأساسية في تفسير ألفاظ القرآن الكريم وفهم معانيه ... والأمثلة على ذلك كثيرة ، ومنها كتاب "العقد" لابن عبد ربه الأندلسي . فقد ألف هذا الكتاب في أوائل القرن الرابع الهجري بالأندلس ، ومن المعروف أن ابن عبد

ربه لم يخرج من الأندلس طيلة حياته ، ومع ذلك فقد اقتصر في اختيار النصوص ، على النصوص المشرقية التي لا تتجاوز صدر الإسلام والعصر الأموي . وقد أخطأ صاحب بن عباد ، في فهم هدف ابن عبد ربه الأندلسي من تأليف "العقد" عندما قال : هذه بضاعتنا ردت إلينا . إذ كان صاحب يتوقع أن يقرأ أدبا أندلسيا ، في هذا المصنف الأندلسي ، ولكنه وجد فيه النصوص الأدبية المشرقية . وحقيقة الأمر أن ابن عبد ربه ، أراد أن يضع كتاباً تعليمياً لأبناء وطنه في الأندلس ، فاختر نصوصاً من العربية العالية ، التي تمثل ذروة الفصاحة والبلاغة والإبانة ... فجاء كتاب "العقد" ليمثل أهم المصادر اللغوية والأدبية .

وسارت المؤلفات اللغوية والمعجمية ، منذ وقت مبكر ومنذ معجم "العين" للخليل بن أحمد وهي تعنى بالعربية الفصيحة ، بثوابتها نحواً وصرفاً وتجويد لفظ ، وبأساليبها التي تنأى عن الدخيل ... والمعاجم التراثية في معظمها يأخذ بعضها عن بعض . وهي في ذلك كله

حريصة على اللغة العربية الفصيحة ، اللغة الجامعة ، لغة الثقافة والفكر والعلم والسياسة .

ومنذ البداية كان إلى جانب لغة الكتابة في مستوياتها الأدبية والعلمية المختلفة ، اللغة المحكية بمستوياتها المختلفة أيضاً . فاللغة المحكية تختلف عن اللغة المكتوبة في جميع اللغات ، حديثاً وقديماً . وإن اللغة العربية المحكية لا تعني بالضرورة اللغة العامية ، أو بعبارة أدق اللهجة العامية العربية . وإنما تبتعد اللغة المحكية أو تقترب من اللغة الفصيحة ، تبعاً لانتشار الثقافة والمستوى العلمي والفكري في شرائح المجتمع العربي وبيئاته .

وكان من نوااميس العمران البشري ودواعي شؤون الحياة اليومية في أقاليم الدولة الإسلامية ، وفي مجتمعات مدنها وقراها وريفها وبواديها ، أن تعبر اللغة العربية المحكية عن حاجات الإنسان في حياته المعاشية من مطعومات وملبوسات ومشغومات وأثاث وبيوت ومساجد وأدوات وحرف وصناعات وتجارات ، ودور العلم والمستشفيات (المارستانات)

... إلخ وما كان يعني التعبير عن هذا كله أنه تعبير بلغة عامية أو يصنّف في أبواب اللحن . فقد استوعبت العربية ، في تماسها مع حضارات الشعوب الأخرى كل ما يتعلق بأدب الحواس ، مما لا تعرفه في بيئتها الأصلية . فأخذت من حضارات مختلف الأمم أسماء مأكولاتها ومطعوماتها ومشروباتها ... إلخ على سبيل التعريب وأدخلته لغتها وأجرت عليه قوانين العربية . وفي كثير من الأحيان أضفت على هذه الألفاظ المعجمية رونق العربية ... فهذا رافد أصيل إلى جانب الاشتقاق والمجاز والنقل والنحت والوضع ، يجعل العربية لغة حية نامية ، عبر مسيرتها التاريخية ، قادرة على التعبير عن حاجات الإنسان العربي وعن كل جديد ، سواء أكان أعجمي المنبت أم عربي المنشأ .

وإن نظرة فاحصة في معاجنا التراثية العربية ، تبين لنا بسهولة أنها قد نأت بنفسها عن تسجيل ألفاظ الحياة اليومية وتعابيرها ، لا لزهد بها ولا لاهتمام لعجمتها ولا لِعَمَزٍ لفصاحتها ، ولكن لأنها ، على حد ما نراه ، خارجة عن

مناهجها ولا تقع في مجال اهتمامها ، ولا
تنظمها الأهداف التي سعت إلى تحقيقها.
وربما من المفيد في هذا الباب أن نتوقف
عن مقدمة ابن منظور جمال الدين أبو
الفضل محمد بن المكرم بن علي بن أحمد
الأنصاري الخزرجي المصري المتوفى سنة
٧١١هـ — في معجمه " لسان العرب "
الذي يوصف بحق بأنه "أم المعاجم العربية"
جميعاً .

يقول ابن منظور في مقدمته : " وإني
لم أزل مشغولاً بمطالعات كتب اللغات
والاطلاع على تصانيفها وعلل تصاريفها ،
ورأيت علماءها بين رجلين : أمّا مَنْ
أحسن جمعه فإنه لم يُحسن وضعه ، وأمّا
من أجاد وضعه ، فإنه لم يجد جمعه " .

ثم ينتقل ابن منظور إلى الحديث عن
مصادره التي أخذ عنها ، فيحددها بقوله :
" ولم أجِد في كتب اللغة أجمل من "
تهذيب اللغة " لأبي منصور محمد بن أحمد
الأزهري . ولا أكمل من " المحكم " لأبي
الحسن علي بن إسماعيل بن سيده
الأندلسي رحمهما الله ، وهما من أمهات
كتب اللغة على التحقيق ، وما عداهما

بالنسبة إليهما ثنيات للطريق .، غير أن
كلا منهما مطلب عسر المهلك ، ونهل
وعر المسلك ... فأهمل الناس أمرهما ...
وليس لذلك سببٌ إلا سوء الترتيب ،
وتخليط التفصيل والتبويب " . وبعد هذا
التقويم والإشادة بمكانة هذين المصدرين
اللغويين ونقد منهجهما ، يتحدث ابن
منظور عن الجوهري فيقول : " ورأيت أبا
نصر إسماعيل بن حمّاد الجوهري ، قد
أحسن ترتيب مختصره ، وشهره - بسهولة
وضعه - فحف على الناس أمره فتناولوه
... غير أنه في جو اللغة كالذرة ... وإن
كان في نحرها كالذرة ... وهو مع ذلك
قد صحّف وحرّف وجزّف فيما صرّف ،
فأتيح له الشيخ أبو محمد بن بري ، فتتبع
ما فيه ، وأملى عليه أماليه ، مُخرجاً
لسقطاته مؤرخاً لغلطاته ، فاستخرت الله
سبحانه وتعالى في جمع هذا الكتاب
المبارك ... ولم أخرج فيه عمّا في هذه
الأصول ، ورتبته ترتيب "الصحاح" في
الأبواب والفصول " ...

وبعد ذلك يحدثنا عن مصدره في
الأخبار والآثار والكلام على معجزات

القرآن الكريم ، فيقول : "وقصدت
توشيحہ بجليل الأخبار وجميل الآثار ،
مضافاً إلى ما فيه من آيات القرآن الكريم،
والكلام على معجزات الذكر الحكيم ، .
ليتحلى بترصيع دررها عقدہ ، ويكون
على مدار الآيات والأخبار والآثار
والأمثال والأشعار حلّة وعقدہ ، فرأيت
أبا السعادات المبارك بن محمد بن الأثير
الجزري، قد جاء في ذلك بالنهاية... " وبعد
أن يقوم ابن منظور هذا المصدر المهم ،
يسين ما أضافه إليه وما أدخله عليه ،
فيقول : " ... غير أنه [أي ابن الأثير] لم
يضع الكلمات في محلّها ، ولا راعى زائد
حروفها من أصلها ، فوضعت كلا منها
في مكانه ، وأظهرته مع برهانه ، فجاء
هذا الكتاب بحمد الله واضح المنهج سهل
السلوك ... " .

تحدث ابن منظور في مقدمته هذه بأنه
جمع ما في هذه المصادر من العلوم
واللغات والشواهد والأدلة ، بحيث يغني
بما فيه عن غيره ، ويفتقر غيره إليه . إلى
أن يقول : "فجمعت في هذا الكتاب ما
تفرق ، وقرنت بين ما غرب منها وبين ما

شرق . فانتظم شمل تلك الأصول في هذا
المجموع... " .

وربما يجيب ابن منظور عن التساؤلات
حول أهداف وضع هذه المعاجم اللغوية،
وحرصها على تسجيل العربية بنقائها
وفصاحتها ، التي واكبت نزول القرآن
الكريم واستمرت بعده فيما سمي بعصر
الاحتجاج ، وذلك بقوله :

" وأنا مع ذلك ، لا أدعي فيه
دَعْوَى، فأقول : شافهتُ أو سمعتُ ، أو
فعلتُ أو صغتُ ، أو شددتُ أو رحلتُ ،
أو نقلت عن العرب العرباء أو حملت ،
فكل هذه الدعاوي لم يترك فيها الأزهري
وابن سيده لقائل مقالا ، ولم يخلها فيه
لأحد مجالا ، فإنهما عيّنا في كتابيهما عَمَنَ
رويا ... " .

ويجمل ابن منظور عمله في هذا
المعجم اللغوي الأساسي بقوله : " وليس
لي في هذا الكتاب فضيلة أمتُّ بها ، ولا
وسيلة أتمسك بسببها ، سوى أنني جمعت
فيه ما تفرق في تلك الكتب من العلوم ،
وبسطت القول فيه ولم أشبع باليسير ...
فمن وقف فيه على صواب أو زلل ، أو

صحة أو خلل، فعهدته على المصنف الأول ... لأنني نقلت من كل أصل مضمونه ، ولم أبدل فيه شيئاً ... بل أدت الأمانة في نقل الأصول بالنص ... فليعتد من ينقل عن كتابي هذا أنه ينقل عن هذه الأصول الخمسة ...".

ويخلص ابن منظور في مقدمته إلى تحديد هدفه من هذا العمل الجليل ، فيقول: "فإني لم أقصد سوى حفظ أصول هذه اللغة النبوية وضبط فضلها ، إذ عليه مدار أحكام الكتاب العزيز ، والسنة النبوية ، ولأن العالم بغوامضها يعلم ما توافق فيه النية اللسان ، ويخالف فيه اللسان النية ، وذلك لما رأته قد غلب في هذا الألوان من اختلاف الألسنة والألوان، حتى أصبح اللحن في الكلام يعد لحناً مردوداً ، وصار النطق بالعربية من المعايير معدوداً . وتنافس الناس في تصانيف الترجمات في اللغة الأعجمية ، وتقاصحوا في غير اللغة العربية ، فجمعت هذا الكتاب في زمن أهله بغير لغته يفخرون ".
رحم الله ابن منظور ، فعلى الرغم من القرون السبعة التي تفصل بيننا وبينه ...

فما زال معجمه " لسان العرب " المرجع اللغوي الأساس عند الباحثين والدارسين في الجامعات ومراكز البحث ...

ونحن في هذا العرض الشامل ، لا بد أن نفرق بين معجمات لغوية ، حرصت على تقييد فصيح العربية وانتظام شمل أصولها في مواطنها وبيئاتها الأصلية وعلى ألسنة روائعها وشعرائها وفصحائها والخطباء والكتاب والمرسلين ... وبين الكتب والمصنفات التي ألفت في مختلف مجالات العلوم والفنون والآداب ، واستعملت مصطلحات وألفاظاً ، لم تدخل المعاجم العربية . وإن أي دراسة لغوية جادة ، ستجد في هذه المؤلفات مصدراً خصباً للتطور التاريخي الذي طرأ على ألفاظ اللغة العربية ودلالاتها على مر العصور .

فإذا كانت المعاجم العربية التراثية ، التي عيّنت بفصاحة اللغة ونقائنها لم تسجل ألفاظ الحياة العامة والمصطلحات العلمية ، فإنها لم تنكر وجودها ، ولا قضت بتحريمها ولا تعرضت إلى نسبها . فالألفاظ الأعجمية التي تلوّكها الألسن

العربية ويكثر استعمالها ، تدخل الكلم العربي ، وتصبح عربية الهوية .

ولم تتعرض هذه المعاجم التراثية لمؤلفات المؤرخين والجغرافيين والأطباء والنباتيين والفلكيين والقصاصين ، ومصطلحاتهم ومفرداتهم اللغوية ومستويات أساليبهم التي تقترب من اللغة المحكية . ونحن نعتقد أن ذلك يرجع إلى اختلاف في الأهداف ، فإن ثوابت العربية من حيث الجوهر ومن حيث هي لغة ، كانت القاعدة الأساسية التي يصدر عنها كل نشاط فكري وعلمي وثقافي . ولم تكن العربية في يوم من الأيام بمعزل عن الحياة اليومية والتعبير عن مختلف شؤونها وحاجاتها ، سواء أكانت لغة محكية أم مكتوبة . وإذا كانت اللغة المكتوبة ، قد عنيّت من حيث المبدأ بكل ما هو عام ، ويقع بمركز اهتمام الأمة ووحدها في العقيدة وعلوم القرآن وعلوم الحديث وعلوم اللغة وعلم الكلام والمنطق وعلوم الأوائل ... مستعملة مفردات لغوية ومصطلحات موحدة يفهمها المشتغلون بهذه العلوم والمهتمون بها ، فإن هذه اللغة

المكتوبة لم تحجم عن تصوير الحياة الاجتماعية في بيئات ومهن مختلفة ، مستعملة لغاتها ومفرداتها الخاصة بها وإن مؤلفات الجاحظ لاسيما كتابه البخلاء وكتاب الحيوان ، وكتاب البيان والتبيين ، لخير شاهد على استعماله ألفاظ الأطعمة وألفاظ الأشربة ، وألفاظ الملابس ، وألفاظ الموسيقى والغناء ، وألفاظ المجون واللهو ، وألفاظ اللعب ، وألفاظ اللهجات الخاصة ، وألفاظ اللصوص.

ولم يتردد الجاحظ في كثير من الأحيان عن الاجتهاد اللغوي بعيداً عن معجم العربية الذي تعارف عليه اللغويون في ذلك العصر .

وكان ابن المقفع ، منذ بداية العصر العباسي ، قد نحا باللغة المكتوبة منحى لا يبعد كثيراً عن اللغة المحكية من حيث الألفاظ والتعابير والنظم ، كما نرى ذلك فيما وصل إلينا من مؤلفاته " الأدب الكبير " و " الأدب الصغير " وترجمته لكتاب كليلة ودمنة والفصل الخاص الذي تعزوه معظم الروايات إليه .

ومن أهم المصنفات التي تصور لنا بعض الجوانب من الحياة الاجتماعية والفنية في العصر العباسي ، ويعتبر مصدرًا مهمًا للتطور اللغوي في ذلك العصر ، كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني . وربما كان من المفيد أن نورد هذا النص من الأغاني ،

يقول أبو الفرج : " وقد حدثني الحسين بن محمد ... فقال : حدثني هارون بن مخارق ، قال : حدثني أبي [أي مخارق المغني المشهور] قال : جاءني أبو العتاهية ، فقال : قد عزمت على أن أتزود منك يومًا تهبه لي ، فما تنشط ؟ فقلت : متى شئت ... فلما كان من غد باكرني رسوله فجئته ، فأدخلني بيتا له نظيفًا ، فيه فرش نظيف ، ثم دعا بمائدة عليها خبز سميد وخل وبقل وملح ، وجدي مشوي . فأكلنا منه ، ثم دعا بسمك مشوي فأصبنا منه حتى اكتفينا ، ثم دعا بجلواء ، فأصبنا منها وغسلنا أيدينا ، وجاؤونا بفاكهة وريحان وألوان من الأنبذة ، فقال

اختر ما يصح لك منها ، فاخترت وشربت وصب قدحا ثم قال : غني في قولي .. " (١) ومما يجدر ذكره أن هذه المصنفات الأدبية ، كانت تجد طريقها من بغداد إلى قرطبة . فقد ذكرت الروايات أن النسخة الأولى من كتاب الأغاني ، قد وصلت قرطبة قبل أن تطرح في أسواق بغداد ... وهذا يعني أن الألفاظ الحضارية والاجتماعية الشائعة في المجتمع البغدادي ، لم تكن غريبة عن الذوق اللغوي الجمالي في المجتمع القرطبي ، في أزهى عصوره . ونحن إذا تحدثنا عن الأدب الذي صور ألوان الحياة الاجتماعية وأدواتها الحضارية ، لابد أن نشير إلى بديع الزمان الهمداني ومقاماته ، وأن نتوقف مليًا عند مصنفات القاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي ؛ المتوفى سنة ٣٨٤ هـ ومن أهمها كتابه : "نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة " الذي ألفه في عشرين عامًا ، كما تنبئنا بعض الروايات ، وكذلك كتابه " الفرج بعد الشدة " الذي ألفه بعد كتاب النشوار .

(١) أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ، المجلد الثالث ، القسم الأول ، ص ٣٤٦ ، بيروت .

وإن القصص التي أوردها التنوخي في "النشوار" ، تصور لنا كثيراً من جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية في القرن الرابع الهجري ببغداد والبصرة. وقد وصف كتابه النشوار في مقدمته قائلاً: "هذه ألفاظ تليق بها من أفواه الرجال ، وما دار بينهم في المجالس ، وأكثرها مما لا يكاد يتجاوز به الحفظ في الضمائر إلى التخليد في الدفاتر ، وأظنها ما سبقت إلى كتب مثله ، ولا تخليد بطون الصحف بشيء من جنسه وشكله ، والعادة جارية في مثله أن يحفظ إذا سُمع ليذاكر به إذا جرى ما يشبهه ويقتضيه ، وعرض ما يوجبه ويشهد عليه " (١)

وفي قصصه وحكاياته صور حية للمجتمع البغدادي ، بل وتعتبر نصوص هذه الحكايات مصدراً مهماً لدراسة ألفاظ الحضارة العباسية التي يوردها أحياناً بالتعبير البغدادي . يتحدث مثلاً عن "الباقلاء" بدون همزة ، فيقول : " فدخل يوماً إلى دهليز داره ، فرأى قشر باقلاً " ... ويتحدث عن "البوايين" وعن "

الفراش" وعن "الطيّار" [وهو نوع من السفن السريعة] وعن " الطُسْتُ " وعن " المزملة " و " الخيازير " وعن " جامة بجاذي " وعن " الجهد " وعن " الكر " وعن "البطرك" و "الجاثليق" و "الغرائق" وعن "القطف" ... وعن "الدخالات" وعن "السروز" وعن ألوان الأطعمة ... والأمثلة في هذا المجال كثيرة .

وكذلك يصدق الحديث في هذا الباب عن القصص التي أوردها التنوخي في كتابه "الفرج بعد الشدة" وربما لا نعدو الصواب، إذا قلنا إن مؤلفات الجاحظ وكتاب القاضي التنوخي المعنون "نشوار المحاضرة" ، تعتبر من أهم المصادر لدراسة التطور اللغوي الذي طرأ على العربية في العصر العباسي .

وكان للتمازج الحضاري آثار عميقة في ألفاظ الحياة العامة في مختلف الأقطار ولاسيما في اللغة المحكية . وكان للحضارة الفارسية آثارها الواضحة ببغداد عاصمة الخلافة . فتحدثنا الروايات عن الأصناف الفارسية في المأكولات والمشروبات

(١) القاضي أبو علي الحسن بن علي التنوخي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ح ١ - ٨١٣٩١م - ١٩٧١م / ج ١ ص ١ .

والمشمومات .. وقد ذكر الجاحظ كثيراً منها في كتابه " البخلاء " وفي سائر مؤلفاته ... ولا غرابة أن هذه الكلمات المعربة، وقد تداولها المجتمع البغدادي وصقلتها. الألسنة ، قد دخلت في لغة الكتابة. فقد أصبحت بالاستعمال والشيوع عربية كسائر الكلام العربي . وتحديثنا الروايات أنه وضع على مائدة المأمون ثلاثمائة لون من الطعام !!

ولم تكن هذه الظاهرة مقتصرة على بغداد وعلى الحضارة الفارسية ، ولكنها تشمل جميع مراكز الإشعاع الثقافي في الدولة الإسلامية ، وتختلف في مدى اختلاطها بالأمم الأخرى ومقدار تأثيرها بحضاراتها ، وكان للحضارة الفارسية طابع خاص في الحياة الاجتماعية ببغداد عاصمة الخلافة ، ومحط الأنظار . ففي الأندلس مثلاً يحدثنا ابن سيده المتوفى سنة (٤٥٨هـ) في كتابه المخصص قائلاً : "وعلى هذا ما نشاهد الآن من اختراعات الصنائع لآلات صنائعهم من الأسماء كالنجار والصائغ والحائك والملاح"^(١).

ولا شك أن " عجمية أهل الأندلس " والعربية الدارجة تركت آثارها في لغة أصحاب المهن والحرف ، مما يؤكد اختلاف الأسماء باختلاف الأقاليم .

إن تعداد المصنفات التي عنت بتصوير النواحي الاجتماعية وتناولت شؤون الحياة اليومية ، كثيرة . وربما كان من أهم الأعمال اللغوية في هذا الباب ، أن تتبنى مؤسسة عربية مشروع استخراج الألفاظ العربية التي تعني بألفاظ الحضارة ، من المعاجم والكتب ، كي تكون رافداً من زوافد المعجم الحديث لألفاظ الحياة العامة.

وإن هذه الفكرة لتقودني بالضرورة إلى ذلك المشروع اللغوي الضخم الذي ينتظر إرادة الأمة العربية وتوفير الإمكانيات المادية والعلمية لإنجازه على مستوى الوطن العربي ، وهو ما دعونا به بمشروع "الذخيرة العربية" . بأن يجرّد التراث العربي ، من خلال دواوين الشعراء وجميع المؤلفات والمصنفات في مختلف فروع المعرفة، ومنذ أقدم ما وصل إلينا ، لتبيان

(١) انظر : أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده، المخصص، ح ١ - ٥ بيروت ج ١ ص ٤ - ٥.

معاني الألفاظ من خلال النصوص ، على مدارج التطور التاريخي حتى الوقت الحاضر... وسيكون هذا المشروع اللغوي، المصدر الذي يقوم عليه مشروع المعجم التاريخي لألفاظ اللغة العربية ، وكذلك مشاريع لغوية أخرى كثيرة ومنها استخراج الألفاظ العربية التي تعني بمسائل الحضارة ... وسيكون رافداً مهماً لمعجمات متخصصة حديثة ، تسير العصر الحديث في عملية مستمرة ونامية ومتطورة ...

وإنه لمن المحزن ، كما أشرنا سابقاً ، أن "لسان العرب " لابن منظور ، الذي تفصل بيننا وبينه فجوة زمنية تتجاوز سبعة القرون ، مازال المصدر الرئيس الذي نعول عليه في الوقت الحاضر . وجاء معجم الزبيدي الذي سماه " تاج العروس " بعد "لسان العرب " لابن منظور بعدة قرون ، وسار على منهجه واتكأ عليه ، وأضاف إليه مفردات جديدة ...

فألفاظ الحضارة أو ما نسميها بألفاظ الحياة العامة مستمرة في حياة أمتنا العربية في أقاليمها المختلفة عبر القرون وباستمرار

الحياة ذاتها ، وما تدعو إليه حاجة الأمة أفراداً وجماعات إلى التعبير عن شؤونها ولوازمها . وقد تشعبت الوسائل وأقحم على العربية المحكية كل دخيل أعجمي وعامي دون تشذيب أو تهذيب ، ودون خطة أو منهج علمي .

وتمت القطيعة بين اللغة المحكية والعربية المكتوبة ، وزادت الفصحى عزلة، وزادت العامية استثناء وانتشاراً، وبدأ الحديث عن وضع معاجم للعاميات العربية بين المستعربين في أوروبا منذ القرن السابع عشر الميلادي ... ووضعت عدد من المعاجم الثنائية والثلاثية للعربية والتركية والفارسية .

ويحدثنا المستعرب "دوزي " في مقدمة عمله اللغوي الضخم عن تلك المعاجم والمحاولات لوضع معجم للعربية الحديثة بعيداً عمّا أسماه " العربية الكلاسيكية"^(١). وقد صدر مؤلف "دوزي" الموسوعي، "تكملة المعاجم العربية " عام ١٨٨١م وقبل وفاة مؤلفه بستين ، وكان هدفه أن يتتبع المفردات والألفاظ التي لم ترو في المعاجم العربية ،

فشرحها بالفرنسية وأشار إلى مصادرها وفق منهج علمي رصين ... وكانت مصادر "دوزي" الأساسية ، كتب التراث المنشورة والمخطوطة، التي تناولت شتى الموضوعات التاريخية وكتب التراجم والرحلات والكتب الأدبية والطبية والعلمية وقصص ألف ليلة وليلة وكتاب الأغاني... إلخ .

وفي بداية القرن العشرين ، وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، وإعلان استقلال الدولة العربية السورية ، انطلقت حركة مباركة للتعريب وإعادة السيادة للغة العربية الفصيحة في أوطانها . فبدأ التعريب في جميع نواحي الحياة الحضارية والعلمية ... وتأسس الجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩١٩م ، وأنشئ معهد الطب العربي بدمشق ، يدرس جميع موضوعات الطب باللغة العربية ، وكذلك أنشئ معهد الحقوق وأصبحت العربية لغة التدريس الجامعي... وأقبل رجال العلم والفكر واللغة على التعريب الشامل في دواوين الدولة وفي المؤسسات العلمية وفي ألفاظ الحياة العامة. وتجاوب رجال

الفكر العربي في مختلف أقطار العروبة ، لهذه الحركة المباركة في بلاد الشام .

وفي هذا العرض الشامل للمسيرة التاريخية لموضوع ألفاظ الحضارة أو ما سميناه ألفاظ الحياة العامة ، نجد لزماً علينا أن نشير إلى مقالات أحمد تيمور التي نشرتها مجلة الجمع العلمي العربي بدمشق سنتي ١٩٢٢م و ١٩٢٣م تحت عنوان: "تفسير الألفاظ العباسية في "نشوار المحاضرة" . وكان الجزء الأول من هذا الكتاب ، قد نشر في ذلك الوقت ، وهو كل ما وجد في خزانة باريس ، على حد تعبير أحمد تيمور. يقول صاحب المقال^(١): "نشوار المحاضرة من خير كتب المحاضرات وأمتعها ، كنا نسمع به فنشتاقه ونرى نقولاً عنه فنزيد إليه شوقاً ...".

إلى أن يقول : " وقد طالعت هذا الجزء ، فعثرت فيه على طائفة من الألفاظ العباسية الكثيرة الورود في أخبار ذلك العهد، وغالبها لم تتعرض المعاجم التي بأيدينا إلى ذكره ... وإنما قلنا العباسية من باب التغليب لأن جلها من الألفاظ الحادثة في العصر العباسي الأول إما

بالتوليد والتعريب أو بالاستعمال في غير ما وضعت له بضروب من التجوز والتوسع ...". وبعد أن يتحدث أحمد تيمور عن الصعوبات التي جابهته في مثل هذه المباحث ، يقول موضحاً منهجه: "وقد اكتفيت في هذه الألفاظ ببيان أصولها وتوضيح معانيها غير متعرض لحكم استعمالها عند أئمة اللغة ولا ملتزم ذكر ما يقابلها من الفصيح تجنباً لأيقاظ فتنة نائمة وإثارة جدال عقيم جربناه مراراً، فلم نفترق فيه على وجه جميل ...". وربما كان من المفيد أن نورد نصاً من هذا العمل اللغوي الرائد يبين منهجه في البحث . فقد انطلق الباحث من اللغة العربية، يتبعها من خلال النصوص لتوضيح معناها. فقد تناول كلمتي "الثَّناء والأَكْرَة" قائلاً : ذكر [أي التلوخي في نشوار المحاضرة ، وهو الجزء الوحيد المعروف في ذلك الوقت] في "ص ٤" : في أصناف الناس الذين أورد أخبارهم في الكتاب " الثَّناء والمزارعين . وأرباب الخراج والأرضين . والأَكْرَة والفلاحين".

الثَّناء والأَكْرَة لفظان كادا يكونان خاصين بالعصر العباسي الأول ، ولو تتبعتهما لوجدتهما كثيري ورود في أخباره ، ثم يأخذان في القلة بعد ذلك إلى أن لا ترى لهما أثراً من الذكر . أما الثَّناء بضم الأول وتشديد النون فجمع " تانيء " وقد ورد في قوله (٨٨) وكان أبوه شاهداً جليلاً تانيئاً موسراً " . وورد الثَّناء في "أحسن التقاسيم للمقدسي في وصفه لشيراز وأهلها (ص ٤٣٠) بما نصه: "ولهم خصائص وصنائع وعقل ودهاء ومعروف وصدقات وبهاء ومشايخ ووجوه وثَّناء". وفي تاريخ الوزراء للصابي "ص ٢١٠" أنفذ في درجه كتاباً في جلد يضمن فيه المال والدم وقد شهد فيه جماعة الشهود والوجوه والثَّناء في البلد " . ومعنى التانيء الدهقان أي رئيس القرية وحاكمها . والظاهر أنهم أطلقوه أيضاً على العين من أعيان الزراع وإن لم يكن متولياً شؤون قريته ، كما يطلق المصريون الآن " العمدة " على دهقان القرية ، وعلى الوجيه السري من أعيان الريف . أما الأَكْرَة

بفتحيتين فجمع أكار بالفتح وتشديد الكاف وهو الزَّرَّاع ... إلخ^(١) .

ويواصل أحمد تيمور بحثه وفق هذا المنهج اللغوي العلمي ، فيتحدث عن الألفاظ الآتية : أصحاب الستائر والمقيسون ، والمتقايون ، والقماحيون والمقالون ، والزراق والأنبجاء .

وفي تمة هذا المقال يواصل البحث ، فيتحدث عن الألفاظ الآتية : التفار والمكسود والهييب والزوبيئات والنقرة والسكبا^(٢) .

ثم يتحدث أحمد تيمور عن الألفاظ الآتية وفق المنهج ذاته : الجذر ومخلط خراسان ، والفيج والكيثاني والمتخلف^(٣) . ويتابع بحوثه في تفسير الألفاظ العباسية في كتاب " النشوار " في المجلة ذاتها في الجزء السابع وفي الجزء الثامن وفي الجزء الحادي عشر ... هذا مع العلم أنه لم يكن بين يديه إذ ذاك سوى الجزء الأول ، وهو كل ما كان يعرف من كتاب "النشوار". لقد وضع أحمد تيمور ، رحمه الله من خلال هذه البحوث ، منهجاً علمياً حياً.

إن القيام بتجريد التراث العربي، من كتب ومصنفات ومعاجم ودواوين لاستخراج الألفاظ العربية التي تعنى بمختلف شؤون الحياة العامة ، وإن إنجاز هذا العمل اللغوي المهم يقع على عاتق الجامع اللغوية العربية ومراكز البحوث العلمية في الجامعات. وسيكون عند إنجازه مصدراً مهماً من المصادر التي تعيننا على وضع الألفاظ والمصطلحات الجديدة، مما تفتقر إليه العربية في العصر الحديث .

وإن إشارة أحمد تيمور إلى " الفتنة" التي لا يرغب في إيقاظها ، -على حد تعبيره- إنما هي إشارة إلى تيارين كانا محتدمين في ذلك الوقت. فتيار يرى التعبير بالألفاظ الدارجة على الأفواه ولاسيما فيما يتصل بالميدان الحضاري الشامل للحياة العامة، وهذا يعني طغيان العامي والدخيل . وتيار آخر يرى الإفصاح في التعبير عن ذلك كله ، تارة بالتنقيب في مكائز اللغة عن الكلمات العربية التي تدل من قرب أو بعد علي ما طأ من المسميات ، مادية كانت أو معنوية ، وتارة باستحداث ألفاظ وصيغ من المادة

العربية الصميمة ، تسد الحاجة إلى التعبير الحضاري في حياتنا الراهنة . وهذا ما فصل الحديث عنه عضو مجمع اللغة العربية المرحوم محمود تيمور في مقدمة مؤلفه "معجم الحضارة"^(١).

إن الإشارات التي نتلمسها في هذه المقدمة النفيسة تحملنا على الاعتقاد بأن محمود تيمور كتبها في النصف الثاني من عقد الخمسينات . وأعلن عن انتصاره للفصحى وغلبة تيارها ، فيقول: " ولم يبق كبير جدال في أننا إلى الفصحى جاثقون، وعن الدخيل والعامي متجافون، وحسبنا أن الفصحى هي في يومها الحاضر - كما كانت على توالي الحقب ، في حضارة العرب - لغة علم ومعرفة للأمة العربية ... لذلك بات من واجبنا أن نتمكن لهذه الفصحى ، في ميدان التعبير الحضاري الشامل للحياة العامة : في البيت والمصنع والمتجر والسوق ، حتى يجد الكاتب حاجته منها، سهلاً منالها ، حين يتوق إلى الإفضاء بما يخطر لفكره من معنى، أو يعالج وصف ما يقع تحت عينه من أداة ...".

وفي خضم هذا الجدال ، يجهر محمود تيمور بدعوته انتصاراً للفصحى فيقول : "حرصت على أن أجهر بالدعوة إلى "تفصيح" أدوات الحضارة أو "تحضير" كلمات الفصحى ... فتناولت بالبحث والنقد ما تفرق من ألفاظ في الكتب والصحف وما إليها من المطبوعات ...".

وربما كان من المهم أن نورد هنا ما عرضه محمود تيمور الكاتب القصصي والمجمعي اللغوي حول ما يخامر مشاعر الكتاب من ضيق أمام عجز لغة الكتابة عن التعبير الدقيق عن شؤون الحياة العامة، يقول: "فالكاتب يعيا بوصف مخدع أو مائدة أو نحوهما ، إلا أن يختار أحد أمرين أحلاهما مر ، فإما أن يحشد على قلمه الكلمات الأجنبية أو العامية ، وإما أن يتخذ للتعبير ألفاظاً فصيحة مجفوة لم تأنس بها الأسماع".

ونحن نعتقد أن هذه هي القضية الشائكة. أما معجم ألفاظ الحضارة فهي كلمات الحياة العامة التي تستعمل في البيوت والشوارع وعند أصحاب المهن وفي المدارس والمكاتب ودور الفن واللهو

وغيرها ... وهذه الألفاظ على حد تعبيره:
"إنما هي خلايا حية في بنية اللغة العربية،
تنبها جديداً من النمو والثراء والشمول".

ولاشك أن صلة "ألفاظ الحضارة"
بجماهير الناس ، على مختلف شرائحهم
الاجتماعية وتباين أذواقهم ، تلقي ضوءاً
على الصعوبات التي تكتنف وضع هذه
الألفاظ وإشاعة استعمالها .

ويبدو ، كما أشار صاحب "معجم
الحضارة " في مقدمته أن جمع اللغة
العربية بالقاهرة قد تصدى لهذا الموضوع
اللغوي الحضاري ، منذ نشأته في
الثلاثينيات من هذا القرن . يقول محمود
تيمور : "أقبل الجمع على المسميات
الدائرة في الحياة العامة، يحاول أن يتخذ
لأسمائها الأجنبية بديلاً مستمداً من الكلم
الفصاح . ذلك كان منذ سنين أوفت
على العشرين ، فاستقبل الجمهور كلمات
الجمع في شؤون الحياة العامة بما يستقبل
به الداخل فيما لا يعنيه .

أنكر الناس من الجمع أن يراقب
أقواهم فيما يتناقلونه من كلمات البيوت
والشوارع والأسواق ... ولم يجد الجمع

بداً من أن يترك هذا الميدان العام ، ريثما
ينفتح في شأنه وجه من الرأي والتدبير ،
وأن يصرف جهده إلى ميادين خاصة، هي
مصطلحات العلوم والفنون ، تلك التي
تجري في معاهد التربية والتعليم ...".

وفي موقف الجمع حيال هذا التيار
الساخر وتقوليات المعترضين من أصحاب
الأقلام اللاذعة والألسنة الحادة ، يقول
صاحب معجم الحضارة: "أمسك الجمع
عن ألفاظ الحضارة الدائرة في الحياة
العامة، وأغلبها دخيل على العربية غير
فصيح ، ولعله أمسك على مضض ، أو
لعله أمسك إلى حين ...".

ويثقل محمود تيمور إلى الحديث عن
أصالة النزعة إلى العربية الفصيحة في
نفوس الناطقين بها ، وأنها كامنة في أذواق
أدباء العربية وكتابها . يقول: "لقد أخذ
الجمهور. ينهض بهذا العبء الذي كان
الجمع يريد النهوض به وحده منذ عشرين
سنة مضت أو تزيد . ذلك هو الجمهور
يضع لنفسه ألفاظ الحضارة عربية فصيحة،
فهو يسهم في تحقيق أغراض الجمع مريداً
أو غير مريد، وأولئك هم الكتاب

يشيرون من فصيح ألفاظ الحضارة ما
يشيرون ...".

وفي هذا العرض التاريخي الدقيق
لمسيرة "معجم ألفاظ الحضارة" ، يرسى
محمود تيمور قواعد منهجيته في هذا
الميدان اللغوي، الذي اقترن باسمه رحمه
الله، منذ استقبل عضواً في الجمع سنة
١٩٥٠م، على حد تعبير المرحوم بدر
الدين أبو غازي . يقول: "هذه عشرات
بل مئات من كلمات تتمثل للأعين في
الصحف السيارة ، والنشرات العامة ،
وضعتها من الكتاب فريق ، فاستعملها
منهم فريق ، وإذا هي مدد في لغة
الجمهور بين كتاب وقراء... لم يكن لي
من عمل في كثير من هذه الكلمات إلا
أنى أرصدت له بعض الوقت، فتلقفته من
هنا وهناك : حفيّا به ، آملاً أن يحله الجمع
محلّه من النظر والتمحيص " ... ويختم
حديثه قائلاً : "هذا حصاد الناس وتلك
ثمارهم ...".

إنه يرى منهجاً متكاملًا في وضع
المعجم الحضاري ، يشارك فيه جمهور
الناس وعامة الكتاب والعلماء إلى جانب

المؤسسات اللغوية . ونحن نعتقد أن الجامع
اللغوية العربية هي صاحبة الشأن من
خلال "اتحاد الجامع اللغوية العربية" في
النظر والتمحيص وإسباغ الشرعية على
المولود الجديد أمام الطغيان الأجنبي
الدخيل من ألفاظ الحضارة الحديثة .

ولا شك أن هذا يقودنا إلى ضرورة
وضع منهج علمي محدد ، للتعبير عن
المصطلحات الجديدة في ميادين العلوم
والفنون وأدوات الحضارة الحديثة .

وبعد حوالي عقدين من الانقطاع
أعاد مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، الكرة
للخوض في موضوع ألفاظ الحضارة
الدائرة في الحياة العامة ، وبعد أن أمسك
عنها على مضض ولعله " أمسك إلى حين
" على حد تعبير محمود تيمور ، رحمه الله،
وجاءت الوقائع لتؤكد أنه " أمسك إلى
حين " ...

وكان للجنة ألفاظ الحضارة في الجمع
جهود خيرة . وتدل الوقائع التي بين أيدينا
أن اسم المرحوم الأستاذ محمود تيمور قد
اقترن بألفاظ الحضارة منذ استقبله مجمع
الخالدين سنة ١٩٥٠م .

ويقول الأستاذ بدر الدين أبو غازي في تصديره "معجم ألفاظ الحضارة ومصطلحات الفنون" ^(١) : "استأثرت ألفاظ الحضارة بجهد تيمور واستنفدت معظم طاقاته في السنوات الأخيرة . وكان يترصد لكل جديد من الكلم ويلاحق ما يظهر من ألفاظ في الحياة العامة ويحله محل النظر والتمحيص ...". ويشير أبو غازي إلى اهتمام المجمع الكبير بألفاظ الحضارة فيقول: "وسرى في هذا الميدان من ميادين عمل المجمع نشاط كبير ، ظل متصلاً بعد رحيل تيمور حين تولى ألفاظ الحضارة المؤرخ الجليل الأستاذ محمد رفعت ، ثم أعقبه العالم الأديب الأستاذ محمد خلف الله أحمد ...".

وقد لا نعدو الصواب ، إذا قلنا : سار المجمع في إقراره ألفاظ الحضارة ، على غرار منهجه في وضع المصطلحات العلمية في مختلف العلوم والفنون وإقرارها . وساد الاتجاه بالبدء بالمصطلح الأجنبي ، بالإنجليزية والفرنسية ، ثم يوضع ما يقابله باللغة العربية ، مع شرح واضح ودقيق باللغة العربية ، وقد يكتفي بلفظة أجنبية

واحدة . وتوالت أعمال لجنة ألفاظ الحضارة وشملت مصطلحات الفنون في حقبة من الزمن . وأصبحت لها مكانة مهمة بين مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي يقرها المجمع في مؤتمره السنوي. وربما كان من المفيد أن نورد بعض المقتطفات مما أقره مؤتمر المجمع في دورته السنوية . ومنها مثلاً : ^(٢)

- المنفضة أو الطفاية Cendrier

الوعاء الصغير الذي تطفأ فيه لفائف الدخان وتلقى فيه الأعقاب .

- قطاعة الورق - المقطع

Coupe - Papier, Paper Knife

أداة لفتح الرسائل والصحائف .

- الأريكة (كنبة) Canapé - Sofa

مقعد طويل يتسع لجلوس بضعة أشخاص وله عادة ظهر يعتمد عليه في الجلوس .

- موقد غاز Boutagaz

ذو شعلة أو شعلتين أو أكثر .

ومثال آخر ^(٣) يتناول مصطلحات ألفاظ الحضارة في صناعة الكهرباء ، وحرفة تشكيل الحديد بالتسخين والطرق ، والسباكة ، والرقص ، وألفاظ حضارية مختلفة.

وجاءت ألفاظ صنعة الكهرباء في خمسة

وأربعين مصطلحاً ، وألفاظ حرفة تشكيل

- قائد الفرقة الموسيقية Chef d'orchestre

الحديد بالتسخين والطرق (الحدادة) في

- رصيف (كورنيش) Corniche

خمسة عشر مصطلحاً ، والسباكة في سبعة

الطريق المرصوف الذي يحف بالبحر أو
النهر .

وخمسين مصطلحاً ، والرقص في اثني عشر

- التجميل Make up

مصطلحاً . وسلك المجمع في هذه القوائم

التزويق أو الزواق .

المنهج السابق ، ومنها:

الخامة : Raw Material

ومثال آخر من مصطلحات ألفاظ

المادة الأولية التي لم تجر عليها عمليات

الحضارة التي أقرها مؤتمر المجمع بالاشتراك

التشكيل ، أي أنها المادة الأولية قبل أن

مع المجمع العلمي العراقي ، في الجلسة

تعالج . (والخام ما لم يعالج) .

الخامسة للمؤتمر بتاريخ ١٩٦٧/٢/٤ م.

وورد في هذه المجموعة العنوان التالي :

وكان عددها مئة وأربعة مصطلحات .

ألفاظ حضارية مختلفة (وضعها الأستاذ

وجاءت وفق المنهج التالي ^(١) :

المصطلح الأجنبي	البيان	اللفظ المقترح الذي وافق عليه المؤتمر	اللفظ الشائع
Air conditioning (E) Air conditioné (F)	عملية يؤديها جهاز خاص يعدل جو المكان بالتبريد أو التدفئة.	تكييف الهواء	- تكييف الهواء
Ice Box (E)	صندوق يوضع فيه الثلج لتبريد الأشياء .	مُبرِّدة	- الثَّلَاجَة
Refrigerator (E) Refrigerateur (F)	خزانة محكمة الإغلاق تحفظ ما يوضع فيها من أطعمة ونحوها في جو مثلوج .	الثلاجة	- الثَّلَاجَة
Freezer	مكان في الثلاجة تبلغ في البرودة درجة التثليج.	المثلجة	- الفريزر

وربما كان من المفيد أن نشير إلى مثال آخر في المنهجية التي اتبعها الجمع في موضوع مصطلحات ألفاظ الحضارة القديمة . وقد جاءت في مئة وأربعة مصطلحات ، تحت عنوان (علم المصريات) (ايجبتولوجي Egyptologie)^(١) وكان منهج الجمع في هذا الموضوع ، بأن رتب الألفاظ وفق حروف الهجاء اللاتينية ، ووضعت المصطلحات بالفرنسية والإنجليزية والألمانية ، ووضع مقابلها المصطلح باللغة العربية . ومن الواضح أن المنطلق كان من المصطلح الأجنبي ...

واستمر الجمع بالقاهرة في هذا العمل الدؤوب . وحرصت لجنة ألفاظ الحضارة أن تقدم إلى مؤتمر الجمع في كل عام حصادًا وفيرًا ، وبعد أن توافر لدى الجمع نتاج خصب ، رأى أن يفرد لهذه الجهود الخيرة معجمًا خاصًا أطلق عليه تيمناً " اسم " معجم ألفاظ الحضارة " .

وقامت اللجنة المكلفة بهذه المهمة باستعراض قوائم الألفاظ والمصطلحات التي يمكن إدخالها في هذا المعجم ، ثم

صنفتها في أقسام شملت الكثير من ألفاظ أدوات الحياة الحديثة وكذلك من ألفاظ الحرف والصناعات والتربية الرياضية ... وقسمت عملها إلى قسمين : القسم الأول ويشتمل على ألفاظ الحضارة واشتمل أولاً : على الثياب وما يتعلق بها والمأكولات . والمنزل والأدوات المنزلية . وثانياً على الأماكن وما يتعلق بها ، والمكتب وأدواته ، والمركبات وما يتعلق بها ، والحرف والصناعات والمواد المستخدمة فيها .

واشتمل الفرع الثالث على التربية الرياضية وعلى ما سمي بألفاظ متنوعة .

أما القسم الثاني فيشتمل على ألفاظ الفنون التشكيلية ومصطلحاتها ، وعلى مصطلحات الرقص والموسيقا وكذلك على مصطلحات السينما .

ومن الواضح أن مصطلحات الفنون الجميلة جديرة بأن تكون في معجم خاص بها كما هو الشأن في مختلف العلوم . وبالفعل فقد تشكلت في الجمع فيما بعد لجنة خاصة بمصطلحات الفنون .

وأشرف على هذا المعجم المرحوم الأستاذ بدر الدين أبو غازي عضو الجمع، وصدره بكلمة مهمة تلقي الضوء على أهمية هذا العمل اللغوي، والمراحل التي مر بها. ومن هذه الجوانب المهمة ما يتعلق بالمنهج الذي سلكه الجمع في وضع مصطلحات ألفاظ الحضارة وإقرارها. فقد نظر إلى معجم ألفاظ الحضارة الحديثة، بأنه نوع فريد، على حد تعبيره، بين المعجمات في فروع العلوم المختلفة. فهو بحصاد جهد سنوات طوال لتطويع اللغة العربية لمواجهة كل مستحدثات الحضارة الحديثة. وربما كان من المهم أن نلفت الانتباه إلى عبارة "مستحدثات الحضارة الحديث"، وهي كما نراها المهمة الرئيسة التي انبرى لمعالجتها الجمعيون والكتاب والصحفيون ... وتأتي قضية الإجماع على "ألفاظ الحضارة"، لتلقي بظلالها في معترك الشيع والاسعمال وتفاوت الأدوات والأغراض ... والسهولة والصعوبة، وهوية الانتماء إلى العربية الفصيحة أو الدخيل العامي.

ويشير أبو غازي إلى هذا السجل المستمر، حول أهدي الطرق وأوضح المناهج لاستيعاب العربية ما يجد من مصطلحات، فيقول في تصديره: "وطالما دار بين الجمعيين سجال حول الوسائل التي يمكن التذرع بها لتزويد اللغة العربية بمصطلحات. الجديد في ميادين الحضارة الحديثة. فمن الجمعيين من رأى الأخذ من ألفاظ السوق، ما يتفق وقياس العربية واستبعاد ما يخالفها، ومنهم من ناقش فكرة أخذ الأسماء التي يطلقها الصناع وأصحاب الحرف على آلاهم وأدواتهم دون أن تناقش وتلمس وجه الصواب فيها ...

ولاحظ بعضهم أن كثيراً من ألفاظ السوق يستخدم في مصر وغير مصر من البلاد العربية، ومعنى هذا أنه قديم وصحيح وإن كانت المعاجم لم ترصده. وأجاز الجمعيون في مساجلاتهم القديمة تعريب المسميات الإفرنجية، ورجحوا التعريب على قبول كلمات عربية محرفة. كما تعقبوا استعمال الجمهور لألفاظ عربية بحثة ساقتهم إليها سليقتهم ...

وأفسحوا السبيل في ألفاظ الحضارة إلى
الاشتقاق الذي يقبله الناس ...

ولا شك أن هذه القضايا جميعها ،
التي أوردها المرحوم أبو غازي ، قد
وجدت طريقها إلى مجال الحوار
والمساجلات ، وعلى صفحات الجرائد
والمجلات ... وفي جميع الأحوال لا تعدم
من ينتصر لهذا القول أو لذاك .. ونحن
نعتقد أن جميع هذه الأفكار المهمة تسهم
في وضع منهج علمي سليم يتصف
بالحيوية والمرونة ويكفل إرساء القواعد
العامة لوضع معجم عربي موحد لألفاظ
الحضارة في العصر الحديث .

وكان للجهود الفردية للعلماء
والكتاب والباحثين ، آثار مهمة في ميدان
ألفاظ الحضارة في العصر الحديث .
وأرى من الواجب أن تؤخذ هذه الجهود
في الحسبان في مرحلة الجمع والاستقصاء
وفي إطار خطة شاملة ومتكاملة لوضع
معجمنا العتيق ، المعجم العربي الموحد
لألفاظ الحضارة في العصر الحديث .
ويحضرني في هذا المجال ذكر معجمات
ألفاظ الحياة الاجتماعية في دواوين

الشعراء ، ومعجمات ألفاظ الحياة
الاجتماعية في أدب أهم الكتاب العرب
قديمًا وحديثًا ، وسلسلة المعاجم التي
أعدها المجوعي الجليل الأستاذ عبد العزيز
بنعبد الله ، بالرباط في مختلف المهن
والحرف ، وإن كان قد اقتصر في منهجه
على البدء بالألفاظ الفرنسية ووضع
مقابلاتها العربية ، ونذكر أيضًا العمل
القيم الذي أنجزه العالم التونسي الدكتور
أحمد ذياب في " أدوات الحضارة " ، وما
احتواه من صور الأدوات الجراحية
لتوضح الأدوات كلما عرضت على عامة
المثقفين وأهل الاختصاص .

وخلاصة القول ، فإن فكرة وضع
معجم عربي شامل لألفاظ الحضارة في
العصر الحديث ، كانت تراود مؤسساتنا
اللغوية والعلماء والكتاب الغياري على
لغة أمتهم ، اللغة الجامعة ، لغة القرآن
الكريم والحديث النبوي الشريف ، لغة
العروبة والإسلام منذ مطلع هذا القرن .
وإن الجهود الخيرة التي أشرنا إليها في هذا
الحديث الشامل هي لبنات مهمة في بناء
المعجم الموحد لألفاظ الحضارة ... وكان

للأفكار التي طرحت على مدى هذا القرن، والجهود التي أنجزت في هذا الميدان اللغوي الحضاري العروبي، آثارها العميقة في القرار الذي اتخذته اتحاد الجامعات اللغوية العربية بوضع المعجم العربي الموحد لألفاظ الحضارة في العصر الحديث وذلك في اجتماعه الذي عقد بالقاهرة في آذار (مارس) سنة ١٩٩٧م، في مقر الاتحاد بمجمع اللغة العربية، برئاسة رئيس الاتحاد الأستاذ الجليل الدكتور شوقي ضيف. فقد رأى مجلس الاتحاد أن يتولى كل مجمع وضع مشروع لمعجم ألفاظ الحضارة في قطره، وترسل مشاريع المعجمات جميعها إلى الاتحاد، لإدخالها في الحاسوب، والانتهاء بإصدار معجم عربي موحد لألفاظ الحضارة في العصر الحديث على مستوى الوطن العربي.

لقد شغلني موضوع "معجم ألفاظ الحضارة" منذ سنين، ويحزني عدم وجود معجم أو مصدر عربي يمكن أن يعود إليه الكاتب العربي أو متعلم العربية من غير الناطقين بها، إذا ما أراد أن يعبر

عن حاجات الحياة العامة وأدواتها الحضارية، بلغة عربية سليمة. وهنا يلتقي الكاتب القصصي والصحفي والإذاعي في مختلف وسائل الاتصالات الجماهيرية وكذلك مؤلفو الكتب المدرسية والمربون والمسؤولون في النقابات المهنية والحرفية عن التطور الثقافي والمهني بين أصحاب المهن والحرف... إنهم جميعاً يلتقون في شعورهم بعدم وجود معجم موحد يمددهم بسهولة ويسر، بما يريدون التعبير عنه من مصطلحات مهنيهم وألفاظ الحياة العامة... ولذا نرى طغيان العاميات والألفاظ الأجنبية على أقلام الكتاب والمذيعين، إذا استثنينا بعض ذوي الاجتهاد والغيرة على العربية ووحدة ثقافتها...

وإذا نظرنا حولنا إلى الأمم المتقدمة، نجد أنها قد عيّنت أشد العناية بلغاتها القومية، ووفرت جميع الإمكانيات المادية والفكرية لخدمة أهدافها... فوضعت المعاجم اللغوية بأنواعها ومستوياتها المختلفة ووضعت المعجمات العلمية

المتخصصة . وحرصت على أن تشمل معجماتها العامة الألفاظ التي تعبر عن حاجات الحياة العامة ، التي يحتاجها كل مواطن في حياته اليومية .

وربما كان الواجب يقضي علينا أن ننظر إلى وضع " المعجم العربي الموحد لألفاظ الحضارة في العصر الحديث " ، من خلال هذه الأبعاد التي أشرنا إليها ، ومن خلال تجارب الأمم المتقدمة التي سبقتنا في هذا المضمار . وإن الخبرة في الحاسوب وبرمجياته واستعمال التقنيات الحديثة المتقدمة ، تحتل مكانة أساسية في تنفيذ هذا المشروع اللغوي العربي ، على مستوى الوطن العربي . وإن الهدف الذي نحدده لأنفسنا يمكن أن نجمله بأن نصدر معجماً عربياً لألفاظ الحضارة في العصر الحديث ، بحيث لا يتعدى المدلول الواحد اللفظة أو اللفظتين . ولا يدور في خلدنا أن تفرض ألفاظ هذا المعجم فرضاً قهرياً على السنة وأقلام الكتاب ، ولكن ليكون مرجعاً يسهل الوصول إليه إلى كل من يريد أن يفيد منه في مختلف الشؤون الثقافية ولاسيما فيما يتعلق

بوسائل الاتصالات الجماهيرية التي باتت تتجاوز أقطارها المحلية إلى أقطار الوطن العربي بل وإلى الناطقين بالعربية في العالم أجمع .

ونحن نرى أن أهداف هذا المعجم ، وطبيعة تكوينه ، تجعله يختلف كثيراً من حيث المنهج عن الأعمال المهمة السابقة . فتلك الأعمال تكون رافداً من روافده المهمة .

لاشك أننا أمام عمل لغوي كبير ، جعله اتحاد الجامعات اللغوية أحد أهدافه في رعاية العربية وتقديمها بل ورعاية وحدة الأمة العربية وتوطيد دعائم وحدتها الثقافية . وإن من أهم مقومات نجاح هذا العمل ، أن يؤمن القائمون عليه بأهميته والشعور بالحاجة إليه .

لقد استجاب مجمع اللغة العربية الأردني ، لقرار اتحاد الجامعات اللغوية العربية . وناقش مجلس المجمع هذا الموضوع ، ووسائل تنفيذه في عدة جلسات . وألف لجنة خاصة بمشروع المعجم العربي الموحد لألفاظ الحضارة برئاسة رئيس المجمع وعضوية ستة من

أعضائه . وعقدت اللجنة اجتماعها الأول مساء الأربعاء ٢٧/٢/١٤١٨هـ الموافق ١٩٩٧/٧/٢ م . وتوالت الاجتماعات لبحث هذا المشروع اللغوي المهم . وقد خلصت إلى الأفكار التالية :
أولاً: إن وضع معجم عربي موحد لألفاظ الحضارة في العصر الحديث ، عمل لغوي وقومي جليل . وإن هذا العمل الجماعي الذي تبناه مجلس اتحاد الجامع اللغوية العلمية العربية ، والذي سينجز بصورة جماعية على مستوى الوطن العربي ، ليحتم علينا وضع خطة عمل موحدة يصدرها اتحاد الجامع ، وتلتزم بها الجامع اللغوية والمؤسسات العربية التي ستشارك في إنجاز المعجم الحضاري ، وذلك توجهاً لدقة المعلومات وتوحيداً لمنهج العمل . ومن الضروري أن تحدد هذه الخطة أهداف المشروع والمدة التي يحتاج إلى إنجازها .

ثانياً : يهدف المشروع إلى أن يقوم كل مجمع من مجامع اللغة العربية بحصر أقصى ما يستطيع حصره من ألفاظ الحضارة والحياة الاجتماعية في قطره . ويعمل كل

مجمع على تخزين هذه الألفاظ في الحاسوب وفق منهجية واضحة ودقيقة على مستوى الوطن العربي .
ثالثاً : بات من الضروري أن تحدد منهجية العمل التي يصدرها الاتحاد ، حجم العمل ومجالاته . فالحضارة موضوعاتها شاملة للحياة الاجتماعية ، وحصر مفرداتها يقتضي منا تقسيمها إلى مداخل موضوعات ومجالات إذا أردنا الشمول . فألفاظها ليست محصورة في مسميات الأدوات وإنما تتناول الألفاظ الدالة على الحياة الاجتماعية بمختلف محاورها .

رابعاً : الحاسوب جهاز أساسي وضروري في جميع مراحل هذا المشروع ، لأنه يسهل عمليات التخزين والاسترجاع والفرز وما إلى ذلك .
وفي ضوء هذه الأفكار والمعطيات المتوافرة لدينا حول هذا المشروع اللغوي القومي المهم ، خلصنا إلى التصور التالي ، في خطوطه العريضة .

يهدف مشروع المعجم العربي لألفاظ الحضارة في العصر الحديث ، إلى

وضع معجم لألفظ الحياة العامة في الوقت الحاضر. ويمر هذا المشروع بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى : القيام برصد جميع ألفاظ الحضارة المستعملة في كل قطر عربي، وتخزينها في الحاسوب وفق منهجية معينة . ويكون للمبرمج الحاسوبي دوره . وتخزن أيضاً جميع ما أنتجته المجامع اللغوية العربية من ألفاظ الحضارة ، وما نشرته من معجمات في هذا الباب .

المرحلة الثانية : تقوم لجنة من الخبراء بدراسة الألفاظ الحضارية التي جرى تخزينها في الحاسوب ، وفق منهجية معينة، على مستوى القطر الواحد . وتنتهي بمشروع لألفاظ الحضارة ، لا يتجاوز المدلول الواحد اللفظتين .

المرحلة الثالثة : ترفع المجامع اللغوية العربية عملها إلى رئيس اتحاد المجامع اللغوية ، وتخزن جميع هذه المشاريع في الحاسوب وفق منهج معين يحدده خبير في برامج الحاسوب . ويكلف اتحاد المجامع خبراء من مختلف الأقطار العربية لدراسة وغربلة هذه المشاريع ، والوصول إلى

معجم موحد، لا يتجاوز المدلول الواحد منه اللفظتين . ويعتمد الخبراء في منهج اختيارهم الألفاظ ، قواعد عدة ، منها الشيوخ والفصاحة والسهولة وما هو موجود في التراث ، ومعايير أخرى يتفق عليها .

وفي ضوء ذلك انطلقت لجنة مشروع المعجم العربي الموحد لألفاظ الحضارة في مجمع اللغة العربية الأردني إلى تحديد معالم تنظيم هذه العملية ، وخلصت إلى ما يلي:

تكون لجنة " مشروع معجم ألفاظ الحضارة " ، التي ألفها مجلس المجمع لجنة توجيهية ، لإنجاز هذا المشروع في الأردن. ويقسم العمل على أربعة مراكز، تنظم جغرافياً وسكانياً الأردن بكامل مناطقه ، وجميع شرائحه الاجتماعية وهي : مركز الجامعة الأردنية ، ومركز جامعة اليرموك، ومركز الجامعة الهاشمية، ومركز جامعة مؤتة .

ويتألف كل مركز من لجنة ومجموعة من الباحثين . وتتألف كل لجنة من السلجان الأربع من رئيس وعضوين من

أعضاء هيئة التدريس والمتخصصين .
وتكون مهمتها اختيار الباحثين وتحديد
عددهم ورسم خطة العمل ، والإشراف
عليها ، وتمحيص المعلومات وتقديم ذلك
كله إلى الهيئة العامة .
وتتكون الهيئة العامة للمشروع من
أعضاء لجنة مشروع معجم ألفاظ
الحضارة ورؤساء المراكز الأربعة ،
وتجتمع بشكل دوري لمتابعة تنفيذ العمل.
ويحرص الجمع على أن يتمتع رؤساء
المراكز والباحثون بروح عمل الفريق
وحسن التفاهم ، والإيمان الصادق بأهمية
المشروع ، والرغبة الأكيدة في إنجاحه.
وقد وضعت اللجنة ، النموذج الذي
سيوزع على الباحثين على الوجه التالي:

بسم الله الرحمن الرحيم

بجمع اللغة العربية الأردني

مشروع معجم ألفاظ الحضارة

١- اسم الموقع	٢- البيئة	٣- المهنة	٤- المجال	٥- الموضوع
٦- المصطلح (مضبوطاً بالشكل)		٧- تعريف المصطلح :		
٨- أصل المصطلح		٩- توضيح المصطلح بالرسم عند الضرورة		
١٠- اسم الباحث :				
توقيعه :				

ويفهم من المجال : البيت والمدرسة
والمسجد والشارع والحقل / المزرعة ،
والجامعة/ الكلية ، والمستشفى/ العيادة،
والمختبر، والمركز الصحي ، والمصنع/
المشغل، والدائرة الحكومية، والمتجر،
والفندق ، والمقهى ، والملهى ، والمتحف

والكنيسة والنادي والمرآب ومؤسسات
الرعاية الاجتماعية ، والمهن بأنواعها
والمواد، والآلات والمعدات ، والنشاط
الرياضي ، والمكتبات والمسرح والعلاقات
الاجتماعية ... إلخ .

ويفهم من الموضوع ما يشتمل عليه
المجال ، فموضوعات البيت مثلاً :
أنواعه، أجزأؤه ، محتوياته (الألبسة ،
المطعومات، المشروبات، الأثاث ،
الأدوات ... إلخ).

وخلاصة القول ، فإن هدف هذا
المشروع هو جمع ألفاظ الحياة العامة

المستعملة في مختلف جوانب حياتنا في
الأردن ، وضبطها وتصحيحها
وتفصيلها ، وإقرار مصطلح واحد أو
مصطلحين اثنين للمفهوم الواحد ،
وتقديم المشروع الأردني لمعجم ألفاظ
الحياة العامة إلى اتحاد الجامع اللغوية
العربية للوصول ، إن شاء الله ، إلى وضع
معجم عربي موحد لألفاظ الحياة العامة
في العصر الحديث على مستوى الوطن
العربي . ونسأله تعالى الرشاد والتوفيق.

عبد الكريم خليفة
عضو المجمع من الأردن

المصادر والمراجع

- ١- ابن منظور ، لسان العرب ج^{٦-١} ، دار المعارف ، القاهرة .
- ٢- أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده (المتوفى سنة ٤٥٨هـ) ، المخصص .
- ٣- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (١٥٠هـ - ٢٥٥هـ) ، البيان والتبيين ، ج^١ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م .
- ٤- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، كتاب الحيوان ، ج^{٨-١} ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، بيروت ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
- ٥- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون بغداد سنة ١٩٨٢م .
- ٦- أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، ج^{٤-١} ، القاهرة .
- ٧- أبو علي الحسن بن علي التنوخي (المتوفى سنة ٣٨٤هـ) ، الفرغ بعد الشدة ج^{٤-١} ، تحقيق عبود الشالجي ، بيروت ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .
- ٨- أبو علي الحسن بن علي التنوخي (المتوفى سنة ٣٨٤هـ) ، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، ج^{١١-١} ، تحقيق عبود الشالجي ، بيروت ١٣٩٨هـ - ١٩٧١م .
- ٩- أبو الفرغ الأصفهاني ، كتاب الأغاني / ج^{٢١-١} ، بيروت ، ١٩٥٥ .
- ١٠- أبو منصور الجواليقي موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر (٤٦٥هـ - ٥٤٠هـ) ، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ، دمشق ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .
- ١١- أحمد ذياب ، أدوات الحضارة ، منشورات (جيم) JIM .
- ١٢- إسماعيل بن حماد الجوهري ، الصحاح ، ج^{٦-١} ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

- ١٣- بديع الزمان الهمذاني ، المقامات ، بيروت ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- ١٤- بطرس البستاني، محيط المحيط ، بيروت ، ١٩٧٧م .
- ١٥- بيدبا الفيلسوف الهندي ، كتاب كليلة ودمنة ، ترجمة عبد الله بن المقفع ، بيروت، سنة ١٩٧٨م .
- ١٦- تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقرئ (المتوفى سنة ٨٤٥هـ) ، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئية ، ج ١-٢ ، بيروت.
- ١٧- رشيدة عبد الحميد أحمد اللقاني ، ألفاظ الحياة الاجتماعية في أدب الجاحظ ، الطبعة الأولى ، جامعة الملك سعود ، ١٤١٤هـ - (١٩٩٣م) .
- ١٨- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء الشامي المقدسي المعروف بالبشاري ، كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، الطبعة الثانية ، ليدن، سنة ١٩٠٦م .
- ١٩- شهاب الدين أحمد بن إدريس الصنهاجي المعروف بالقراقي (٦٢٦هـ - ٦٨٤هـ) ، تحقيق د.عثمان محمود الطلبي ، مجلة جامعة أم القرى ، السنة العاشرة ، العدد الخامس عشر ، عام ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م ص ١٧٩-٢٥٢ .
- ٢٠- عبد العزيز بن عبد الله ، معجم الألوان (فرنسي - عربي) سلسلة المعاجم رقم (٥)، الرباط ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م .
- ٢١- عبد العزيز بن عبد الله ، معجم الألوان (فرنسي - عربي) سلسلة المعاجم رقم (٦)، الرباط ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م .
- ٢٢- عبد الله بن المقفع ، الأدب الصغير والأدب الكبير ، بيروت .
- ٢٣- محمود تيمور ، معجم الحضارة، الطبعة الأولى، القاهرة ، ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م.
- ٢٤- مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، العدد (٣٦) عبد الكريم خليفة ، حول معجم موحد لألفاظ الحضارة في الوطن العربي ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

- ٢٥- مجلة اللسان العربي ، المجلد السابع ، محمود تيمور ، الحديد في ألفاظ الحضارة ، ص١٦-١٩ ، الرباط .
- ٢٦- مجلة اللسان العربي ، العدد الثالث ، علال الفاسي ، فعالية اللغة العربية ، ص٨-٢٦ ، الرباط .
- ٢٧- مجلة اللسان العربي ، المجلد التاسع ، محمود تيمور ، ألفاظ الحضارة لعام ١٩٧١م ، ص ٤٠٥-٤١٠ ، الجزء الأول ، الرباط .
- ٢٨- مجلة اللسان العربي ، العدد السادس والثلاثون ، أحمد شفيق الخطيب ، ألفاظ الحضارة بين العامي والفصحى ص ١٦١ - ١٧٣ ، الرباط .
- ٢٩- مجلة المجمع العلمي العربي ، دمشق ، المجلد الثاني ، ج كانون الثاني سنة ١٩٢٢م - جمادى الأولى سنة ١٣٤٠هـ إلى ج^{١٢} كانون الأول سنة ١٩٢٢ الموافق ربيع الثاني سنة ١٣٤١هـ .
- ٣٠- مجلة المجمع العلمي العربي ، دمشق ، المجلد الثالث والرابع، ج ١ في ١ ك^٢ ، سنة ١٩٢٣م الموافق ١٤ جمادى الأولى سنة ١٣٤١هـ إلى ج^١ ، من المجلد الرابع، أيلول سنة ١٩٢٤م الموافق صفر سنة ١٣٤٢هـ .
- ٣١- مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، المعجم الوسيط .
- ٣٢- مجمع اللغة العربية ، معجم ألفاظ الحضارة ومصطلحات الفنون ، القاهرة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م / تصدير وإشراف الأستاذ بدر الدين أبو غازي .
- ٣٣- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع ، المجلد الرابع ، القاهرة، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م / ألفاظ الحضارة ، ص ١٢٥-١٣٦ .
- ٣٤- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع ، المجلد السابع ، القاهرة ، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م / مصطلحات ألفاظ الحضارة ، ص ١٠٨-١٢٠ .
- ٣٥- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع ، المجلد السابع ، القاهرة ، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م / مصطلحات ألفاظ الحضارة ، ص ٦٧-٧٧ .

- ٣٦- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها الجمع ، المجلد العاشر ، القاهرة ،
١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م / مصطلحات ألفاظ الحضارة القديمة ، ص ١١٦-١٢٦ .
- ٣٧- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها الجمع ، المجلد الثاني عشر ،
القاهرة ، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م / مصطلحات ألفاظ الحضارة ، ص ٩٥-١٠٠ .
- ٣٨- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها الجمع ، المجلد الثالث عشر ،
القاهرة ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م / مصطلحات ألفاظ الحضارة ، ص ٣٥-٣٩ .
- ٣٩- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها الجمع ، المجلد الرابع عشر ، القاهرة ،
١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م / مصطلحات الحضارة ، ص ٣٧-٤٣ .
- ٤٠- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها الجمع ، المجلد الخامس عشر ،
القاهرة ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .
- ٤١- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها الجمع ، المجلد السادس عشر ،
القاهرة ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م / ألفاظ الحضارة القديمة والوسطى .
- ٤٢- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها الجمع ، المجلد السابع عشر ،
القاهرة ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م / ألفاظ الحضارة الحديثة ، ص ١١٧-١٢٥ .
- ٤٣- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها الجمع ، المجلد الثامن عشر ، مصر ،
١٩٧٦م / ألفاظ الحضارة الحديثة ، ص ٢١-٢٧ .
- ٤٤- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها الجمع ، المجلد التاسع عشر ،
القاهرة ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م / ألفاظ الحضارة الحديثة - ألفاظ في الرياضة
البدنية ، ص ١٣-١٦ .
- ٤٥- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها الجمع ، المجلد العشرون ، القاهرة ،
١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م / من ألفاظ الحضارة الحديثة - مصطلحات في التربية
الرياضية / ص ١١٣ .

- ٤٦- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها الجمع ، المجلد الحادي والعشرين ، القاهرة ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م / ألفاظ الحضارة الحديثة (في التريية الرياضية) ص ٨٧-٩٠ .
- ٤٧- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها الجمع ، المجلد الثاني والعشرون ، القاهرة ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م / ألفاظ الحضارة الحديثة ، ص ٦٩-٧٣ .
- ٤٨- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها الجمع ، المجلد الثالث والعشرون ، القاهرة ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م / من ألفاظ الحضارة (مصطلحات في الطباعة) ص ٧٣-٧٨ .
- ٤٩- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها الجمع ، المجلد الثامن والعشرون ، القاهرة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م / من ألفاظ الحضارة (مصطلحات في المسرح) ، ص ٣١١-٣١٩ .
- ٥٠- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها الجمع ، المجلد الثاني والثلاثون ، القاهرة ، سنة ١٩٩٣م / مصطلحات في ألفاظ الحضارة ، ص ٣٢٩-٣٦٥ .
- ٥١- ندى عبد الرحمن يوسف الشايع ، معجم ألفاظ الحياة الاجتماعية في دواوين شعراء المعلقات العشر ، بيروت ، سنة ١٩٩١م .
- ٥٢- R. DOZY. SUPPLEMENT AUXDICTIONNAIRES ARBES, LEIDEN, 1881 .

القاموس المغربي في رحلة ابن بطوطة(*)

للأستاذ الدكتور عبد الهادي التازي

وقد كان في مقدمة الملاحظات التي برزت واضحة فيما يتصل بلغة الرحلة أن الرجل احتفظ لنا بطائفة من الكلمات والمفردات التي لا تنتمي فقط إلى المعجم العربي ، وهكذا وجدنا أن الرحالة المغربي على نحو ما كان من المقدسي - ينتبه إلى وضع قواميس محلية لمختلف البيئات التي اتصل بها أثناء رحلته حتى يُعرّف قراء اللغة العربية بالألفاظ المختلفة من مكان إلى مكان، بل إنه أي ابن بطوطة ، كان يُرجع بعض تلك الكلمات والمفردات إلى أصولها في أكثر الأحيان ، وقد وصل عدد الكلمات الأجنبية التي استعملها ابن بطوطة إلى نحو من ستمائة كلمة ، كنا نلاحظ ابن بطوطة أثناء استعمالها يقوم بتأصيلها ، كما أشرنا . وبذلك أعطانا فكرة عن الحياة اللغوية في القرن الثامن الهجري، ونظراً لأهمية هذا الجانب اللغوي في الرحلة فإنه لم تفتني الإشارة إليه في عدد من المقاطع عند تحقيقي

كان أبرز حدث تراثي كتب في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي على صعيد العالم الإسلامي والعربي هو الحدث السذي تمثل في التأليف الرائع الذي أنجزه شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن بطوطة في رحلته : تحفة النظار ... التي تعتبر اليوم الرحلة الأولى في تاريخ البشرية جمعاء.

ولقد كان في صدر ما اهتم به الباحثون الذي عُنوانوا بهذا العمل الجليل سواء عند الخطوات الأولى عندما اكتشفوا مختصراتها أو عند الخطوات الثانية عندما توفروا على النص الكامل للرحلة ، أقول في صدر ما عنوا به قضية اللغة المستعملة في الرحلة ، وكذا الأسلوب الذي كان يعبر به هذا الرحالة عن أفكاره وتصوراتهِ حيث قرأنا لبعضهم مقارناتٍ ومفارقاتٍ بين أسلوب ابن بطوطة المتميز عندهم بالوضوح والجلاء وبين أسلوب ابن جبير مثلاً الذي وجدوا فيه نوعاً من الغموض والخفاء .

* ألقى هذا البحث في الجلسة الثالثة يوم الثلاثاء ١١ من ذي القعدة سنة ١٤١٨هـ الموافق ١٠ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٨م.

الرحلة^(*) سواء عند تعليقاتي على النص أو عند صياغتي للمقدمة ...

ومن الإنصاف أن أشيد هنا بالجهود المبذولة من لدن بعض العلماء العرب الذين تتبعوا لغة ابن بطوطة وتناولوها بالبحث والتمحيص .

وأذكر في صدر هؤلاء زميلنا الراحل عضو الجمع العلمي العراقي الأستاذ الدكتور سليم النعيمي الذي خصص بحثاً قيماً لهذا الموضوع نشره على التابع في ثلاث مجلدات في مجلة الجمع العلمي العراقي رقم 24 و 25 و 26 بتاريخ 1394 = 1974 - 1395 = 1975 .

لقد خلق الأستاذ النعيمي رحمه الله في ذلك البحث الذي عنوانه هكذا : (ألفاظ من رحلة ابن بطوطة) وقد كان مما امتاز به بحث الأستاذ النعيمي أنه كان يحيل في تصنيفه لمعجمه ، يحيل على أرقام الصفحات وأرقام المجلدات التي صدرت في طبعة باريس منذ سنة 1858 أي قبل قرن ونصف من الزمن . هذه الطبعة التي تعتبر الأساس الوحيد لكل ما صدر في المشرق

من رحلاتٍ سواء في مصر أو لبنان على ما هو معروف .

إن الإحالات على تلك المجلدات يعتبر وحده عملاً علمياً أميناً ذا مرجعية دولية، وأعتقد أنه لهذا السبب أيضاً اختار زميلنا الأستاذ محمد الفاسي رحمه الله أن يكون مرجعه في مقالاته عن ابن بطوطة التي نشرها في مجلة المغرب منذ عام 1930 ، أن يكون مرجعه تلك الطبعة الفرنسية التي تمت كما قلنا أثناء الخمسينيات من القرن الماضي .

ومعلوم أن سائر الذين اهتموا بالرحلة من مستشرقين وإنجليز وتشيكين وألمان وإسبان وبرتغال إلى آخر اللائحة الطويلة، كل أولئك اختاروا أن يكون مرجعهم في الحديث عن الرحلة هو طبعة باريس أوساط القرن التاسع عشر لأنها كانت المنطلق الأساس فأصبحت بمثابة المخطوط .

وقد صدر لزميلنا الأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي مقال في مجلة البحث العلمي التي كنت أشرف عليها ، صدر له

(*) رحلة ابن بطوطة، تحقيق د. التازي، نشر أكاديمية المملكة المغربية ١٩٩٧ مطبعة دار المعارف، رقم الإبداع القانوني ١٩٩٧/٣٢١ .

مقال هناك في العدد 26 بتاريخ يوليه 1976
وكان بحثه يحمل عنوان : الألفاظ الدخيلة
في رحلة ابن بطوطة ، وقد اعتمد فيه على
عمل أكرم البستاني ، طبعة صادر عام
1960، ونحن نعلم عما تعرضت له طبعة
صادر من تجاوزات ...

وقد قرأت بعض ما كان يصدر بين
الحين والآخر من مقالات في المغرب
والمشرق عن لغة ابن بطوطة ، ولكن أهم
ما ظهر في السنوات الأخيرة هو البحث
الذي أصدره في مايو 1994 الدكتور محمد
عادل خلف عبد الجواد ، وكان يحمل
عنوان "الملاحظات اللغوية للرحالة العربي
ابن بطوطة". وقد أردف الدكتور خلف
هذا البحث بآخر صدر له في أكتوبر من
نفس السنة بعنوان : "معجم ألفاظ ابن
بطوطة غير العربية " ، غير أن الدكتور
خلف اعتمد في بحثه معاً على طبعات
مصر أو لبنان من غير أن يرجع إلى الطبعة
الباريسية ولم يكلف نفسه عناء البحث
عن طبعة باريز وبالحرى عن مخطوطات
الرحلة التي وصلت الآن نحو
الثلاثين ...

وهكذا تجمعت لدينا اليوم - لحسن
الحظ - بحوث جادة من شأنها أن تفيدنا
كثيراً فيما يتصل بلغة رحلة ابن بطوطة
الأمر الذي يمكن القول معه بأننا نتوفر
اليوم على جرد كامل للمفردات التي
يتضمنها قاموس الرحلة .

وهذا ما أريد أن أستعرضه باختصار
في هذه المناسبة ... وأذكر منذ البداية أن
الرحلة تحتضن نحواً من اثني عشرة مادة
لغوية أجنبية إضافة إلى الكلمات المغربية
التي سنخصص لها الحيز الأكبر من هذا
البحث .

فهناك عدد كبير من الكلمات
الفارسية ومنها على سبيل المثال الإبريق
والأترج والديباج والهميان إلى آخر
اللائحة الطويلة . وهناك طائفة من
الكلمات التركية أو المغولية كذلك ، كان
منها كلمات أفندي ، وبخشي وتمام
وقبان وقمز واليراق وولاق ووطاق إلخ .
وهناك العدد الكبير من الكلمات الهندية
من أمثال دولة كتوال وكفتار وساج
وريبول والتنبول ، ولم يفت ابن بطوطة ،
وهو في بلاد السند والهند ، أن يشير إلى

النقوش الهندية القديمة التي وقف عليها في إقليم لاهري أولاري بندر كما تسمى اليوم، على نحو ما يفعله وهو يقف في مصر على النقوش الهيروغليفية .

وهناك عدد من المفردات التي طرقت سمع ابن بطوطة وهو في جزيرة مالديف من أمثال بستو ودنقرة وفال وكتي وكردوي وكلكي ومالم ومانيك وبسياء إلخ.

هذا إلى جانب استعمال عدد من الكلمات المالية (نسبة إلى مالي) في غرب إفريقيا من أمثال بني ، بيدر ، تكشيف ، توري ، دقنو ، صغنغو ، وغرتي ، ومنسا ، وفراري .

ومن اللغات التي طرقت أسماع ابن بطوطة لغة البجاة المقيمين على ساحل البحر الأحمر وهي من اللغات المنطوقة الغير المكتوبة .

كما أن من اللغات التي أشار إليها الرحالة المغربي اللغة الصومالية التي يسميها اللسان المقدشي نسبة إلى مقدشو حاضرة بلاد الصومال ، ويسجل ابن بطوطة هنا ملاحظة هامة ، وهي أن أهل الصومال يطلقون على سلطانهم اسم " الشيخ " ،

وهو اللقب التشريفي الذي يطلقه حتى اليوم سكان الجزيرة العربية على ملوكهم، كما وهو اللقب الذي استعمله بنو وطاس المغاربة على أمرائهم وقادتهم .

وفي طريق ابن بطوطة إلى الصين ألم بما نسميه اليوم ماليزيا : (مل جاوة) حيث أشار إلى لغتهم التي يعترف ابن بطوطة بأنه لم يعرفها ..

ومن المعروف أن لغة الملايو هي إحدى اللغات المالوية التي كانت لغةً بساحل سومطرة .

ويشير ابن بطوطة بعد هذا إلى اللغة البورمية التي مر بأهلها ، وهي إحدى اللغات الثبتية - الصينية ، مر بها واتصل بقوم البره نكار .

وهناك عدد من الكلمات الصينية من أمثال بالشت وبركالة وجنوك وسي وقان وككم إلخ . وهناك طائفة من الكلمات المصرية سمعها الرحالة وهو يتنقل عبر مصر مثل الأكارم والأكاديش والحرافيش إلى آخر اللائحة التي يمكن الرجوع إليها . ولم يفت ابن بطوطة - وهو بمصر أن يلاحظ كما أشرنا سابقا وجود نقوش

مصرية قديمة في بربري مدينة أخميم مذكرا
أن أحدا لم يهتد لقراءتها في عهده ، ولم
يكن يعرف أن هذه النقوش ستقرأ بعد
نحو من ستة قرون .

ومع هذا فإن الرحلة لا تخلو من
استعمال كلماتٍ من أصل يوناني أمثال
الأبنوس والأنيسون والبواويل ونول إلى
آخر الكلمات .

وأخيراً فإن هناك عددا من الألفاظ
الرومية من أمثال كلمة الرّي والكيرة
والشطبي والإصقالات . والمهم من خلال
كل هذا أننا نرى ابن بطوطة
لم يجد صعوبةً في أداء تلك الكلمات
الأجنبية بالحرف العربي المتداول بيننا
الأمر الذي يؤكد أن الجهاز العربي
صالح لاستيعاب سائر الأصوات وأنه
قادر على أدائها بدون إخلال في
الأداء .

ولا أودع هذا الموضوع دون أن
أشير إلى أن هناك عدداً من المفردات
العربية التي استطاعت أن تقتحم قواميس
الأمم الأخرى وتفرض نفسها لتكون إلى
جانب تلك اللغات امثل أمير طومان -

أمير هَرار - رسول دار - شرع بندر ،
ملك عرض ، قبور عاشقان .

أما عن الكلمات المغربية المستعملة
في رحلة ابن بطوطة ، فهي هكذا حسب
الترتيب الهجائي المغربي مع الإحالة على
المجلدات الأربعة وأرقامها المعتمد عليها
من لدن الباحثين المهتمين بالرحلة على
الصعيد العالمي

الأبزار IV ، 76-77

يعني الأبزار عند المغاربة ما يُعرف بالفلفل
الأسود ، وهي حبوب سوداء ، شجراتها
شبيهة بشجر الدوالي . ويثمر عناقيد
صغاراً حبها كحب أبي قينة ، وإذا كان
أوان الخريف قطفوه وفرشوه على الحصر
في الشمس . ولا يزالون يقلّبونه حتى
يستحكم يسه ويسود . والعامة ، كما
يقول ابن بطوطة ، يزعمون أنهم يقلّونه
بالنار ، وقد رأيتهم بمدينة قالقوط يصب
للكيل كالذرة عندنا .

أبِيرُون IV ، 112

هذا اسم بربري لنوع من السمك
وجدته في مالديف ، شبه به ما يسمى
عندهم قلب الماس ، لحمه أحمر ، رائحته

كرائحة لحم النعام ، ويقطعون السمكة
أربع قطع ويطبخونها يسيرًا ثم يجعلونها في
مكاتيل من سعف النخل ويعلقونها
للدحان، فإذا استحكمت يسه أكلوه ويحمل
منها إلى الهند والصين واليمن . واللفظ
في المخطوطات هكذا اللرون . ويعني
في اللسان البربري نوعًا خاصًا من
الطون .

الإحرام I ، 18

هذا غير الإحرام الذي يرتديه الحجاج،
ولكنه ثوب يجعل على الرأس ويمتد إلى
الأكتاف.

أزواج الحرث IV ، 347

كل الذين علقوا على هذه العبارة المغربية
الصميمة أخطأوا في معرفة القصد منها ،
فتعتبر "حرث زوجين" يعني مساحة من
الأرض قدرها بعضهم بخمسة عشر
هكتارا ، فالزوجان هنا ليس الذكر
والأنثى كما فهموا ، ولكن القصد إلى
الثورين أو البغلين اللذين يجران المحرات.
وكان العاهل المغربي يمنح بعض المحتاجين
قطعا أرضية فلاحية مقدار حرث زوجين
لكل فرد ، وقد يكون العطاء أزواجا

كثيرة وهكذا فإن الترجمة الفرنسية
الصحيحة :

Paires de boeufs pour labourer la terre

أنلي III ، 130 ، IV ، 378 ، 394

كلمة بربرية ، حب مائل إلى الخضرة
موجود بكثرة بالجنوب المغربي ، وقد
يطلق عليه اسم إيلان ويوصف لتقوية
العظام حتى ليمزجوه بالحليب الذي
يقدم للرضيع . ويسمى بالفرنسية mil أو
millet .

أفراج II ، 369

أفراج أو أفراق تعريب افراك بالجم
المعقودة ، لفظ بربري . أطلق على
السياج المحيط بالخيام التي تنصب لإقامة
الملوك وحاشيته أثناء ترحاله ، وهو يعني
مدينة متقلة بكامل مرافقها وأجهزتها ،
صُنعت من شقاق الكتاب الأبيض والملون
وتحتوي على عدد من القباب والخيام على
مختلف الأحجام ، فيها ما هو صالح
لقاعات استقبال ، كما يحتوي افراك على
المسجد والمدرسة ، كل له مكانه ومثواه .
وقد خصص ابن الحاج النميري فصلا
بكامله لوصف هذه المعلمة الحضارية

الكبرى التي خفى معناها على بعض

الناشرين فراحوا يؤولون !

أقروف II ، 379 ، 388 .

لفظ بربري الصيغة والكلمة تعني ما يعبر

عنه دوزي : ضرب من تيجان الرأس

المستعملة بالمغرب . أقول : وما تزال

بعض نساء الشمال المغربي يتزين به عند

المناسبات وربما كان أقروف (وليس

أخروق كما تحرفت عند ترجمان معجم

الملابس) يشبه ما أدركناه مما يسمى

بالحنطوز الذي تزين به السيدات

رؤوسهن .

الاسفننج IV ، 392

الإسفنج ، وينطق به المغاربة مخففاً

السفننج. نوع من الفطائر المعروفة

مثقوبة الوسط حيث تسلك في دومة

خاصة يتناولونها على الخصوص

عند الصباح والذي يعدها يسمى

السفاج ولهم حوانيت خاصة في

بعض الأسواق ، والمحتسب هو

الذي يراقب جودة الزيت المستعملة

في قلبي السفنج كما يراقب نظافة

السفاج .

بابا II ، 279 ، 416 ، IV ، 177

يذكر ابن بطوطة أن كلمة بابا عند

الأتراك تعني الأب بتفخيم الباء . وهنا

يقدّم ملاحظة دقيقة فيذكر أن البربر في

المغرب يستعملون اللفظ بمعنى الأب أيضاً

لكهم بخلاف الأتراك ينطقون بالباء

مرققة. وهو ما كنا نسمعه في بيوتنا .

البحيرة IV ، 476

في الاصطلاح المغربي تعني الأرض التي

يغرس فيها مثل البطيخ والدلاع والقثاء مما

له زريعة وتجمع على بحائر وقد حسبها

بعض الناشرين تصغيراً لبحرة !

بخيت II ، 201

من الأسماء التي كانت تعطى للجواري

في المغرب على عهد ابن بطوطة الذي

لاحظ استعمال نفس الاسم عند أهل

عُمان الذين لهم شبه قوي بأهل

صنهاجة .

البراءة I ، 112

يستعمل ابن بطوطة كلمة البراءة بمعنى

الجواز أو الاذن أو التفويض ، وما يزال

المغاربة إلى الآن يستعملون كلمة (البراءة)

هكذا مختصرة بمعنى الرسالة .

ظرف يجعل فيه نحو الزيت .

البلاط I ، 200-199

يستعمل ابن بطوطة كلمة البلاط في الممرات التي تربط بين شرق المسجد وغربه فهناك المسجد صاحب البلاطات الثلاث وهناك صاحب الأربعة . وأريد القول : إن رجال المعمار اليوم يسمون الممرات التي تربط الشمال بالجنوب في المسجد بالاسكوب ويجمع على أساكيب.

البوابة IV ، 307

هذا اللفظ حير بعض المعلقين الذين ذهبوا مذاهب شتى ، وهو يعني بكل بساطة المحفة ، وما يزال بمدينة فاس باب من أبواب القصر الملكي يحمل اسم باب البوابة خاص بالحريم .

بوقينية IV ، 77

في معرض حديثه عن الفلفل الأسود : الإبرار ، شبه حبوبه بحب أبي قينية وقد حار المعلقون في البحث عن هذا النبات الذي يعرف في شمال المغرب الذي ينتسب إليه ابن بطوطة ، ويكثر في المناطق الجبلية

التي تستعمله لعدة أغراض ، وفي الأمثال المغربية: "غرسه حبق خرج لي بوقينية" يعني كنت أقصد إلى شيء فوجدت شيئاً آخر .

تازرت II ، 218-217

في معرض حديثه عن بعض أسماك منطقة الخليج : (شير ماهي) شبهه بنوع من الأسماك في المغرب يعرف بتازرت ، ومعلوم أن هذه الكلمة بربرية الصيغة أما عن معناها فإن الأمر يختلف بين أن ينطق بالزاي مفخمة أو مرققة ، فإذا كانت مفخمة فإنها تعني المذاراة ، وعلى هذا يكون القصد إلى السمك الذي يتميز ذيله بأنه شبيه بالمذاراة ، له أسنان ، وإذا كانت الزاي مرققة فإن معناه التين وعلى هذا يكون القصد إلى لون قشرة السمك التي تشبه لون قشرة بعض أنواع التين المزركش . ولعل قصد ابن بطوطة إلى نوع السمك المنتشر في المطاعم الخليجية المعروف تحت اسم هامور .

تاسر غينت IV ، 394

تعرب هذه الكلمة إلى سرغينة كما هو معروف بالمغرب ، وهي جذر عطري الرائحة يوجد على ساحل المحيط ويجلبه

التجار إلى بلاد السودان ، وما نزال إلى
اليوم نحرّق هذا النوع وخاصة عند بعض
المناسبات الخاصة مثلاً عند النفساء .

التبريح IV ، 145

هذه الكلمة تعني في المغرب الإعلام
العلني، برحوا بالملك على أنه سيقوم بسفر
نحو جهة من الجهات ، بمعنى أعلموا به
وأشهروه بين الناس ، والبراح هو الذي
يقوم بعملية هذا الإعلام، وقد خفي هذا
المعنى على بعض الناشرين الذين التبس
عليهم معنى الكلمة الذي قلناه بمعنى
التبريح الذي يعني الضرب المبرح !

التليس II ، 123-35

نسيج غليظ من الشعر أو الخوص يجعل
على ظهر الدابة يحمل الحبوب وما أشبهه،
ويجمع على تاليس . ذكر بطوطة أن
بعض أعضاء الأسرة الملكية في إيدج
جعلوه على ظهورهم لما فقدوا بعض
الأمراء ، كما ذكر أنهم غطوا به بعض
الجثث المطروحة .

التهليل III ، 387

التهليل في الاصطلاح المغربي ظرف صغير
يكون من جلد أو فضة أو ذهب يجعل فيه

نحو المصحف أو كتاب دلائل الخيرات .
وكان مما يهديه ملوك المغرب إلى بعض
الرؤساء في العصور القديمة ، وربما حملة
الملوك والأمراء كتعويذة أو تميمة .

الثر يا II ، 265

يطلقها ابن بطوطة على (النجفة) ذات
المصائب المتعددة تعلق في السقف لتنير
الحجرة .

الجامور II ، 13 ، 406

عبارة عن عمود يحمل عددًا من التفاحات
المموهة بالذهب ، يجعل على رأس الخيمة
الملكية أو على رأس منار مسجد كبير
فيكون تاجًا لها . قد تكون هذه التفاحات
ثلاثًا وقد تتجاوز ذلك ، وقد استعملها
قبل ابن بطوطة العبدري في رحلته
الحجازية . ولعل اللفظ مأخوذ من جامور
النخلة وهو جمارها .

الجاوي III ، 234 ، IV ، 228

نوع من البخور ينسب إلى مدينة جاوة ،
ويستعمله المغاربة في المناسبات الدينية ،
في ليلة القدر من شهر رمضان مثلاً .

الجهذ I ، 340

يستعمل الجهذ في المغرب بمعنى الجذب .

يستعمل في المغرب عوض القصاب .

في اصطلاح رجال الأسطول المغربي يعني قطعة من قطع الأسطول ، وقد تجمع على أجفان، راجع حديث الجزنائي في زهرة الآس عن ميناء حولان بضواحي مدينة فاس.

وعاء من معدن أو فخار يجلس عليه لقضاء حاجة الإنسان .

عندما يذكر ابن بطوطة البسيلا المصرية يقول: إنها صنف من الجلبان يريد بذلك تعريف المغاربة بما عندهم بما عند الآخرين.

نعرف أن الجمعة هي اليوم السادس من الأسبوع ، لكن ابن بطوطة يستعمل اللفظ أحيانا على نحو ما يعرفه المغاربة مما يبي: الأسبوع، فمعنى قوله أنهم يحضرون ما يكفيهم للجمعة أنهم يستعدون لما ينفعهم طوال الأسبوع ، وعندما يقال في الجمعة القابلة يكون القصد في الأسبوع المقبل .

هذه المادة التي تدخل في إطار التوابل عند المغاربة مجلوبة من الشرق لكنها معروفة بالمغرب بهذا الاسم وقد شبه بها ابن بطوطة الفوفل الهندي .

بينما نجد أن الحانوت في اللغة العربية تعني دكان الخمار نجد أن ابن بطوطة يستعملها بالمعنى المغربي الذي يعني المتجر الذي يباع فيه ما يحتاج الناس إليه .

هذا هو الفاكهة التي تشبه حبات العنب والمعروفة في الشرق تحت اسم الكرز (CERISE) ، وللمغرب احتفال سنوي اليوم بظهور حب الملوك . يقيمونه في مدينة صفرو القريبة من فاس .

نوع من الحساء يمتاز بثرائه في المواد التي يتألف منها ، وهي مشهورة عند المغاربة وبخاصة عند الإفطار أيام رمضان، وتكون مع الكسكسو الصحن الرئيسي في الديار المغربية ، ولها أصل في اللغة العربية .

استعمله ابن بطوطة بمعنى الورد والدعاء ،
وليس الفرقة أو الجماعة وهكذا استعملها
عندما تحدث عن حزب البحر للإمام
الشاذلي .

حنيشة الجنة III ، 103

ذكرها ابن بطوطة وهو يتحدث عن
تناول أهل جناني (الهند) للسقنقور ،
وقال : إنها دوية شبيهة بأم جبين التي
يسمونها المغاربة حنيشة الجنة إلا أنها لا
ذنب لها .

الحصير I ، 51-11 ، 164

يستعمل كثيرا في المغرب ويعني به الفراش
من الدوم أو الديس أو الأسل ويختلف
شكله من جهة إلى أخرى بالمغرب ويجمع
على حصر أو حصاير .

الحسك III ، 79 - IV ، 3

جمع الحسكة : عبارة عن أداة
تحميل الشمع ، يفرزونه في بعض
قنواتها أو قنواتها المتعددة ، وعندما
ذكر ابن بطوطة الشمعدانات
قال : إن أهل المغرب يعرفونها
بالحسك .

استعملها ابن بطوطة بمعنى العاصمة وأهل
الحضرة في اللغة خلاف البادية .

الحوت I ، 109 - II ، 426 - IV ، 170

الحوت عند المغاربة يطلق على السمك
بسائر أنواعه ، ولا يختص كما هو الحال
عند المشارقة بالسمك الكبير الذي ابتلع
سيدنا موسى ! والحوات صياد السمك أو
بائعه .

الحاوية IV ، 251

نوع من الأواني التي يخزن فيها نحو السمن
والزيت والخلع وتجمع على (خوابي)
وتستعمل بكثرة عند المغاربة حتى في
أمثالهم الشعبية .

الحرشف IV ، 240

نوع من الخضر المحبة عند المغاربة وثمره
هو ما يعرف عندهم باسم (القوق) أو
(الأرتشو) شبه بأوراقه أغصان شجر
اللبان.

الخليع IV ، 138

معروف عند المغاربة ، وهو عبارة عن
قديد يطبخ بالتوابل في الزيت والشحم
بعد تبييسه ويصبر ، ويتخذ منه المغاربة

زادهم وخاصة أيام الشتاء وقد ورد ذكره
في كتب التاريخ على أنه يتزود به في
الأسفار والحروف وحالات الحصار .

الخصبة II ، 136

حوض ينبجس منه الماء : الفوارة أو
الفسقية .

الخواجة II ، 116

كلمة تعني ، كما يبدو التاجر أو الغني ،
وما يزال اللفظ معروفا بالمغرب ، ولو أنه
يعني في المشرق الأوربي أو المسيحي .

ذراعة III ، 186

لباس يرتديه المغاربة بدون أكمام ، تكون
فوق الألبسة الوسطانية ، ويظهر أن الاسم
آت من أن مرتديها يكون مكشوف
الذراع.

الدكانة II ، 174

مرتفع يجلس الناس عليه يشرف على
موقع معين وتجمع على دكاكين وهي غير
الدكان.

دوالي العنب II ، 205

جمع داليه والمغاربة يسمون أشجار العنب
داليه ، وليس الكرم الذي يطلق عليه
عندهم التين أو الكرموس .

الدويرة IV ، 232

تصغير دار وغالبا ما يقصد بها المطبع أو
(المشتمل) .

الرب III ، 23

(بضم الراء) مشروب يتخذ من العنب
أو التمر ، وقد عرف استعماله عند
المغاربة منذ عهد الموحدين في العصر
الوسيطة ، وما يزال باب في مدينة مراكش
يحمل اسم باب الرب وقد دخل اللفظ لغة
قشتالة .

الرتب IV ، 348

جمع رتبة بمعنى الأتاة ، في حديثه
عن العاهل المغربي أشار إلى الرتب التي
تؤخذ في الطرقات يعني الضرائب ، وما
يزال الآن اسم الترتيب يعني حقوق
الباب .

الرجل I ، 215

يطلقه ابن بطوطة على الزوج فيقول مثلاً:
هذا رجلها أي زوجها والمغاربة إلى الآن
يستعملون هذا التعبير .

الرشوة III ، 12

استعملها كشيء ممنوع ومحرم في بعض
الجهات .

الري III ، 318 - IV ، 18

يستعمل ابن بطوطة هذه الكلمة القشتالية التي تعني الملك ونحن نعلم عن صلة الرجل بالأندلس وتأثره بلغة جيرانه .

زاد المال II ، 201

اسم لبعض الجوارى، وقد لاحظ الرحالة أن هذا الاسم يتحد فيه العمانيون والمغاربة باعتبار أن صنهاجة من أصل عربي .

الزاوية العظمى IV ، 352

يطلق ابن بطوطة الزاوية العظمى على معلمة حضارية هامة اختفت نتيجة الإهمال ، ويتعلق الأمر بدار ضيافة عظيمة كانت مبنية على ساحل وادي فاس .

الزبانية III ، 301

يطلقها على حراس الملك واللفظ يستعمل اليوم أيضًا لهذا المعنى وهو من أصل عربي .

الزردخان IV ، 404

نوع من القماش يعرف بهذا الاسم إلى ما قبل عهد قريب .

الزليج II ، 225-130

تشكيلة جميلة من قطع الخزف هي ما يسمى في المشرق بالقاشاني ، والمحترف لهذه المهمة يسمى الزلايجي .

طابق اللحم II ، 342

يطلق ابن بطوطة كلمة طابق على نصف الخروف أو نحوه ، والعبارة ولو أن لها أصلا عربيا لكنه تنوسي وبقيت آثاره بالمغرب ..

الطاحوني II ، 380

يستعمل في المغرب عوض الخراص .

الطارمة II ، 353

بيت من خشب يكون في غرفة أو حجرة، ويظهر أن أصل اللفظ فارسي .

الطاقية III ، 48

غطاء الرأس وتجمع على طواقي .

الطريدة III ، 109

مركب نهري أو بحري ، وقد استعمل المغاربة هذا اللفظ وعرف عنهم .

الطفل III ، 57-56

نوع من الطين يستعمل كالغاسول معروف بهذا الاسم في الشمال .

الطيفور II ، 285-391

يجمع على طيافير : عبارة عن مائدة كبيرة يجعل فيه نحو الفواكه أو الطعام أو حتى بعض الحلويات ويكون لها غطاء يحتفظ بطراوتها وشكلها .

يستعمل في المغرب بمعنى المرسوم الملكي ويجمع على ظهائر وليس على ظهراء ، وقد كان أول تأليف مغربي ذكره بهذا الاسم ، حسب علمي ، هو ابن صاحب الصلاة في كتاب المن بالإمامة الذي يتناول تاريخ الموحدين .

الكركم II ، 103

نوع من التوابل يُحرفه المغاربة إلى الكركب (بالباء) يستعمل أحيانا عوضا عن الزعفران عندما يعز وجود هذا !

الكمخة III ، 87

نوع من القماش ما يزال يحتفظ بهذا الاسم ، ذكره ابن بطوطة ضمن الهدايا عندما تحدث عن سفارته للصين نائبا عن ملك الهند .

الكعك II ، 218-304 - III ، 11

ورمما ينطق به المغاربة بالحاء بدل العين ومنه لقب الكحاك والكعاك إلخ .

الكشكول II ، 2

عبارة عن ظرف يستعمله الفقراء في الاستجداء .

هكذا ورد ذكره في الرحلة بتقديم الكاف على السين وليس الكُسْكُس كما أطلق عليه ذلك من قبل بعض الناس وهكذا أيضا ورد اسمه مكتوبا في المصادر الطبية على عهد الموحدين في العصر الوسيط.

اللحاف III ، 380

الفراش عند المغاربة ويجمع على لحوف.

الليمون أو الليم المصير II ، 185

يُعنى به الليمون المصير ، وقد اعتاد المغاربة أن يصيروا الليمون في الملح ، يجعلونه مع الزيتون المصير على صحون خاصة من الطعام كمقبل من المقبلات.

اللُّبَان (حصا) II ، 214

يطلق المغاربة كلمة (حصا لبان) على المادة العطرية التي تأتي من عُمان، يستعملونها للبخور كما يستعملونها كدواء للبة وإصلاح الصوت ، واللفظة متداولة جدا بين أبناء المغرب.

ماء الزهر 111 - 130 - 231

يطلق ماء الزهر عند المغاربة على الزهر الذي يقطفونه في إبانه وكانت الأسر المغربية تتوفر على قطارات يستعيرونها

فيما بينهم حتى تتوفر كل أسرة على نصيبها من هذه المادة العطرية طوال أيام السنة.

ماء الورد I ، 417-247

ما قلناه عن ماء الزهر نقوله عن ماء الورد مع ملاحظة أن الأول يستعمل عند الحاجة إلى ما يبعث الحرارة في الجسم بينما يستعمل ماء الورد إبان فصل الصيف لأن من طبيعته التبريد .

المارستان IV ، 347

يستعمل المغاربة هذا اللفظ محرفاً عن البيمارستان ويعنون به المستشفى وخاصة ما يعني المرضى بالأعصاب . وتتوفر بعض العواصم المغربية على مارستانات .

مانع II ، 420-349

هذا النعت يطلقه ابن بطوطة بمعنى صعب، جبل مانع : صعب التسلق ، رجل مانع صعب المزاج .

المتسبب IV ، 373

هو التاجر، لأنه يأخذ بالأسباب ليربح عيشه.

مَتَيْجَة I ، 17

هذا علم جغرافي لبعض المواقع المعروفة في المغرب الأوسط ، وقد تعددت ذكره هنا

لأن بعض الناشرين توهموه أداة نقل وركوب لدى المغاربة وذلك عندما قال ابن بطوطة : توجهنا على متيجة إلى جبل الزان !

المحلة II ، 70

يطلقها ابن بطوطة على الفيلق العسكري المقيم في جهة من الجهات لحماية المواقع، ونحن نعرف الحديث عن محلة السلطان في كتب التاريخ .

المجشر III ، 400

أو المدشر ، أو الدشر بمعنى الدوار أي الجمع الذي تقيم فيه فخذة قبيلة أو جماعة، ويجمع على مداشر .

المحتسب II ، 184

هذا لقب إداري وظيفي نعتقد أنه اختفى في العالم الإسلامي اليوم وظل ابن بطوطة يردده لأنه كان بيلاده ، وللتاريخ نذكر هنا أن اللقب ما يزال حياً حاضراً في بلاد المغرب الأقصى .

المرتبة II ، 393

هي التي يحرفها المغاربة إلى مضربة : كما سيأتي .

نوع من الجوخ ظل معروفا منذ تاريخ
جولات ابن بطوطة ، ونعتقد أن اللفظ
منسوب إلى مدينة أمالفي الإيطالية التي
كان المغرب يستورد منها هذا النوع
الرفيع من القماش .

المخزن III ، 185-290

المخزن يطلقه ابن بطوطة على الحكومة
المغربية، وهو تعبير عرف منذ العصر الوسيط
وما يزال مستعملاً إلى اليوم، وكلمة
المخزني تعني الحارس ويجمع على مخازنية .

المصرية IV ، 93

تعني في المغرب الدويرة الصغيرة التي تكون
تابعة للدار الكبرى يأوي إليها شباب
الأسرة أو يستقبل فيها رب الأسرة
أصدقاءه ، وقد وردت بكثرة في النصوص
المغربية ، وربما كان الاسم آتيا من
اختراع أحد المغاربة الذين وجدوا هذا
النوع من السكن موجودا بمصر . وتجمع
على إحصارني أو المصريات .

المضربة III ، 380

عند المغاربة فراش للجلوس والنوم ، أنظر
مادة المرتبة .

من الكلمات التي حيرت التراجم
والناشرين فراحوا يبحثون عن أصلها
في اللسان الفارسي ، ومنهم من قرأ
الكلمة منيرة بالنون ، والكلمة بالمغربية
مُقَيَّرَة أي إنها نسخة كأنها مطلية
بالقار ، بمعنى الزفت . والمغاربة إلى اليوم
يقولون ثوب مُقَيَّر ويعنون ثوبا تركبه
الأوساخ .

المسفر IV ، 246

يعني المجلد ، وقد دأب المغاربة على نعت
الكتاب بأنه مجلد ويسمون الذي يقوم
بعملية التفسير مُسَفِّر ... والسفر الجزء من
الكتاب .

المشور II ، 235-428

III ، 10-271-278-288-289

كلمة تطلق عند المغاربة على الساحة
القريبة من القصر الملكي لأنها كانت
مجمعا للشورى ، وتستعمل كثيرا في كتب
التاريخ المغربي .

مينا سبتة II ، 349

كلمة (مينا) تعني أنف جبل سبتة ،
قارن بينه وبين أنف جبل صنوب .

تحدث ابن بطوطة عن النبق على أنه من الأشجار المعروفة ببلاد المغرب وتحدث عن دقيق النبق كذلك ، وهو أي دقيق النبق معروف وخاصة في تارودانت بالجنوب المغربي .

النقرة IV ، 334-335

يطلقها ابن بطوطة على الفضة وينعت بها، كما رأينا - دراهم النقرة .

النوبة III ، 70

يطلقها عن الدور ، حانت نوبة فلان أي دوره .

صاحب العلامة III ، 35

هذا التعبير أيضا حير بعض الناشرين الذين رأينا منهم من ظن أن العلامة هي بتشديد اللام فقرأها على أنها العالم الكبير ! والواقع أنها تقصد إلى وظيفة سامة في الدولة تعني الكاتب الخاص الذي يرسم التوقيع الملكي .

صاحب السجادة II ، 292-293

الموظف المكلف من قبل القصر يحمل السجادة التي يصلي عليها العاهل ، ويشبه الوظيفة (صاحب الصلاة) في العصر الوسيط.

الصارى العمود الذي يكون وسط المركب ويتصل به عود يدخل فيه ويسمى هذا العود بالقرية وقد جاء في تعبير لابن بطوطة أن الركاب ذات مرة يئسوا من الحياة ، بعدما شاهدوا من اضطراب البحر، فرموا بالصارى ورموا بالقرية بفتح القاف وكسر الراء على وزن هدية ، وليس الفصد إلى القرية بالباء كما فهم بعض الناشرين !

الصحفة I ، 238

ج صحاف تستعمل عند المغاربة عوض الصحن الذي يخصصونه بصحن البيت أو المسجد .

الصعتر II ، 164

نبات مشهور لا يخلو بيت مغربي منه يستعملونه في الطبخ وفي التعطير وبعضهم ينطق به زايا عوض الصاد .

الصفصاف III ، 191

يستعمل المغاربة هذا الاسم في الشجر المعروف بطوله وهندامه . وكثيرا ما يفرس عند الحدود بين ملكية (بكسر الميم) وأخرى .

عصابة كانت معروفة بالمغرب على عهد ابن بطوطة تتألف من بعض ذوي الأطماع والأغراض الخاصة تقوم بالإغارة على من تقصده لإرهابه أو تصفيته ، وربما كان لهم شبه بطائفة (الفداوية) التي تحدث عنها ابن بطوطة في المشرق (I ، 167-171-162) .. ولفظ الصقورة يعني جمع صقر : الطائر المعروف بانقضاضه على فريسته من حبار وما شابه .

يطلق المغاربة الصومعة في الغالب على المئذنة أو المنارة ، وتجمع على صوامع التي يكثر استعمالها عن المشاركة على مدلول آخر: منارة الرهبان ...

عبارة عن آنية منبسطة أغلب ما تكون من الفضة ، ولا ندري أصل إطلاق هذا الاسم على الصحن . وهذه من الألفاظ التي تربط المغاربة بالصين على نحو ما يربطهم الشاي الأخضر !

يعرف المغاربة هذا النوع من النبات . ولذلك شبه به ابن بطوطة نبق الصين الذي يقصد به ما يسمى في المغرب الزفزف وفي المشرق العناب .

العود القماري III ، 234 - IV ، 167 ، 240
نوع رفيع من الطيب الذي ولع به المغاربة من قدم وكانوا يرسلون التجار لاستيراده من قمار بالهند ، ويستهلكه المغاربة بكثرة رغم ارتفاع ثمنه ، وفي علامته يقول أحدهم :

ثلاثة في العود محمودة

وتلك في العنبر لا تحمد

صلاية فيه وثقل به

ولوئه الأسود الحالك !

العولة

عبارة عن الزاد الذي يخترنه المغاربة في إحدى الحجرات من سمنٍ وزيتٍ وخلع وفواكه بحففة .

من أنواع العطور التي دأب المغاربة على استعمالها وخاصة في بعض المناسبات الخاصة .

جمع غيطة آلة طرب حادة الصدى يستعملها شمال المغرب بكثرة ، والشخص الممارس لها يحمل اسم الغياط على نحو النفار الذي يستعمل النفير .

نوع من الثياب يلبس فوق اللباس الوسطاني ، والتسمية آتية من أن هذا اللباس يحتوي على زرر تفرج عند الحاجة ، وليست لباسا للرأس كما فهم بعض الناشرين !

استعملها المغاربة بمعنى وزع والمصدر التفريق فمعنى فرق عليهم العطايا أو الهبات: أي وزع عليهم الصلات .

كلمة يستعملها المغاربة إلى الآن في الفاكهة الطرية ، يحرفونها إلى (فريشك) . ويقول صاحب تاج العروس أنها تعني الخوخ . وذكرت بعض المصادر أن أصل الكلمات يوناني وقد ورد ذكر اللفظ في الاتفاقيات "المغربية الدولية" .

هذا من المواد التي حيرت المعلقين عجما وعربا ، وهي تعنى بكل بساطة الفطر أو الكمأة ، وينطق المغاربة القاف كافا معقودة لكن زملاءنا رأوا فيها ما يوحي بأنه نوع من النبيذ ونحن نعلم عن رأي أهل الهند في الملوك الذين يشربون الخمر .

هو ما يسمى في المشرق بالقثاء ، وهي فاكهة صيفية على ذلك العهد لأنها تبرد الحرارة ، وقد يبدل المغاربة صاده إلى سين .

دأب المغاربة على إطلاق هذا اللفظ على القطعة من الثوب الذي يحرم بها الحاج أو ينشف بها الجسم عند الخروج من حمام وتجمع على فوط .

هذا علم جغرافي لمدينة جنوب المعبر (الهند) ، أوردته هنا لأذكر أن المغاربة يحتفظون بذكره على أنه مورد لمادة منبهة عطرة يستعملونها في أطعمتهم مع تحريفها إلى (قاع قلة) وهي ما يسمى عند المشاركة بالهيل الذي يضيفونه إلى القهوة .

القبرية هي شاهد القبر الذي يتضمن اسم الميت وتاريخ وفاته وقد خفيت الكلمة على بعض الناشرين فصوبها إلى تبرية وقالوا : إنها نسبة إلى التبر .

القرة IV ، 351

تعني (الكثيرا) باللفظ القشتالي الأجنبي وتستعمل عند المغاربة اقتباساً من جيرانهم، وقد خفيت على بعض الناشرين تحولوها إلى كلمة الغزاة !

القنصار IV ، 351

كثر تفسير الناس للقنطار . ويعطيه ابن بطوطة تفسيراً هو الذي كان المغاربة يعرفونه في عصره ، ويعني عشرة آلاف دينار وليس يعني ما يعنيه القنطار اليوم في استعمالنا .

القصبة IV ، 296

يستعملها ابن بطوطة على نحو ما هي عند المغاربة : المدينة التي يقيم فيها الحاكم ، أي العاصمة فإذا قال : إن هذا المكان هو قصبة البلاد فإنه يعني أنها مصدر الحكم ، وما تزال كلمة القصبة سارية إلى الآن على اللسان .

كلمة تعني الكيس من الدوم الذي تجعل فيه الأغراض وتجمع على قفف .

القفطان I ، 150 - II ، 381

لباس يرتديه النساء والرجال على السواء ، والكلمة متداولة وتعني ما تعنيه كلمة الفستان في المشرق وأصلها تركي .

القسطل II ، 324

يتحدث عن كثرة القسطل بتركيا وهو معروف بالأندلس والمغرب ، وربما نطق به المغاربة قسطال .

القيسارية I ، 151 - III ، 4

كلمة مستعملة بالمغرب في كل مدينة على الخصوص وتعني السوق الذي تحيط به الأسوار حيث يتجمع معظم التجار على اختلاف بضاعتهم من لباس أو ما شابه، والكلمة كما هو معروف من أصل يوناني.

السبئية IV ، 142

لفظ يستعمل إلى الآن في المغرب ، ويعني شبه منديل تحفظ فيه الألبسة ويجمع على سباني أو سبنيات .

يستعمله بمعنى الوقف أو الحبس ،
سناقية السبيل أو جنان السبيل بمعنى أن
للعوم الاستمتاع به .

نوع من السمك الصغير ، وقد استعمل
اللفظ في عدة لغات وبما أن ابن بطوطة
أتى طنجة فقد كان يتبع الحديث عن
السردين الذي استغرب من أن أهل ظفار
يطعمونه دواهم !

استعمله ابن بطوطة بمعنى الصف من
الدكاكين ، وقد عرف بفاس سماط
العدول يعني الحوانيت الذي يباشر فيها
العدول مهامهم .

كلمة مغربية تعني ثقب المرحاض .

هذا اللفظ ما يزال يستعمل بالمغرب على
نحو ما استعمله ابن بطوطة من غطاء
الرأس يكون على شكل هرمي ويجمع
على شواشي وتنسب إلى مدينة شاش
على ما يبدو .

استعملها ابن بطوطة على نحو ما يستعمل
بالمغرب إلى اليوم ، التين تشرح وتيس
لتقدم في الفصول التي لا يتوفر فيها التين .

وعاء من الجلد تحفظ فيه النقود وغيرها مما
هو ثمين ، وأصلها آت من الشكر لله على
ما أعطى .

جمع شقاشق ، وهو طائر " معروف "
بالمغرب ، وربما أطلقه أهل تلمسان على
بلارج .

يعني في الاصطلاح المغربي بالنسبة لفترة
بني وطاس ، أواخر بني مرين ، الملك
والسلطان، ويظهر أن استعمال هذا اللفظ
بذلك المعنى أتى للجزيرة العربية من
إفريقيا الشرقية وبالذات مقديشو على ما
أسلفناه من التقديم .

تلك طائفة من الكلمات المستعملة
في المغرب تصل إلى مائة وخمسة وثلاثين
كان فيها ما هو مغربي صرف وفيها ما له
أصل في اللغة العربية إذا ما حاولنا مقاربتة

بما يوجد في المعاجم ، وفيها ما هو مقتبس
من لغة ثالثة ليست مغربية ولا عربية ،
وقد أغفلت ذكر بعض المفردات مما تردد
الرأي فيها بين نسبتها إلى هذا الصنف أو
ذاك ، وإني لمدين لكل من صوب أو
حذف أو أضاف ، فلقد كان المهم عندي
أنؤكد أن المغرب ظل حاضرا في ذاكرة
ابن بطوطة ، وأنه أي ابن بطوطة لم ينتظر
معرفة البديل باللغة العربية ليكتب

مذكراته ولكنه كان حريصا على أن
يعجل الفائدة لقرائه ، ومن هنا ساغ له
أن يركب متن الاستعمال الدارج محترما
في ذات الوقت القواعد العربية كما هي
معروفة عند سائر الناس في المشرق
والمغرب وبذلك استطاع الحفاظ على
الأصالة من جهة ، وقدم لنا فكرة
عن القاموس المغربي المتداول من جهة
أخرى .

عبد الهادي التازي
عضو المجمع من المغرب

مجمع اللغة العربية ... وعصر الحاسبات

للأستاذ الدكتور محمود مختار عضو المجمع

السيد الأستاذ الدكتور شوقي ضيف

رئيس المجمع والمؤتمر :

السادة الأخوة الزملاء والضيوف الكرام:

أحييكم تحية عاطرة وأتشرف بأن أعرض

عليكم في هذا المؤتمر الحافل لمحات عابرة

عما يربط بين مجمع اللغة العربية بالقاهرة

وعصر الحاسبات فيما لدى من دقائق

فأقول :

من التوافقات الناجحة ما يقوم بين

ندين متزامنين ومترافقين يحملان رسالة

مستكاملة وينشدان هدفاً واحداً . وربما

كان خير مثل على هذا التوافق الناجح هو

القائم الآن بين مجمع اللغة العربية بالقاهرة

وعصر الحاسبات ، فكلاهما ولد في

مستهل القرن العشرين فهما متزامنان ،

وكلاهما نهل من معين الفتوة والنضوج

الذي تميز بهما القرن العشرين وأهله

لتحديث الحياة الحضارية والعلمية في مصر

والوطن العربي الكبير فكلاهما مترافقان ،

وكل منهما دعم الآخر في مسيرته فهما

متكاملان .

أنشئ مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام

١٩٣٤ ليحمل أسمى رسالة في الوجود

وهي الحفاظ على سلامة لغة القرآن

الكريم أولاً ثم جعلها وافية بمطالب العلوم

والفنون بنص صريح جاء في صدر قانون

إنشائه .

وولد عصر الحاسبات في مستهل

القرن نفسه ليسهم في حمل رسالة تحديث

وتطوير الحياة في شتى أرجاء المعمورة ،

فكان من الطبيعي لهذين الندين أن

يتوافقا ، وأن يدعم كل منهما الآخر ليسير

العالم العربي إلى انطلاقة قوية يعبر بها إلى

القرن الواحد والعشرين .

ولنبداً قصة هذا الدعم من أساسها فنقول:

لقد تابعت وتلاحقت عصور التقدم

الحضاري على مر الزمن ، فانتقلت من

عصر البخار إلى عصر الكهرباء

* ألقى هذا البحث في الجلسة الرابعة يوم الأربعاء ١٢ من ذي القعدة سنة ١٤١٨ هـ الموافق ١١ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٨ م.

فالإلكترونيات فالطاقة النووية حتى وصل
بها المطاف إلى عصر الميكروإلكترونيات أو
الإلكترونيات الدقيقة والتي تفجرت منها
علوم الحاسبات والاتصالات والمعالجة
الإلكترونية للمعلومات وعلوم الفضاء
والذكاء الاصطناعي إلى آخر هذه الحلقة
التي لا يعلم مداها إلا الله .

وفي أوائل هذا القرن كانت بوادر
هذا التيار العاتي قد وصلت إلى الوطن
العربي فأيقظته من غفوة طال مداها ،
فصحى على الفور ليأخذ مكانه الواجب
باستيعاب العلوم الحديثة ومواكبة تيارها ،
فأنشأ المعاهد والجامعات ومراكز البحوث
والهيئات اللغوية والثقافية وأمدّها بكافة
المقومات لتأدية وظائفها على خير وجه .

وفي خضم هذه الصحوّة المباركة
استشعر مجمع اللغة واجبه للوفاء بمتطلبات
العلوم بخلق لغة علمية عربية سليمة خالية
من الألفاظ الأعجمية التي لا يستسيغها
اللسان العربي ، وكان أشدها خطراً ما
جاءت به علوم الحاسبات لشدة غرابتها
وبعدها عن المؤلف ، فقام المجمع على
الفور بتشكيل لجنة متخصصة عام ١٩٧٣

لمواجهة هذا الخطر من أساتذة علميين
ولغويين وخبراء لإبدال هذه الألفاظ
بألفاظ عربية الأصل أو معربة تعريباً علمياً
سليماً يقبله اللسان العربي .

وكانت المهمة أمام اللجنة شاقة
وعنيفة فالكم ضخّم والطريق وعر
وطويل، بما حدا باللجنة لاتخاذ حل عاجل
ومؤقت لعلاجها ، وهو أن تبدأ أولاً
بإخراج معجم مبسط وجيز يشمل
الألفاظ الأكثر شيوعاً واستخداماً وأشد
خطراً على اللغة . وأخرج المجمع هذا
المعجم الوجيز عام ١٩٨٠ وبه نحو ٥٠٠
مصطلح فقط ، فتقبلته الهيئات العلمية
والتعليمية والصناعية بقبول حسن كان له
أكبر الأثر في حفز اللجنة لمواصلة السير في
طريقها بجهد أسرع وكفاءة أعلا . ثم
أخرج المجمع فعلاً عام ١٩٩٥ م ما سبق
أن وعد به وهو الطبعة الثانية الموسعة
للحاسبات وبها ٥٠٠٠ مصطلح وتشمل
كل ما يتطلبه الدارس والباحث والتطبيقي
من مصطلحات إما أن تكون عربية
الأصل أو معربة وفقاً لتوصيات التعريب
التي كان المجمع قد أصدرها . كما أصبح

هذا المعجم الموسَّع حلقة عربية للتفاهم والتواصل بين العاملين في مجال الحاسبات بمصر والوطن العربي . كما ساعد أيضًا على دفع عملية تعريب العلوم وأنشطة الترجمة والتأليف . ومن مميزات هذا المعجم أنه مفهرس بالأبجديتين العربية والإنجليزية ليتسنى استخدامه في كلا الاتجاهين على حد سواء .

سيداتي وسادتي :

تلك كانت لحظة عاجلة لما أسهم به بجمع اللغة العربية بالقاهرة وقدمه إلى عصر الحاسبات كدعم لغوي يتيح له الدخول إلى دنيا اللغة العربية وفي الوطن العربي الواسع الممتد ليتعامل معها بكفاءة أكبر .

ولنعد بعد ذلك إلى الوجه المقابل لما قدمه عصر الحاسبات من دعم قيم لنشاط الجمع وتحديث وتطوير أعماله فنقول :

إن الحاسب الآلي إن هو إلا آلة لها كل خصائص الآلات الأوتوماتية التي عليها أن تنجز ما يُطلب منها وفقًا لبرامج موضوعة ومحددة له . ويتميز الحاسب الآلي الحديث بما له من كفاءة عالية جدًا

لأداء ما يُطلب منه وقدرة خارقة مع استيعاب كم هائل من البيانات والمعلومات والتعامل معها بصورة فورية سريعة .

ومن الجدير بالذكر أن هذه الآلة العملاقة التي تطورت من آلات بدائية وميكانيكية وكهربائية لم يكن عملها مقتصرًا على العمليات الحسابية التي أخذت اسمها عنها، وهو الحاسب ، وظلت محتفظة به في جميع مراحل تطورها دون حاجة لتغييره أو تعديله. كما يحاول البعض، حتى وصل إلى مرحلة معالجة البيانات ودراسة المعلومات بل واتخاذ القرارات بما توافر فيه من ذكاء اصطناعي يمكنه من حل أعنى المشاكل في أقصر وقت.

ولن أحاول في هذه العجالة الخوض في تكنولوجيا الحاسبات وكيفية وصولها إلى هذه الكفاءة الطاغية ، ولكني أقول إنه كان من الطبيعي أن تغزو هذه الآلة الهيئات العلمية والصناعية وتمكّنها من تطوير أعمالها وتحديثها .

ومن الواضح أن كان بجمع اللغة العربية بالقاهرة في مقدمة هذه الهيئات

فدعت هذا الضيف الكريم إلى رحابها وعهدت إليه بالإسهام في دفع أنشطتها وخاصة في مجال إخراج المعاجم ، واستجاب خبراء الجمع وقاموا بإنشاء شبكة حاسبة متوسطة القدرة عام ١٩٩٠ كانت أول تجربة لها هو إخراج معجم الحاسبات الموسَّع عام ١٩٩٥م وبه ٥٠٠٠ مصطلح معرفًا تعريفًا معجميًا بما يتيح للقارئ التعرف على دلالاته العملية . وحفز هذا النجاح على تحديث وتكبير الشبكة وإمدادها بعدد وافر من الحاسبات الحديثة وملحقاتها من طابعات وناسخات وماسحات حتى أصبحت مؤهلة تمامًا لإخراج بقية المعاجم بدءًا بالمعجم الكبير الذي طال انتظاره أعوامًا طويلة. وبالإضافة إلى أعمال المعاجم فإن هذا المركز الجديد قد أصبح مؤهلًا لإخراج جميع أعمال اللجان والمجالس والندوات والمؤتمرات والمطبوعات اللغوية والثقافية منذ أن ولد الجمع أي منذ ٦٥ عامًا حتى اليوم. وتسجيلها جميعًا على أقراص ممغنطة.

وبالإضافة إلى كل هذه الأعمال امتدت شبكة الحاسب الجديدة إلى جميع

إدارات الجمع ومقار لجانه وإداراته المالية والحسابات والمخازن وشؤون العاملين والمكتبة وأمدتها جميعًا بحاسبات صغيرة تعمل كنهايات طرفية للمركز الرئيسي وتتيح للعاملين فيها الاتصال بالحاسب الرئيسي والتعامل معه دون الانتقال إليه . سيداتي وسادتي :

تلك كانت لحظة عابرة أخرى لما قدمه عصر الحاسبات إلى مجمع اللغة لدعم أنشطته وأعماله .

بقيت لي كلمة واجبة الأداء . وهي إهداء التقدير والعرفان إلى كل من أسهم في هذه الإنجازات .

وأبدأ بالأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس الجمع على رعايته للمركز والحاسب الجديد والاهتمام به . والأستاذ إبراهيم التريزي الأمين العام الذي أمد المشروع بكل مقومات التنفيذ والنجاح . وأذكر بكل تقدير جهود الأستاذ الدكتور محمد هيثم الخياط على ما قدمته هيئة الصحة العالمية برئاسته من عون أدبي وعلمي ، وأقدم خالص الشكر والامتنان إلى أساتذة الحاسبات الجامعيين الخبراء

بالمجمع ، وهم الأستاذ الدكتور سمير
شاهين والأستاذ الدكتور إيهاب طلحان
والأستاذ الدكتور أحمد بهنساوي . ثم
شكرًا خاصًا وخالصًا إلى الأساتذة
الإداريين بدءًا من الأستاذ عبد الوهاب
عوض الله فالأستاذة أوديت إلياس،
والأستاذة فوزية فهم والأستاذ أحمد
حامد والأستاذ جمال مراد الذين قاموا

بعبء التنفيذ .

وفي ختام حديثي يشرفني أن أدعوكم
سيداتى وسادتى إلى التفضل بزيارة مقر
الحاسب الجديد كما يسعدني أن أتلقى
ملاحظاتكم وتوجيهاتكم .

وفقنا الله إلى كل ما فيه الخير لمصرنا
العزيزة ووطننا العربي الغالي .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمود مختار

عضو المجمع

حَوْسَبَةُ المصطلحات العلمية والفنية
التي أقرها المجمع في ثلاثة وستين عامًا
(١٩٣٤ - ١٩٩٧)

للأستاذ الدكتور محمد هيثم الخياط .

تلك سُنَّةٌ حسنة ، سَنَّها أخونا
المجمعيُّ اللُّغوي المحقِّق الثَّبت ، الأستاذ
الجليل أحمد الأخضر غزال ، يوم اقتحم
غيرَ هيَّاب مجال حَوْسَبَةِ المصطلحات
العلمية العربية ، ففتح لنا بذلك فتحًا
مبينًا، وألحَبَ لنا الجادَّة، وعبَّدَ لنا المحجَّة،
فله أجرُ هذه السُّنَّة وأجر من عمل بها إلى
يوم القيامة إن شاء الله .

وقد أتيج لي أن أشهد بدايات هذه
المبادرة الجريئة ، في عَقْد السبعين من هذا
القرن ، يوم استضاف الأستاذ الأخضر
في معهد الدراسات والأبحاث للتعريب في
الرباط ، حاضرة المملكة المغربية ، جلسة
من جلسات إعداد المعجم الطبي الموحد ،
ثم أتيج لي بعد عَقْد من الزمان ، سنة
خمس وثمانين ، أن أشرفُ بصحبة
كوكبة من أعلام اتحاد المجمع ، في ندوة

تعريب التعليم العالي والجامعي ، التي
عقدت في الرباط كذلك ، وأن أطلع
معهم على ما قطعت هذه المسيرة من
أشواط . وكان قائد ركب المتدين الذي
زار المعهد ، شيخنا الأستاذ الدكتور
إبراهيم بيومي مذكور تغمده الله برحماته،
ولعل أستاذنا الدكتور محمود حافظ لا
يزال يذكر تلك الزيارة . فقد أعجبنا
جميعًا أيما إعجاب بهذا العمل : أن تدخر
كل معلوماتك المصطلحية في جهاز يقال
له الحاسوب computer ، له أبجدية قوامها
حرفان اثنان أو رقمان اثنان أو قُلْ: بِتَّان
bits اثنان بلغة الحاسوب إن شئت :
"صفر" و "واحد" تُبنى منهما آلاف
مؤلفة من العبارات أو الجمل الحاسوبية
التي تبدو لك إذا طالعته شبيهة بأرقام
الهاتف ، كل رقم هاتفي يتألف من ثمانية

بِتَات ، ويطلق عليه اسم " البَيْت " byte :
يَيْت الحاسوب إن شئتَ مقارنةً ببِت
الشعر ا

أقول : تُدْخِل هذه المُعطَيَات data أي
أبيات القصيدة الحاسوبية في هذا الجهاز
اللطيف ، فما أسرع ما يَلْتَقِم هذه
المُدْخَلَات inputs ، ثم لا يلبث أن يقوم
باعتمادها أو معالجتها processing وفق
برنامج معيّن زوّدته به من قبل ، ثم يتيحها
لك مُخْرَجَات outputs ميسورة التناول
كبيرة الفائدة ، منسجمة كلّ الانسجام
مع ما أُمليتَ في هذا البرنامج .

هذه إذن هي أعضاء الحاسوب :
فأعضاء الإدخال أشبه بجواس الإنسان
الخمسة التي تتلقف المعلومات من محيط
المرء تلقُّفاً ، منها مثلاً لوحة المفاتيح
keyboard التي تشبه مفاتيح الآلة الكاتبة؛
ومنها أيضاً تلك الفُرْضة في جسم
الحاسوب التي يمكن أن يولَج فيها قرصٌ
يحتوي على المعلومات أو التعليمات . أما
أعضاء الإخراج فهي أشبه بوسائل التعبير
التي يعبرُ المرء بها عما يريد من صوت
وإيماء وحركة وأسارير ، منها مثلاً شاشة

الجهاز التي تقرأ عليها ما يريد الحاسوب
أن يعبرَ عنه من معلومات ، تُعرَض عليك
مكتوبةً أو مرسومة ، ملوّنة أو غير ملوّنة،
مصحوبة بصوت ، أو صامتة ؛ ومنها
الطابعة printer التي تسطر هذه المعلومات
مكتوبةً أو مرسومة على ورق .

ولكن واسطة العقد وجوهرة الجهاز
هي ذلك العضو الشبيه بالدماغ في هذا
الكائن العجيب ، وهو يتألف من ثلاثة
أقسام : ذاكرة memory تخزن ما يرد من
معلومات وتعليمات ، وذهنٌ ذكي يقوم
بإجراء العمليات الحسابية والمنطقية
Arithmetic and Logic Unit (ALU) ، وعقلٌ
يتحكّم في سائر مقومات الحاسوب
وينسّق بينها ويضبط مناشطها . أما ذهنُ
الحاسوب وعقله فكثيراً ما يطلق عليهما
معاً - ومعهما بطاقات الإظهار والقرص
الصلب - اسم : وحدة التحكم المركزية
CPU . وأما ذاكرة الحاسوب فذاكرتان :
ذاكرة دائمة لا تمحى وإنما تُقرأ فقط
Read Only Memory (ROM) وذاكرةٌ وُقتيةٌ
الحفظ عشوائيةُ الإتاحة Random Access
Memory (RAM) تُقرأ ما كانت لازمة ثم

تُمحى ويُكتب على آثارها متى انتفت الحاجة إلى بقائها .

أعود إلى زيارتي معهد التعريب في الرباط فأقول : تمنى أستاذنا الدكتور حسني سبح رحمه الله وأحسن إليه ، في الزيارة الأولى ، وتمنينا معه ، أن يتاح لنا مثل ذلك في مجمع اللغة العربية بدمشق ، وتمنى أستاذنا الدكتور مذكور في الزيارة الثانية وتمنينا معه ، أن يتاح مثل ذلك في مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

وقد ظلت الزيارتان والأمنيتان غصتين في خاطري ، حتى يسر الله لنا في المكتب الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية ، أن نحقق ذلك في هذه المرحلة الأخيرة من مراحل إعداد الإخراجة الجديدة من "المعجم الطبي الموحد" ، مستخدمين نظاماً حاسوبياً لتخزين المعلومات واسترجاعها وتوثيقها ، ابتكرته منظمة اليونسكو سنة خمس وثمانين ، وعربته جامعة الدول العربية ، وهو نظام يعمل في بيئة متعددة اللغات ، ويُستخدم في أكثر من أربعين ألف مؤسسة في العالم ، في الوقت الحاضر لما أثبتته من كفاءة ومصداقية في التعامل .

فباستخدام هذا النظام - وهو يدعى اختصاراً CDS/ISIS - أدخلنا المصطلحات الطبية التي بلغت مئة وخمسين ألفاً في الحاسوب باللغتين العربية والإنكليزية. ولا تَسَلُّ عما تحققنا لذلك من فائدة . فقد ساعدنا ذلك على ضبط المصطلحات، والتأكد من صحة هجائها باللغتين ، وعلى شكلها (تشكيلها) ودقة ترتيبها ، والتأكد من أننا لم نستعمل اللفظة العربية الواحدة لأكثر من مقابل أجنبي واحد . ثم إننا استطعنا - بإضافة روامز خاصة - أن نصنّف المصطلحات بحسب الموضوع ، بحيث نستطيع - متى نَجَزَ المعجم برمته إن شاء الله - أن نستخرج عشرات من المعاجم التخصصية .

على أن فوائد الحوسبة computerization لا تقتصر على ذلك . فهي تُيسِّرُ إيصال حصيلة العمل المصطلحي إلى المستفيدين بأسرع وقت وأهون سبيل ، سواء استُسخِرتْ على أقراص لينة floppy disks أو على أقراص مكتنزة compact disks بذاكرة تُقرأ فقط CD-ROMs . ثم إن الحوسبة تُيسِّرُ التعرف على مواقف

المستفيدين من المصطلحات، وتتيح لنا نحن
سندّة المعجم دون سوانا - التعديل
والتنقيح والتشذيب بحسب مقتضى
الحال.

وخلاصة القول أن المصطلحات
العلمية والتقنية تصبح بفضل الحوسبة أشبه
بكائنات حية : تُولّد ، وتسجّل ، وتنمو ،
ويُراقب تطوّرها ، وتتحرّك بين الفروع
العلمية المختلفة .

على أن حوسبة المعجم الطبي الموحد،
قد فتحت لنا الباب لحوسبة مصطلحات
المجمع . فقد تراءى لنا أن المصطلحات
التي أقرّها هذا المجمع الموقر في مؤتمراته لا
يجوز بحال أن تبقى حبيسة محاضر المجمع
وقماطره، محجوبة عن عامة الناس ، اللهم
إلا ثلثة من أولئك الذين يعرفون سبيل
الحصول عليها ويسارعون إلى اقتنائها .
فأول غرض من أغراض المجمع كما نصّ
على ذلك مرسوم إنشائه " أن يحافظ على
سلامة اللغة العربية ، وأن يجعلها وافية
بمطالب العلوم والفنون في تقدّمها ،
ملائمة على العموم لحاجات الحياة في
العصر الحاضر " . ولذلك فقد كان أحد

قرارات المجمع في السنوات الأولى لإنشائه
" عرضُ الكلمات التي يقرها المجمع على
الجمهور ، متقبلا ما يوجّه إليها من النقد
الصادق على مدى عامٍ من عرضها، وبهذا
القرار يكون المجمع قد أشرك معه أهل
العلم وأصحاب الرأي كافة .. " كما قال
الدكتور محمد توفيق رفعت باشا رئيس
المجمع سنة ست وثلاثين . وهو ما أكده
الأستاذ الدكتور إبراهيم مدكور عام اثنين
وستين بقوله عن هذه المصطلحات :
"على أن الاستعمال هو الفيصل في الحكم
على مدى صلاحيتها . ونحرص الحرص
كله على نشرها في أوسع مجال ممكن ،
فنضعها تحت أنظار الباحثين من عرب
ومستعربين ، ونهديها للمجامع العلمية
والجامعات، ونبعث بها إلى وزارات
التربية والتعليم في العالم العربي ، ونرحب
بكل ما يُبدى عليها من ملاحظات ، ولا
نتردد في أن نعيد النظر فيها إن دعا
الأمر " .

فكيف يتأتى في عصرنا هذا
"عرضها على الجمهور " و " نشرها في
أوسع مجال ممكن " ، إن لم تستعمل

الوسائل العصرية الحديثة في بث المعطيات وإشاعة المعلومات.

من أجل ذلك خطر لنا أن نستفيد من تجربتنا في حوسبة المعجم الطبي الموحد، فنطلق من البرنامج الحاسوبي الذي استعملناه لهذا الغرض ، ونستخدمه بعد تعديله بعض الشيء ، لإدخال جميع ما أصدره الجمع من مصطلحات منذ إنشائه حتى اليوم في ذاكرة الحاسوب . وقد أنجزنا جُلَّ ذلك بعون الله ؛ أما التعديل الذي أدخلناه على البرنامج فلم يَزِدْ على وضع جميع المقابلات التي صيغت على مدى السنين في مقابل اللفظة الأجنبية الواحدة ، وعلى تسجيل سنة إصدار المصطلح ، أي السنة التي منحه فيها مؤتمر الجمع شهادة الميلاد ، وعلى مَظِنَّة وجوده في مختلف مطبوعات الجمع، وعلى الاستفادة من تصنيف ديوي Dewey العشري المستخدم في المكتبات ، لتبويب المواضيع التي تنتمي إليها المصطلحات .

هذه الثروة اللفظية الثمينة هي اليوم بين يدي أعضاء الجمع الموقرين وخبرائه ، مكتَنَزَةٌ في الحاسوب ، سهلة المتناول ،

يسيرة التداول . بمعنى أن الخطوة الأولى التي كثيراً ما تكون أصعب الخُطُوات قد فُرِغَ منها أو يكاد . وإذا كنّا قد اقتصرنا في هذه المرحلة على إدخال المصطلحات دون تعاريف ، فإننا نقوم الآن بإضافة هذه التعاريف ، وأملنا أن نفرُغَ من ذلك في غضون شهر أو شهرين بحول الله .

فماذا بعد ؟

في الجمع الآن عشرة من أحدث الحواسيب سَعَدَ المكتب الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية بتزويد الجمع بها . وأول ما أقرحه ، أن يتفضل الأستاذ الرئيس فيخصّ كل لجنة من لجان الجمع بحاسوب تحتفظ به في غرفة اجتماعها . هذا الحاسوب يشتمل على ذاكرتين اثنتين : ذاكرة تُقرأ فقط ، وتضمُّ هذه الذخيرة الجمعية الكاملة، وهي متاحة اليوم في أقراص مكتَنَزَة CD-ROMs ، وذاكرة تُمحي وتُثبت، وهي خاصة بكل لجنة على حدة ، تضيف إليها المصطلحات الجديدة ، وتعديل مصطلحاتها السابقة إذا لزم الأمر ، ولو أنني أوصي في المراحل الأولى على الأقل ، بمواصلة ما جرت عليه

العادة ، من تدوين هذه الإضافات أو التعديلات في محاضر اللجنة الورقية بادي الرأي ، ثم يقوم محرر اللجنة المختص بإدخال ذلك في الذاكرة القابلة للتبديل . ثم تمرّ هذه المصطلحات الجديدة والمعدلة بما كانت تمر به في العادة من مراحل الإقرار في مجلس الجمع ثم في المؤتمر ، حتى إذا ما أقرّت أضيفت إلى الذخيرة الجمعية الكاملة . وبذلك يُحافظ على المسيرة المعهودة في إصدار المجموعات السنوية ، وتضاف إليها - دون أن تحل محلها - هذه الوسائل الحديثة .

أما اقتراحي الثاني فيتلخص في أن تُربط هذه الحواسيب جميعاً بشبكة محلية LAN ، تُشخّن بشبكة داخلية للمعلومات intranet ، بحيث تستطيع كل لجنة أن تطلع على ما توصلت إليه اللجان الأخرى أولاً بأول ، دون أن تكون لها القدرة على التحوير والتبديل فيها . ويتطلب ذلك توافر جهاز إضافي يقال له المخدم server ، وسوف يكون من دواعي سعادتنا في منظمة الصحة العالمية أن نزود الجمع به .

ولي بعدُ اقتراح آخر . فحواسيب الدنيا كلها تستطيع اليوم أن تتواصل وتتحاور ، من خلال شبكة عالمية للمعلومات internet ، يدعونها أحياناً الشبكة الشُعْية webnet تشبيهاً لها بالشُعْ وهو بيت العنكبوت . وتستطيع كل مؤسسة بل كل فرد أن يتخذ لنفسه صفحة أو موضعاً في هذه الشبكة . فاقتراحي الثالث يتمثل في أن يتخذ الجمع الموقر لنفسه مثل هذه الصفحة أو الموضع ، فتكون ذخيرته المصطلحية المقررة متاحة للعالم أجمع ، يستطيع من شاء أن يطلع منها على ما شاء ، دون أن يستطيع لها تغييراً أو تبديلاً . وبذلك تتحقق الغاية التي تُغنيها السلف الصالح من الجمعيين ، في إتاحة هذه المصطلحات لخاصة الناس وعامّتهم . وسوف يتلقّى الجمع من مختلف أصقاع المعمورة ، بالبريد الإلكتروني - وهو متاح الآن في الجمع - مراسلات نافعة ممن يريد أن يعلق على بعض المصطلحات بملحظ ، أو يُغني مادتها برأي ، أو تعريفها باقتراح تبسيط أو فضّل إيضاح أو إضافة . ثم إن لذلك

حسنة أخرى ، ألا وهي زيادة تعريف الناس بالجمع ومطبوعاته ومنشوراته ، مما يسزىء الطلب عليها والإقبال على اقتنائها زيادة كبيرة .

ولعل ما توصلنا إليه يشجع الجامع الأخرى على أن تقتدى بهذا الجامع الموقر، وتحذو حذوه فى الشروع بحوسبة المصطلحات ، ثم إقامة شبكة داخلية للمعلومات فى كل منها ، توطئة لإقامة شبكة جمعية عربية تربط بين مجامع اللغة العربية جميعاً وتسمح باجتسار الفجوات القائمة حالياً بين الجامع وتساعد على توحيد المصطلحات من جهة، وعلى مواكبة السيل المنهمر من الألفاظ التى تتولد هنا وهناك تولد الكفاءة مع تباشير الربيع .

مُنَى إن تكن حقاً تكن أعذبَ المنى

وإلا فقد غشنا بها زمناً رَغْدًا
وبعد ، فإن حوسبة مصطلحات الجمع، تتيح لكثير من الباحثين ومُعَدِّي رسائل الماجستير والدكتوراه ، أن يقوموا بإجراء عديد من الدراسات التحليلية لهذه الذخيرة اللغوية الثمينة . وأنا على مثل

السيقين من أنهم سيخرجون منها بحصيلة قيمة من الدراسات الجادة . وقد اغتتمت مناسبة حديث اليوم إليكم ، فقامت بدراسة تحليلية بدائية جداً لما اختزنه ذاكرة الحاسوب من مصطلحات الجمع ، أعرض حصيلتها على حضراتكم فى أربع ملاحظات:

الملاحظة الأولى : أن العدد الإجمالي لما أدخلناه من المصطلحات التى أقرها الجمع فى مؤتمراته على مدى السنوات الماضية ، يبلغ مئة وأربعين ألف مصطلح ، والعدد الكلى لا يزيد على ذلك كثيراً .

وأن عدد ما أقر منها فى كل سنة ميين فى الجدول الأول .

وأن عدد ما ينتمى منها إلى كل علم من العلوم ميين فى الجدول الثانى .

الملاحظة الثانية : أن الجمع لم يلجأ فى الغالب إلى ضبط المصطلحات بالشكل ، فمصطلح " معط عام " مثلاً يمكن أن يراد بها المَعَط العام بفتحين على الميم والعين ، بمعنى سقوط الشعر الشامل alopecia universalis . كما يمكن أن يراد بها المُعْطى العام universal donor الذى نستطيع نقل

الدم منه إلى الناس كافة . ومصطلحا "الخلط" بكسر الخاء ، واحد الأخلاط أي سبائل البدن humor ، و"الخلط" بفتح الخاء ، بمعنى المزج mixing يُرسمان بصورة واحدة وهكذا . وهذا في ظني أمر لأبد من تلافيه، لأن الجمع مرجع في ضبط المصطلحات كما أنه مرجع في وضعها . وتدارك ذلك سهل ميسور إن شاء الله .

الملاحظة الثالثة : أن الأحرف المستعملة بحاجة إلى اتفاق عليها أيضاً . فالهمزة توضع أحياناً فوق الألف أو تحتها - خطأ أو صواباً - أو أنها تُهمل فلا تُكتب . والياء في آخر الكلمة تكتب أحياناً معجمة بنقطتين من أسفل ، وتترك في كثير من الأحيان مهملة بلا نقط ، فيقرأها معظم إخواننا العرب غير المصريين ألفاً مقصورة .

والملاحظة الرابعة : أن الألفاظ العربية تتعدد في مقابلة اللفظة الأجنبية الواحدة . وهذا أمر مقبول في قلة قليلة من الحالات، حين تكون للمصطلح الأجنبي الواحد عدة معانٍ . ولكنه أمر غير مستساغ في غير ذلك من الأحوال . وما كان لهذا الأمر أن يُكتشف بسهولة لولا استعمال الحاسوب ، لأن تصرُّم السنين يُنسي واضع المصطلح ما وضع من قبل ، لاسيما حين تتعدد حقول العلم . ولكن تدارك ذلك سهل ميسور أيضاً إن شاء الله .

بارك الله في هذا الجمع العظيم وفي عطائه، وجعل يومه خيراً من أمسه ، وغده خيراً من يومه، وأيده بتمدّد من عنده، وأنجح مسعاه في خدمة لغة التنزيل العزيز.

محمد هيثم الحياط

عضو الجمع المراسل من سوريا

المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة

١٩٥٧ - ١٩٩٦

موزعة حسب السنوات

- نتائج أولية للدراسة جارية -

سنة الإصدار	عدد المصطلحات
١٩٧٨	٣٧٥٠
١٩٧٩	٢٧١٨
١٩٨٠	٣٣٧٣
١٩٨١	٢٧٨٠
١٩٨٢	٩١٠٠
١٩٨٣	١٢٦٨٩
١٩٨٤	٥٤٤٨
١٩٨٥	٣٩٨٦
١٩٨٦	٧٣٤٥
١٩٨٧	-
١٩٨٨	٩٣٣١
١٩٨٩	-
١٩٩٠	٣٨٦٥
١٩٩١	٣٢٣١
١٩٩٢	-
١٩٩٣	١٧٠٠٤
١٩٩٤	١١١٦٧
١٩٩٥	-
١٩٩٦	٢٦٣٣
١٩٩٧	-
١٩٩٨	-

سنة الإصدار	عدد المصطلحات
١٩٥٧	٩٧٨٠
١٩٥٨	-
١٩٥٩	-
١٩٦٠	٢٣٠٦
١٩٦١	-
١٩٦٢	٣٥٠٣
١٩٦٣	١٤٦١
١٩٦٤	٧٦٦
١٩٦٥	٣٤٦
١٩٦٦	١١٩٩
١٩٦٧	١٤٢٦
١٩٦٨	١٣٩٤
١٩٦٩	١٦٢٧
١٩٧٠	١٦٠٦
١٩٧١	١٧٣٤
١٩٧٢	١٥٩٠
١٩٧٣	١٩٦٥
١٩٧٤	١٨٩٣
١٩٧٥	١٤٥٣
١٩٧٦	١٢٢٥
١٩٧٧	١١٢٩

المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة

١٩٥٧ - ١٩٩٦

موزعة حسب الفروع العلمية

- نتائج أولية لدراسة جارية -

الرمز الموضوعي (حسب تصنيف ديوي العشري)	الفرع العلمي	عدد التسجيلات
٠١٠	المكتبات والتوثيق والمعلومات	١٧٣٢
١٥٥	المنطق	٤٠
١٩٠	الفلسفة	٤٩٠٣
٣٠٠	العلوم الاجتماعية	١٩٦٩
٣٣٠	الاقتصاد السياسي	١٦٢٨
٣٤٠	القانون	٩١١٣
٣٥٠	الإدارة	٢٢١
٣٧٠	التربية والتعليم	٤٩٧
٣٩٠	ألفاظ الحضارة	١٠٠٢
٤٠٠	اللغات	٥٩٧
٥١٠	الرياضيات	٤١٢٠
٥٣٠	الفيزيقا (الفيزياء)	١٤٧٤٦
٥٣١	ميكانيكا السوائل	١٨٧
٥٣٥	الضوء والبصريات	١٧١
٥٣٧	الكهرباء والالكترونيات	٩٢٥
٥٣٨	المادة والذرة	٨٢١
٥٤٠	الكيمياء والصيدلة	٧٧٧٣
٥٥٠	الجيولوجيا	٩٤٨٦
٥٧٠	البيولوجيا (علم الأحياء) والزراعة	٢٠٧٥٠
٦١٠	الطب	٢٠٠٣١
٦٢٠	الهندسة	٥٤٩٢

الرمز الموضوعي (حسب تصنيف ديوي العشري)	الفرع العلمي	عدد التسجيلات
٦٢٦	الهيدرولوجيا	٤٩٤٤
٦٦٥	النفط	١١١٤٧
٦٧٠	الصناعات المحلية	٥٢٦
٦٨٠	الحرف اليدوية	٦٨٠
٦٩٠	البناء	٦٨
٧٠٠	الفنون الجميلة	٢٣٩١
٧١٩	السياحة	١٤٢
٧٢٢	الآثار	١٥٢
٧٢٣	العمارة العربية	١٣٩
٧٤٠	الرسم والزخرفة	١٤٤
٧٦٠	الطباعة	١٧
٧٧١	السينما	٤٧٥
٧٨٠	الموسيقى	١٥٨٤
٧٩٢	المسرح والتمثيل	٢٤٥
٧٩٧	الرياضة	١٧١٠
٩٠٠	التاريخ	١٠٦٢
٩١٠	الجغرافيا	٣٤٣٧

اللغة العربية ووسائل النهوض بها في مصر (*)

للأستاذ الدكتور محمود حافظ

بصرنا وما تسمعه آذاننا وما تلمسه أيدينا
مستوردٌ أو مصنوعٌ بلفظه الأجنبي ويطلبه
الناس بلفظه الدخيل على اللغة وأصبح
كل ذلك جزءاً من حياتنا .

ومما زاد الأمر سوءاً ما نشهده اليوم
من هجمة اللغات الأجنبية والتي امتدت
أيضاً إلى وسائل الإعلام إلى درجة إدخال
المقطع " كو " (اختصار كلمة Company
أي شركة) على أسماء الأعلام
والشركات فأصبحنا نقرأ على لافتات
المحلات التجارية مسميات مثل يوسف
كو للمقاولات ، هيدكو للأعمال
الهندسية ، وأرامكو للبترول وفاركو
للأدوية - كما انتشرت لافتات بأسماء
أجنبية مكتوبة بحروف عربية مثل سوبر
ماركت ، وفاين فودز ، هوم سيرفس ،
ميريلاند وغيرها .

ومما يبعث على القلق أيضاً انتشار
مدارس اللغات في مصر في السنوات

كثرت الكلام في السنوات الأخيرة بين
جمهرة العلماء والمثقفين في مصر عن
مستوى اللغة العربية في مدارسنا ومعاهدنا
وجامعاتنا وجوانب أخرى من حياتنا
اليومية والذي بلغ درجة ملحوظة من
الهبوط والضعف مما أشاع قلقاً بالغاً بين
سدنة اللغة العربية وحماة والقائمين فيها .

ومنذ عهد ليس ببعيد إبان أيام خلت
كانت اللغة العربية هي اللغة الفصحى
وكان معني بها تدريساً وتلقيماً وكتابةً
وإذاعةً مرئيةً ومسموعةً ولكن أصبح الآن
بين اللغة ودارسيها والناطقين بها جفوةٌ
صارمةٌ وحلت محلها اللغة الدارجة أو
خليطٌ بين الفصحى والعامية - والحق إن
اللغة تعاني اليوم من أزمة حادة بسبب ما
يجري اليوم على الألسنة في كل مكان
فالكثير مما نأكل وما نلبس وما نتداوى
به وما نستخدمه من أدوات الصناعة
والزراعة ومختلف الفنون وما يقع عليه

* أقيمت هذه المحاضرة في الجلسة الخامسة يوم الأربعاء ١٢ من ذي القعدة سنة ١٤١٨هـ الموافق ١١ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٨م.

الأخيرة فهي تُسهم في هذه الهجمة الشرسة على اللغة العربية إذ لا تولي اللغة العربية في مناهجها إلا أقل القليل وهذا أمر جدّ خطير على مستقبل أبنائنا فكريا وثقافيا واجتماعيا ويدعوننا ذلك إلى وقفة صارمة ضد هذا التيار .

ومن اللافت للنظر عن هجمة اللغات الأجنبية على اللغات الوطنية للشعوب وغزو اللغة الإنجليزية والانبهار بكل ما هو أمريكي ما قاله فيديريكو ماير مدير اليونسكو في محاضراته التي ألقاها في تونس منذ شهور عن التطورات الثقافية والاقتصادية والسياسية في العالم محدّرا من خطورة العولمة التي تتجه بقوة إلى صبغ العالم بثقافة واحدة ولغة سائدة واحدة حتى تفقد الشعوب هويتها وتنصهر في بوتقة ثقافة العولمة .

وعن الموضوع نفسه تحدث أستاذنا الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع في محاضرة له بالجامعة العربية منددا بثقافة العولمة ولغة العولمة ومنددا بخطرها على هويتنا الوطنية والثقافية ولغتنا القومية .

ومن المصادفات القريبة ما كتبه أستاذ غيور على اللغة العربية هذا الأسبوع في إحدى مجلات دار الهلال (المصور) وكأنه على موعد لما نتصدى له اليوم من مختلف قضايا اللغة العربية إذ يقول : "اللغة رمزُ أمّتنا وبها نزل القرآن وحين يضع هذا الرمز تضيع معه الهوية والهدف ولذلك علينا الحفاظ عليها ونبتعدّ عن كل ما يفسدها .

وكانت وسائل الإعلام من قبل تقوم بهذا الدور ، وبذلك شاركت في إعداد أجيال تحرص على اللغة العربية وسلامتها ولكن ما يحدث الآن هو العكس تماما ويتبدى هذا في الكلمة المسموعة والكلمة المرئية حين تجري على الألسنة لغة عامية دارجة هابطة المستوى تبرأ منها لغتنا الجميلة، لذلك لا بد لأصحاب الأقلام الحرة أن يتصدوا لهذه الظاهرة حتى لا تمتد لما هو أبعد من ذلك فيضيع منا الرمز ونفقد الهوية " .

الاهتمام باللغة العربية :

لست في حاجة إلى القول إن اهتمامنا باللغة العربية ينبع من عقيدة دينية

ثم من عاطفة وطنية وقيم حضارية
وضرورات اجتماعية - هي وعاء الفكر
ووسيلة الاتصال والتفاهم ورابطة القومية
- هي اللسان المبين الذي حفظه الله مع
الذكر الحكيم وهي الوعاء الذي يحوي
خبرات أهلها وتجاربهم ومعارفهم وفنونهم
ومثلهم العليا وسائر ضروب ما تنتجه
قرائحهم والذي يحتفظ كل ذلك من جيل
إلى جيل عبر العصور - واللغة العربية إلى
هذا كله الأداة الأساسية التي نستخدمها
في نقل مختلف العلوم والفنون والمعارف
إلى الناشئة في مراحل تعليمهم العام
والعالي والجامعي وهي كذلك أداة نشر
الثقافة بأوسع معانيها وتراثنا وحضارتنا
عن طريق مختلف وسائل الإعلام كما هي
الأداة التي يستخدمها الإنسان في تثقيف
نفسه بنفسه وفي تعلمه الذاتي مدى حياته
- ومن هنا تبدو أهمية اللغة العربية وأهمية
تعلمها وتعليمها لا باعتبارها مادة دراسية
مقررة فحسب ولكن باعتبارها محورا
أساسيا في بناء الإنسان بكل جوانبه
ومحورا للعملية التعليمية في كل مراحل
التعليم ومحورا للنشاط الإنساني في المجتمع

وفوق كل ذلك الاعتبار الديني فكل
شعائر الإسلام وأركانه تدعو إلى تعلم
اللغة العربية ثم كان القرآن الكريم الباعث
إلى أكثر العلوم العربية الخالصة سواء
العلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه
وتشريع أو العلوم الدنيوية من نحو ولغة
وبلاغة وغيرها وقد حمل الأزهر الشريف
في مصر هذه الرسالة أكثر من ألف عام .
عبقرية اللغة العربية :

وعن عظمة اللغة العربية وعبقريتها ما
شهد به المستشرقون المنصفون فقد قال
المستشرق جرونيوم في مقدمته لكتاب
تراث الإسلام : " إن اللغة العربية هي محور
التراث العربي الزاهر - وهي لغة عبقرية لا
تدانيها لغة في مرونتها واشتقاقها وهذه
العبقرية في المرونة والاشتقاق اللذين
ينبعان من ذات اللغة جعلتها تتسع لجميع
مصطلحات الحضارة القديمة بما فيها من
علوم وفنون وآداب وأتاحت لها القدرة
على وضع المصطلحات الحديثة لجميع
فروع المعرفة " - وكذلك يقول المستشرق
الألماني بروكلمان الذي أرح للفكر
والتأليف العربيين في العصر الجاهلي حتى

الآن في سلسلة كتبه الشهيرة " تاريخ الأدب العربي " يقول إنه بفضل القرآن الكريم بلغت اللغة العربية من الاتساع مدى لا تكاد تعرفه أي لغة أخرى .

وفي معرض التدليل أيضاً على ثراء اللغة العربية أن هناك علماً ما يثبت أن اللغة العربية الفصحى هي أم اللغات وأصل الكلام بينما تمثل اللغات الأخرى قنوات وروافد لها - وكما يقول الأستاذ الدكتور محمود الرضاوي مقرر لجنة التعريب باتحاد الأطباء العرب فإن ٨٠ من أفعال اللغة السكسونية ، ٧٥ من أفعال اللاتينية تأتي من أصل عربي ، ويؤيد هذا أن هذا عدد الجذور في اللغة العربية يزيد على ١٦٠٠٠ ستة عشر ألف جذر بينما في اللغة السكسونية ما يزيد قليلاً على ألفي (٢٠٠٠) جذر في حين لا تحتوي اللغة اللاتينية إلا على ثمانمائة (٨٠٠) جذر مع ملاحظة عامة أخرى أن اللغة العربية تخرج منها مشتقات وتراكيب قد تجل عن الحصر.

ودليل آخر (كما يقول أستاذ الفلسفة فريد تادرس) فإن عدد أبنية

كلام العرب وكما يقرر الخليل بن أحمد في كتاب " العين " يبلغ ٤١٢ و ٣٠٥ و ١٢ كلمة ولذلك فهي - أي اللغة العربية - أكثر لغات العالم أصوات ومقاطع إذ بها ٢٨ ثمانية وعشرون حرفاً غير مكرر ، بينما في اللغة الإنجليزية ستة وعشرون (٢٦) حرفاً ومنها مكرر - وفي هذا السياق يصفها سليمان البستاني مترجم إلياذة هوميروس بأنها " أطول اللغات الحية عمراً وأقدمها عهداً وأكثرها ثراء بالألفاظ والمعاني مستشهداً على ذلك بالإلياذة فهي بكل بلاغتها وسائر منظومات هومروس على علو شأنها لم تُقم اللغة اليونانية دعامة ثابتة حتى في بلادها " لكن اللغة العربية وحدث اللسان بين العرب وانتشرت بين آلاف المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وفي كل مكان .

لمحة تاريخية عن اللغة العربية في مصر :

عرفت مصر اللغة العربية بعد الفتح إبان القرن السابع الميلادي (عام ٦٤٠م) وعندما دخلها العرب كانت اللغتان القبطية واليونانية سائدتين في البلاد وقد استقدم الفاتحون معهم مترجمين لتفاهم

مع أهل البلاد في ذلك الوقت وقد استمر الحال على هذا المنوال قرابة قرن من الزمان إلى أن صدر أمر بإحلال اللغة العربية في الهيئات الحكومية وابتدأت اللغة العربية تتغلغل في البلاد مع انتشار أهلها - ووفد على مصر بعض العلماء العرب الذين كتبوا وألفوا بالعربية مثل ابن يونس في القرن العاشر والبغدادى في القرن الثاني عشر والثالث عشر وغيرهما - وقد عاشت اللغة العربية مع اللغة القبطية عدة قرون في مصر إلا أن هذه الأخيرة أخذت تنحسر رويدا رويدا بحلول أواخر القرن الثامن عشر وكانت العربية قد استقرت وعم استعمالها في مصر كلها .

وفي أوائل القرن التاسع عشر بدأ الحكم التركي لمصر وتعصبت العناصر التركية التي تولت الحكم للغتهم وتخلف تعليم اللغة العربية وشاعت العامية حتى في المكاتبات الرسمية ثم جاء الاحتلال البريطاني (١٨٨٢) وقصر اهتمامه على المرحلة الابتدائية من التعليم فتراجعت اللغة العربية إلى معقلها بالأزهر ودار العلوم وأخذ المحتلون يحاربون اللغة العربية

ويفرضون لغتهم على مواد التعليم كله لتجذب المعلمين بها إلى حظيرة ذوي الثقافة الإنجليزية ورأوا أن إحلال العامية المصرية محل اللغة العربية قد يحقق مآربهم فنادوا بذلك صراحة وقد أثار ذلك الشعور الوطني الذي ظل يعمل في صدور الوطنيين المخلصين من قادة الشعب إلى أن قامت ثورة عام ١٩١٩م وصدر في أعقابها دستور ١٩٣٢ فأعاد سعد زغلول بحجة قلم اللغة العربية لغة للتعليم في جميع المدارس الحكومية ثم إخضاع التعليم الأجنبي للإشراف المصري ومحاربة الدعوة إلى استخدام العامية - وتقلص بذلك نفوذ دنلوب وغيره من المستشارين البريطانيين الذين كانوا نكبة على التعليم بصفة عامة وعلى اللغة العربية بصفة خاصة .

وبدأت بعد ذلك نهضة علمية وتعليمية تمثلت في إنشاء الجامعة المصرية عام ١٩٢٥ والتوسع في إنشاء المدارس الابتدائية والثانوية والمعاهد العليا ثم أنشئ مجمع اللغة العربية عام ١٩٣٢ فكان نصرا كبيرا للغة العربية والحفاظ على سلامتها والعمل على أن تكون وافية بمطالب

العلوم والفنون في تقديمها ملائمة لحاجات الحياة في العصر الحاضر .

اللغة العربية في التعليم العام في مصر
الوضع الحالي بالنسبة لتعليم اللغة العربية :

اهتمت مصر في ربع القرن الأخير وقبل ذلك بالتعليم الفني فزاد عدد المدارس زيادة مطردة في كل رجا من الأرجاء في الحضر والريف على حد سواء - وفي العام الدراسي ١٩٩٥/١٩٩٦ بلغ عدد المدارس الحكومية في المراحل المختلفة من التعليم ابتدائية وإعدادية وثانوية وفنية ٢١,٢٩٩ مدرسة عدا المدارس الخاصة (وكان نصيب رياض الأطفال من هذا العدد ٢٠٦٠ مدرسة ، التعليم الابتدائي والإعدادي ١٨٨ و ١٦ مدرسة ، الثانوي العام ١٤٥٢ مدرسة ، الثانوي الفني ١٥٩٩ مدرسة) وإذا أضفنا إلى هذا العدد المدارس الخاصة والمعلمين والمعلمات ومدارس أخرى وما زاد من مدارس في العام الدراسي ٩٧/٩٦ يصبح العدد نحو ٢٥٠٠٠ خمسة وعشرين ألف مدرسة (كما ذكر ذلك وزير التعليم في معرض

حديثه عن التعليم بالمجالس القومية المتخصصة) .

وبالنسبة لعدد الطلاب فيبلغ في العام الدراسي ٩٦/٩٥ ٧٥٠ و ٧٣٩ و ١٠ عشرة ملايين وسبعمائة وتسعة وثلاثين ألفا وسبعمائة وخمسين طالبا في مراحل التعليم العام والفني (ومن هذا العدد الكلي ٧٠٢ و ٢٦٦ طفلا في رياض الأطفال ، ٤٣٧ و ٤٧٠ و ٧ تلميذا في التعليم الابتدائي والإعدادي ، ٣٨٧ و ٨١٧ طالبًا في المدارس الثانوية ، ٤٢٤ و ٧٨٥ طالبا في الثانوي الفني) وإذا أضفنا إلى هذا العدد الكلي طلاب المدارس الخاصة وطلاب وطالبات المعلمين والمعلمات ومدارس أخرى وما زاد من عدد الطلاب في العام الدراسي ٩٦/٩٧ يصبح العدد أكثر من اثني عشر مليونا من الطلاب في جميع مراحل التعليم العام والفني.

وبالنسبة لعدد المدرسين في هذه المراحل فيبلغ العدد ٨٥٠,٠٠٠ ثمانمائة وخمسين ألف مدرس يتدرب منهم الآلاف على تكنولوجيا المعلومات

والوسائل التعليمية الحديثة والمستحدثة باستخدام الكمبيوتر والإنترنت ، ومن هذا العدد يبلغ عدد مدرسي التعليم الفني ٧٤٨ و ٢٣٥ مدرس منهم ٦٤٩ و ٥٦ في التعليم الصناعي ، ٦١٨ و ٨٥ في التعليم الزراعي ، ٤٨١ و ٩٣ في التعليم التجاري وقد زاد هذا العدد في العام الدراسي ٩٦ / ٩٧ ، ٩٧ ، ٩٨ / ٩٧ وكذلك عدد مدرسي المراحل الأخرى من التعليم العام .

وقد تضخم عدد الطلاب في المدرسة الواحدة إلى نحو ألفين (٢٠٠٠) وبخاصة في المرحلة الثانوية في بعض الحالات ، الأمر الذي يعوق عملية الإشراف والإدارة على الوجه الأكمل . كما ارتفعت كثافة الفصول المدرسية حيث يصل العدد فيها إلى ستين (٦٠) تلميذا أو أكثر في الفصل الواحد مما يؤثر سلباً على العملية التعليمية ومستوى الأداء .

وتصدر اللغة العربية مناهج الدراسة في هذه المراحل من التعليم العام . ويقوم بتدريسها عدة آلاف من المدرسين من ذوي المؤهلات والمستويات المختلفة مما سنعرض له في حينه - ولكن الحقيقة

اللافتة للنظر في هذا العام أن العجز في مدرسي اللغة العربية في التعليم العام والتعليم الفني ودور المعلمين والمعلمات طبقاً لإحصائية ١٩٨٦/٨٥ بلغ ٨٥٢ و ١٢ مدرساً ومدرسة زاد زيادة كبيرة في العام الدراسي ٩٥ / ٩٦ ، ٩٦ / ٩٧ بازدياد العدد الكبير من المدارس التي أنشئت في السنوات الأخيرة كذلك ازدياد عدد الطلاب باطراد .

المشكلات الأساسية في تعليم اللغة العربية:
يجابه تعليم اللغة العربية في مراحل التعليم العام في مصر في الوقت الحاضر ومنذ سنوات مشكلات أو صعوبات نتاولها في ما يلي :

أولاً - معلم اللغة العربية وضعف مستواه وإعداداه :

على الرغم من تقدم الوسائل التكنولوجية الحديثة واستخدام المواد التعليمية المبرمجة في تعليم اللغة إلا أن المعلم كان ولا زال وسيظل أساساً مكيناً من أسس العملية التعليمية والتربوية ولاشك أنه يحتل قلب المشكلة أو حجر الزاوية فيها - ومن الملاحظ في مصر أن معلمي

اللغة العربية يتم إعدادهم في الوقت الحاضر في عدد من الكليات هي كلية دار العلوم وكليات اللغة العربية بجامعة الأزهر وأقسام اللغة العربية بكليات الآداب وأقسام اللغة العربية بكليات التربية - وكانت دار العلوم منذ إنشائها من أهم الينابيع التي تزود التعليم العام في كل مراحله بمدرسي اللغة العربية وكانوا مؤهلين كاملاً لتدريس هذه اللغة إذ كانوا مزودين في مراحل تعليمهم السابقة بأسس قوية تتمثل في حفظ القرآن الكريم والدراسات الدينية والعربية العملية - ولكن بعد انضمام كلية دار العلوم إلى جامعة القاهرة أصبحت تستقبل طلابها من حملة الثانوية العامة من ذوي الجوامع المنخفضة فأدى ذلك إلى ضعف مستواهم في اللغة العربية وكذلك أصبح الحال بالنسبة لطلاب أقسام اللغة العربية وخريجياتها في الكليات الأخرى ، ومما يزيد الحال سوءاً أن الغالبية العظمى من هؤلاء الخريجين يوجهون إلى تدريس اللغة العربية دون تأهيل تربوي ودون تدريب على طرق التدريس .

ومن المشاهد أيضاً ضعف إقبال الطلبة على كليات اللغة العربية وأقسامها بالجامعات المصرية وقبول أقل الطلبة بمجموعاً سداً للحاجة كمّاً لا كيفاً - الأمر الذي أدى إلى عجز ظاهر في مدرسي اللغة العربية اللازمين لمراحل التعليم العام وضعف مستواهم ، وقد زاد المشكلة حدة الأعداد الكبيرة التي تعار للتدريس في الأقطار الأخرى وهؤلاء يتم اختيارهم من أكفأ العناصر وأكثرها خبرة - وتجدر الإشارة أيضاً إلى أن تعدد الكليات التي يتخرج فيها معلمو اللغة العربية أدى إلى عدم التناسق بين المناهج والمقررات الدراسية بهذه الكليات واهتمام أغلب هذه الكليات باللغة كلغة وعدم اهتمامها باللغة ومكوناتها كجزء لا يتجزأ من حياة الإنسان في مراحل نموه المختلفة وفي مستوياته الحضارية المتباينة وغني عن البيان أن اللغة كالكائن الحي تتأثر بالبيئة والمناخ الذي تحيا فيه وهي تنمو وتتطور في مضمون صورها فتخشن في ظل البداوة وترق وتلين في ظل الترف والمدنية وتتأثر برقي الثقافة وتقدم العلوم والمعارف .

ثانيًا : ازدواج اللغة :

وهذا أيضًا تمثل مشكلة في تعليم اللغة العربية فهناك لغة التخاطب أو العامية التي يتعامل بها الناس في حياتهم اليومية العامة والخاصة وهناك لغة الكتابة في معاهد التعليم وفي الكتب والصحف وغيرها من المجالات - ولاشك أن اللغة التخاطب التأثير القوي بما تتمتع به من نفاذ وأداء وسعة انتشار وتلقائية ومزاحمة للغة الفصحى في وسائل الإعلام وهذه تغزو الصغير والكبير وتحاصر المتكلم في كل بيت بل في كل فصل من فصول الدراسة في المدارس والمعاهد وغيرها من مجالات الحياة المختلفة.

ثالثًا - مشكلات وصعوبات أخرى . وهي تتمثل في :

- (١) افتقار كتب القراءة إلى التدرج اللغوي والتخطيط العلمي السليم لها حتى ينتقل فيها التعليم انتقالًا طبيعيًا من خطوة إلى الخطوة التي تليها .
- (٢) عدم توافر معجم لغوي حديث لأي مرحلة من مراحل التعليم العام.

(٣) عدم توافر مواد القراءة الحرة

للتلميذ في مختلف المراحل وبخاصة في مرحلة الطفولة ويتصل بذلك قلة العناية بالمكتبات المدرسية واختبار الكتب الصالحة والمشوقة.

(٤) ازدحام مناهج النحو بكثير من القواعد مع صعوبتها .

(٥) اضطراب المستوى اللغوي بين كتب المواد بل بين كتب اللغة العربية في الصفوف المختلفة .

(٦) قلة الاهتمام بين مدرسي اللغة العربية وغيرها من مدرسي المواد الأخرى باستخدام اللغة العربية الصحيحة في تدريسهم .

(٧) قلة استخدام الوسائل والمعينات التعليمية الحديثة في تعلم اللغة .

هذه هي أهم المشكلات أو الصعوبات التي تواجه اللغة العربية وتعليمها في مصر في الوقت الحاضر وتحتاج إلى تضافر الجهود وإلى إجراء الدراسات العلمية الجادة في جميع الهيئات والمؤسسات والجامعات التي تعمل في مجال تعليم اللغة العربية وذلك للنهوض بها

وارتقائها - وتجدر الإشارة هنا إلى الدور البناء الذي يقوم به مجمع اللغة العربية بالقاهرة والجامع العربية الأخرى في هذا المجال ويرى البعض ضرورة إنشاء مركز لتطوير تدريس اللغة العربية أسوة بمراكز تطوير اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

اقتراحات وتوصيات للنهوض باللغة العربية في التعليم العام :

هناك أمور واعتبارات هامة في تدريس اللغة العربية وتعليمها لا تلقى العناية الكافية ويجب الأخذ بها للنهوض باللغة العربية ومن هذه الاعتبارات :

١- أن يستقر في أذهان القائمين على تدريس اللغة العربية والمخططيين لمناهجها الدراسية وأهدافها أن اللغة العربية عنصر أساسي من مقومات الأمة والشخصية العربية وأنها لغة القرآن الكريم والتراث الحضاري الإسلامي وأنها وعاء للمعرفة بكل جوانبها ووسيلة للتفكير والتعبير ولا تكون مجرد مادة مستقلة بذاتها للدراسة وأن ترتبط بالجمع وتتفاعل معه لتكون أداة سهلة وطيدة للتعبير عن مشكلاته وقضاياها القومية .

٢- أن يكون البدء بتعليم اللغة عن طريق نقل الطفل أو التلميذ في المرحلة الأولى من مراحل التعليم العام نقلاً رقيقاً متدرجاً من لغته المختلطة إلى اللغة السليمة بعناصرها الأساسية الأربعة وهي الحديث والاستماع والقراءة والكتابة ويكون ذلك عن طريق المراسم والتدريب والاستخدام مع الإفادة من القدر المشترك بين العامية والفصحى ومع ترقية العامية إلى الفصحى في تدرج وفي رفق (مثل : حنسأل تصبح سنسأل ، وكدا تصبح كذا ، ده تصبح ذا أو هذا)

ومعنى هذا أن هناك هدفين يجب العمل على تحقيقهما ، أحدهما : تشجيع استخدام القدر المشترك بين العامية والفصحى ، وثانيهما : ترقية العامية بردها في ذهن التلميذ إلى أصولها العربية ما أمكن ذلك وعن طريق المراسم أيضاً نقل التلميذ رويداً رويداً إلى التشكيلات السليمة في اللغة الفصيحة .

٣- تنمية الميل للقراءة والاطلاع كهدف أساسي من أهداف التعليم بل هو وسيلة تعليم الإنسان نفسه وإتاحة فرص

الاستماع إلى مختارات من القراءة شعراً ونثراً أو قصصاً ونصوصاً .

٤- ضرورة التخطيط لكتب القراءة فلها في كل مرحلة من مراحل التعليم العام وظيفتها ففي المرحلة الأولى على سبيل المثال يكتسب التلميذ عن طريق المهارات الأولية ثم تزداد التراكم في علاقاتها ومستوياتها مساهمة نضج التلميذ وحبته ويزداد تبعاً لذلك المحصول اللغوي عند التلميذ .

٥- ضرورة التنسيق بين مناهج اللغة العربية في مراحل التعليم العام الثلاث لإيجاد تكامل دقيق يوحد غايتها ويراعي تدريجياً ويوجه طريقة التدريس فيها ويحميها من التكرار . كما ينبغي أن تترك للمدرس مجالاً للتجديد والابتكار .

٦- مراعاة التنسيق أيضاً في تأليف كتب اللغة العربية للمراحل الثلاث بحيث يؤلف الكتب وحدة متصلة تحقق أهداف كل مرحلة بطريقة متوازنة من ناحية التركيز أو الإسهاب أو البساطة أو التعمق وغزارة المادة أو قلتها وتعدد الأمثلة أو قدرتها إلى غير ذلك من عناصر تأليف الكتب الدراسية ويكون الكتاب في كل مرحلة

قادراً على جذب انتباه الطالب مثيراً للمكاته حتى يحبه ويألفه ويأنس إليه .

٧- ضرورة إيجاد تكامل بين تدريس اللغة العربية وتدريس المواد الأخرى من حيث الحرص على استخدام اللغة الفصحى في جميع مواد الدراسة .

٨- العمل على تيسير قواعد النحو للمراحل الثلاث وكذلك الرسم الإملائي وضرورة إصدار معاجم لغوية ومصورة لكل مرحلة من هذه المراحل وكذلك العناية بالمكتبات المدرسية .

٩- الارتقاء بمستوى مدرس اللغة العربية وتأهيله علمياً وثقافياً ولغوياً وتربوياً ويشمل هذا أيضاً مدرسي المواد الأخرى .

١٠- استخدام الوسائل والمعينات التعليمية والتقنيات الحديثة كالحاسوب في تعليم اللغة العربية .

١١- العناية بتحفيظ التلاميذ في مختلف مراحل التعليم العام قدر ما مناسبا من القرآن الكريم ليستقيم لسانهم وترسخ اللغة العربية السامية في وجدانهم مع الاهتمام بالثقافة الدينية الإسلامية وحفز الشباب إلى دراستها .

١٢- توجيه الاهتمام بالخط العربي وتيسير الحروف والتقليل من صورها بما يحفظ لها جمالها بما لا يُبعدّها عن الاتصال بالتراث وذلك للأهمية البالغة في اقتصاديات الطباعة واقتصاديات مبادئ الكتابة والقراءة .

١٣- ضرورة العمل على إنشاء مركز قومي لتطوير تعليم اللغة العربية يدرس واقعًا ويطور مناهجها وطرق تدريسها ويعني بتأهيل مدرسيها كما يضع سياسة تأليف الكتب والمراجع ويعمق الاستفادة من بحوث مجمع اللغة العربية واتحاد الجامعات اللغوية العربية. كما يضع السياسة اللازمة لترقية المستوى اللغوي لجمهوره المواطنين.

١٤- الدعوة بأن تكون لغة الصحافة وأجهزة الإعلام المسموعة والمرئية ودور النشر هي اللغة العربية الصحيحة وذلك للقضاء على ظواهر الانحراف في الأداء اللغوي وعلى الخروج على القواعد وتحريف الألفاظ والعبارات وكذلك الدعوة إلى أن يهتم المتحدثون الخطباء بالحديث باللغة العربية بصفائها ونقاها وكل ذلك له انعكاساته على التلاميذ والطلاب من الأجيال الصاعدة .

سادتي العلماء الأجلاء :

هذا عرض متواضع عن قضية اللغة العربية في التعليم العام في مصر في الوقت الحاضر ألححت فيه إلى تاريخها وواقعها والمشكلات التي تحيط بها وتحاصرها - وأتبع ذلك بتوصيات ومقترحات تهدف إلى حل هذه المشكلات وإلى الارتقاء بمستوى اللغة العربية .

واستميحُكم عذراً أني لم أتعرض في حديثي اليوم إلى واقع اللغة العربية في التعليم العالي والجامعي فقد تناولت هذا الموضوع بإسهاب في محاضرتي التي ألقيتها في مؤتمر العام الماضي وفي هذا المحراب عن قضية التعريب في مصر .

والأمل كبير أن تتضافر الجهود نحو تحقيق الهدف الذي نسعى إليه بالنسبة للغتنا العربية باعتباره هدفاً قومياً وثيق الصلة بكياننا العربي وانتمائنا الوطني ولتعود اللغة العربية إلى سابق عهدها من المجد والسؤدد ونحن بالغوه بإذن الله .

وشكراً جزيلاً والسلام عليكم ورحمة الله

محمود حافظ

نائب رئيس مجمع اللغة العربية

المراجع

- ١- المجامع العربية والمصطلح العلمي
للدكتور إبراهيم مذكور
مطبوعات اتحاد الجامعات العربية ١٩٨٠م
- ٢- اللغة العربية والتعريب
للدكتور عبد الكريم خليفة
منشورات مجمع اللغة العربية الأردني ١٩٨٧م
مؤتمر جامعة الإسكندرية- كلية الآداب ١٩٨١م
- ٣- اللغة العربية في الجامعات ووسائل
الارتقاء بها
- ٤- وسائل تطوير وإعداد معلمي اللغة
العربية في الوطن العربي
- ٥- تحديث التعليم قبل الجامعة
كتاب المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
الرياض ١٩٧٧م
مطبوعات المجلس القومي للتعليم والبحث العلمي
الدورة الرابعة عشرة ١٩٨٦-١٩٨٧م
- ٦- مناهج اللغة العربية ووسائل النهوض
بها في التعليم العام
- ٧- إعداد معلم اللغة العربية
مطبوعات المجلس القومي للتعليم والبحث العلمي
الدورة الثامنة ١٩٨٠م-١٩٨١م
- ٨- قضية تعريب التعليم العالي والجامعي
في مصر
- ٩- تعريب العلم
للدكتور عبد الحليم منتصر
مطبوعات مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٨٦م
- ١٠- العربية لغة العلوم والتقنية
كتاب المجمع المصري للثقافة العلمية ١٩٦٠م
للدكتور عبد الصبور شاهين
دار الإصلاح والنشر - السعودية ١٩٨٣م
- ١١- قضية التعريب في مصر
للدكتور محمود حافظ
محاضرة في الدورة ٦٣-١٩٩٧م
للأستاذ نعيم فريد تادرس الأهرام
١٩٩٧/١٢/٢٦
- ١٢- محنة اللغة العربية في التعليم العام

بين الفصحى والدارجة للأستاذ الدكتور عبد الله الطيب

كان لأبناء العربية المتحمسين لقوميتها الحديثة مطمع أن يجعلوا اللسان الفصيح هو المتداول في التواصل اليومي على وجه مشابه لما تم للمثقفين ومقاربيهم في أوربا وامتداداتها في استعمال الصحيح من ألسنتهم في التداول والتواصل اليومي بالكلام . وقد كانت في البلاد العربية ، وخاصة في مصر والشام نهضة طيبة وإنتاج علمي وتعليمي وأدبي نفيس .

ثم جعلت ترتفع أصوات همس بنوع انتكاس من الدعوة إلى استعمال الحرف اللاتيني، واللسان العامي . وحاربتها الأمة العربية بسلاحين، سلاح الدعوة إلى الوحدة الجامعة بين العرب ولا يكون ذلك أبدا بلهجات العريب المختلفة النطق والمعادن والأساليب وإنما يكون باللغة الفصيحة والاقتراب كل الاقتراب من منهجها وأساليبها وبيانها نطقا وكتابة . وسلاح الدين واللغة العربية الفصيحة هي لغة الكتاب والسنة وحضارة الإسلام وعلومه .

ثم نشأ لسان مشترك بين العرب من طريق وسائل التواصل والأعلام الحديث ملفق من اللغة الفصيحة والأساليب الدارجة بين الطبقات المثقفة كرجال الدين والتعليم والصحافة والقادة الخطباء السياسيين والشعراء المنادين بالحرية المنددين بالاستعمار وبرجال الأدب والنقد والقصة والمسرح .

وصحبت نشأة اللسان الفصيح المشترك التلفيقي على النحو الذي قدمناه حركة أخذ وتعريب ونزعة-شبه شعوبية من بعض طالبي التشبه بالافرنج والحقاق بهم في نوع من عجلة وتقليد أعمى .

وعادت مرة أخرى دعوة إلى العامية متمثلة في التزام المسلسلات المسرحية في سائر بلاد العربية لغة اللسان العامي ، وتخالط ذلك روح منافسة بين الألسن العامية كأنها تريد أن تضاهي سيورة عامية القاهرة .

* ألقى هذا البحث في الجلسة السادسة يوم الخميس ١٣ من ذي القعدة سنة ١٤١٨هـ الموافق ١٢ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٨م .

وتوجد مسلسلات فصيحة اللسان
إلا أن التكلف في التعبير الذي ينبغي أن
يصدر بروح الطبيعة والفطرة هو الغالب
عليها . مما يقوي أو يظن أنه يقوي
أصحاب القول بأن اللغة الفصيحة لا
تصلح كل الصلاحية للبيان العصري .
ويلحق بهذا القول الشعبي النزعة ما
ينادي به المنادون من أمر الشعر الحر
والقصيدة النثرية .

ويدعو بعض الفضلاء المربين إلى
وضع خطة تربوية جادة تهدف إلى إحلال
اللغة الفصيحة محل العامية في المدى
البعيد، معتمدين على قول بعض
النظريات العصرية بأن لتعليم اللغات فترة
فطرية المنهج كفترة الرضاعة التي تبدأ
بطبع الطفل وفطرته بعد مولده . فيقال إن
هذه الفترة تنتهي بانتهاء السنة السادسة
ويكون الدماغ بعدها معداً للتعليم فيتعلم
اللغة كما يتعلم غيرها من المعارف وفي
هذا عناء من التلقي لا يبلغ في اليسر مبلغ
الفطرية .

وعندي أن اللغة الفصيحة ينبغي أن
تدرس بأسلوب يبلغنا المقصد الأول من

درسها وهو معرفة لغة القرآن والحديث
والبيان الأصيل الذي جاء به نعت القرآن
من لدن حكيم حميد . وذلك أن نبداً بنخط
أحرف الهجاء لنقرب الناشئ من معرفة
صورها في سن مبكرة كالرابعة مثلاً ثم
نأخذ بتعلمه القرآن بدءاً بالفاتحة للتبرك
ثم اصعاداً من سورة الناس إلى سائر سور
المفصل ثم بعد ذلك تعليم اختيارات من
الشعر تحفظ ويصاحبها النحو ثم نعلم بعد
ذلك الحديث والفقه فإذا بلغ الناشئ
السابعة كان قد احتوى صدره علماً وافياً
من آيات القرآن ومتون الشعر ونصوص
الحديث .

ثم بعد السادسة وذلك في سن
السابعة يسار بالناشئ والناشئة على درب
التعلم الحديث على أجود طرقه مع
الاستفادة من أساليب الإعلام والتواصل
الحديثة .

ومع هذا كله لابد من الحفاظ على
أصالة اللغة الدارجة في كل بلد عربي لما
تتضمنه من روح الجزالة والبيان الأول .
وقد فطن الأوائل إلى أن جزالة العربية قد
داخلها لين الحضارة فلم يستشهدوا بجمل

يشار على قوة تعبيرهم وتمكنهم من
جوهر فصاحة اللغة وختموا باب
الاستشهاد بابن هرمة وبالحق أبو عمرو بن
العلاء فكره الاستشهاد بابن قيس الرقيات
على فضله ولم يتابعه في ذلك العلماء .
وذكر ابن جني في الخصائص أن فصاحة
العرب الأولى بقيت منها بقايا إلى زمانه
إذ مرّ بأعراب بالبادية قال أحدهم وهو
يخطبه (يحير) فأصلحه صاحب له فقال
(يحار) وعلق ابن جني على ذلك بوصف
المتنبي بالصدق فيما يقول .

والخبر الذي ساقه ابن جني عن أبي
الطيب عظيم الأهمية لدلالته على لون مما
نذهب إليه من أن فصاحة البداوة الأولى
لن تزال إلى يومنا هذا باقية منها بقايا
وعليها أن نتفطن إلى ذلك . وعليها أن
نتنبه إلى أن رسائل الإعلام والتواصل
الحديثة ربما عصفت بهذه البقية النادرة
الباقية ومن أول أوجه التنبيه أن نقف
الحملة الجائرة عليها فلا ينبغي أن نحسب
أنها شيء معاد للسان الأول الفصيح بل
شيء داعم له ومعين على المحافظة عليه .
ولعلنا كلما ابتعدنا عنه نبتعد من حيث لا

نشعر عن أصول الفصاحة والجزالة .
ولعلنا إن تأملنا بعض ما بأيدينا من كتب
اللغة والنحو أن نفطن إلى أنها قد غفلت
عن أشياء مازالت تحتفظ بها اللغة الدارجة
مثلا شاف يشوف . في كتب اللغة معناها
جلا ويستشهد بيت عنتره :

ولقد شربت من المدامة بعدما

ركد الهواجر بالمشوف المعلم

وتذكر بعد اشتقاقات وكلمات كلها
يمكن أن نستنبط منها بيسر وبلا تكلف
أن الاستعمال الدائر السائر في كل بلاد
العربية الآن من أن شاف معناها نظر
ورأى صحيح - قالوا وذكر ذلك صاحب
السنج عن ابن الأعرابي بعث القوم شيفة
لهم أي طليعة ومن الشواهد قول قيس بن
العيزارة الهذلي :

وردنا الفضاض قبلنا شيفانا

بأرعن ينفي الطير عن كل موقع

وأن شيفان مشفعة من شاف لا
يخفي وكذلك شيفة وفي القاموس اشتاف
الرجل إذا تناول ونظر والبرق شام
ولعمري أن قولنا شام كقولنا شاف في
هذا المجال .

ومثال آخر كلمات تدل على زمان
كقولنا في دارجتنا دابه جا توه جا وقول
أهل مصر زمانه جايي . قال تعالى في
سورة آل عمران (١٩٥) " بلى إن
تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا
يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة
مسومين " . قال الطبري أصل الفور
ابتداء الأمر يوجد فيه ثم يوصل بآخر وإلى
نحو من هذا ذهب الزمخشري في الكشف
واستشهد بقول أبي حنيفة في الأمر على
الفور لا على التراخي وفسر يأتوكم من
فورهم هذا من ساعتهم هذه .

وفي سورة يوسف (٤٧) تزرعون
سبع سنين دأبا " فسر الزمخشري بمعنى
دائبين في العمل وحرف الزمخشري أبو
عمرو وهمزته ساكنة والحرف بفتح الهمزة
وسكونها والاختلاف بين البصريين
والكوفيين في جواز فتح الساكن ليس
موضع النظر الآن إذ كلاهما قراءة
صحيحة والوجه ما ذهب إليه الطبري
حين جعل الدأب هنا بمعنى العادة وكان
صاحب هامش طبعته الحلبية ظن أنه فسر
على أن الهمزة ساكنة وأحسبه لم يتنبه إلى

أن الطبري كوفي المذهب في أمر السكون
والفتح والوجه الذي ذهب إليه في التفسير
أقوى من وجه الزمخشري ويدخل في باب
الزمنيات التي قدمنا والعامية يقولون دابه
جا ويجي دابا أي من الآن فصاعدا وهذا
باب طويل فلا نريد أن نطيل فيه .

والذي يعنينا هو ما قدمناه من أن الدارجة
الأصلية فيها نفس من روح البيان الأصيل
يخشى عليه من غزوة اعلاميات العصر
ودخول العجمة من طريق العبارات
الصحفية والإعلامية المترجمة فيفسد ذلك
ذوق الناس في العربية والله در السباعي
رحمه الله في كتابه عن الأدب الجاهلي إذ
ذكر أن من البيان ما استطاع في أعماق
دارجة القاهرة بين النساء اللاتي لا يكتبن
ولا يقرأن . وقد فطن المأمور عبد القادر
مختار رحمه الله ، الذي كان مأمورا مصريا
بمدينة القطينة بالنيل الأبيض بالسودان في
أوائل هذا القرن الميلادي فصنع مسرحية
سمّاها المرشد السوداني ضمنها عجائب من
بلاغة العامة طبعت بالخرطوم سنة ١٩٠٨م
وقد نبهت بعض المشرفين على جوانب
أدبية ثقافية في بلدنا إلى مكانها وآمل أن

تعداد طباعتها ، ومؤلف آخر ضمن كتابه
من فصاحة اللغة العامية وبيانها أمثلة نادرة
صاحب كتاب (في شان الله) .

وقد حفظت الأشعار الدارجة عندنا
في السودان ثروة عظيمة من علوم الدين
في الفقه والسيرة والتصرف وضمنت
مدح النبي صلى الله عليه وسلم بحن.

عظيم ذي صدق وحرارة وفي كثير من
قصائد المدح النبوي يصف الشاعر الناقة
التي يقصد بها القبر الشريف من لدن بدء
تربيتها إلى حين وصولها إلى باب السلام
ومن سمع مثل هذا الشعر لم يسارع بتهمة
معلقة طرفه أنها مصنوعة .
ونسأل الله التوفيق .

عبد الله الطيب

عضو المجمع من السودان

تصحيح "التصحيح" (*)

للأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي

أقول : عرض الخطأ أو التجاوز اللغوي بكل فروعه للغات عامة ، ومازلنا نرى المعنيين بالمسائل اللغوية يسطون القول في هذا . لقد بدأ اللغويون هذا الدرس في منتصف القرن الثاني للهجرة، وكانت لهم فيه وقفات وأقوال. ثم بدا لهم في القرن الثالث أن يتوسعوا، وزاد هذا في القرون التي تعاقبت، فكان لنا مصنفات حبسها أصحابها على الخطأ وإصلاحه أو تصحيحه.

لقد فات أولئك المتقدمين ما أثر عن أبي عمرو بن العلاء فيما حكاه يونس بن حبيب ، قال : "ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وافرًا لجاءكم علم وشعر كثير" (١).

وجاء أيضًا من كلامه فيما رواه الأصمعي: "سمعت أعرابيًا يقول : فلان لغوب" (٢) جاءته كتابي فاحتقرها ، فقلت له : أتقول : جاءته كتابي ؟ فقال : أليس بصحيفة ؟ .

قال أبو عمرو : فحمله على المعنى ، وقد جاء ذلك كثيرًا في كلامهم (٣).

قلت : لقد هرع اللغويون في دأهم في التصحيح وتوهموا أنهم يملكون العربية وفاهم أنهم لم يدركوا ذلك وقليل ما هم. لقد فاتهم أن يدركوا ما بين أيديهم من شعر ونثر وجهلوا الكثير من القرآن ومن الألفاظ الإسلامية . وكان في اختلافهم في هذا دليل على أنهم لم يطمئنوا إلى البصواب، غير أنهم توهموا غير هذا فذهبوا في تصحيحهم وإصلاحهم (٤).

وقد اهتم اللغويون بالتصحيح متعقبين أقوال النحاة، ومن هذا قول ابن قتيبة: (٥) "وإذا نسبت إلى اسم مصغر كانت فيه الياء أو لم تكن، وكان مشهورا أُلقيت الياء

* ألقى هذا البحث في الجلسة السادسة يوم الخميس ١٣ من ذي القعدة سنة ١٤١٨ هـ الموافق ١٢ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٨ م.

(١) الأنباري، برهة الالاء (ط. مدينة الزرقاء، في الأردن) ص ٣٣.

(٢) المصدر السابق ص ٣٥ و "لغوب" بمعنى أحق .

(٣) المصدر السابق .

(٤) من هذا "تصحيح العيص" لاس درستويه (طبع بعماد)، و"إصلاح المنطق" لاس السكيت .

(٥) أدب الكاتب (ط السلفية) ص ٢٠٩ .

منه، تقول في جَهينة ومُزينة: جُهَنِي ومُزِنِي،
وفي قریش: قرشي، وفي هَذيل: هَذَلِي، وفي
سُلَيم: سُلَمِيّ إلا ما أشدوا، وكذلك إذا
نَسَبْتَ إلى فَعِيل أو فعيلة من أسماء القبائل
والبلدان وكان مشهوراً اكتفيت منه الياء
مثل: ربِيعَة وبَحيلة وحنيفة تقول: رَبَّعِي
وَبَجَلِيّ وَحَسَنَفِيّ، وفي ثَقِيف ثَقَفِي، وفي
عِينِيكَ عَتَكِي، وإن لم يكن مشهوراً لم
تحذف الياء في الأول ولا الثاني".

أقول : ذكر قول ابن دريد هذا مصطفى
جواد - رحمه الله في كتابه " المباحث
اللغوية في العراق " فقال : "ولذلك يجب
أن نقول : بديهى وغريزي وقبيلي
وطبيعي"^(١) وأيد قوله هذا بما أثبتته في
أقوال أهل الأدب واللغة فقال :

قال أبو حيان التوحيدى في بعض أخبار
مقاريوس : " ثم أقبل على زيموس وقال له :
" ما أبعد شبه معدتك من المعادن
الطبيعية " .^(٢)

وقال الجاحظ : " الكرم الغريزي " .^(٣)

أقول : إن هذا درج عليه جمهرة المعربين

في النسب إلى ما فيه الياء مما ورد على
فَعِيل وفعيلة وحذفهم للياء دون أن
يدركوا ما قيل في ذلك من أقول أهل
العلم ، كان بسبب ما أثبتته النحاة في
إطلاق القاعدة . وهذا يدل على أنهم لم
يستوفوا الاستقراء .

ومن هذا ذهاب المعاصرين إلى تخطئة
النسب إلى الجمع والصواب لديهم أن
النسب إلى المفرد ، وهذا مأخوذ من قول
النحاة الذي أثبتوه فاعتمده مصنفو الكتب
التعليمية في عصرنا .

لقد نبه على هذا مصطفى جواد وأشار
إلى كلام الفصحاء فقال :

قال الجاحظ : " لو شئنا أن نقول إن سهر
الكلب بالليل ونومه بالنهار خصلة ملوكية
لقلنا ، ولو كان خلاف ذلك لكانت
الملوك بذلك أولى " .^(٤)

أقول : وجاء في " فقه اللغة " للثعالبي في
تفصيل حركات اليد :

" ... فإن مد يده نحو الشيء كما يمد
الصبيان أيديهم إذا لعبوا بالجوز فرموا بها

(١) المباحث اللغوية في العراق (ط. بغداد ١٩٦٥م).

(٢) رسائل الجاحظ ص ٦ .

(٣) الإمتاع والمؤاساة ٢/ ٣٨ .

(٤) الحيوان ١/ ٢٨٣ .

في الحفرة فهو السَّدو ، والزَّود لغة صيبانية في السدو ^(١).

أقول : وقد درج أهل التصحيح في عصرنا على هذه القاعدة التي ثقفوها في الكتب التعليمية فقالوا : القانون الدولي ، والبنك الدولي ، والعلاقات الدولية ، وكان ينبغي أن يقال في كل ذلك الدُّولي والدَّولية والنسب إلى الجمع هو المراد. وقد سمعنا قديمًا : الأنصاري والشعوبي والملوكي .

وفيما نسب إلى ما يتصل بالحرف والصناعات ، وبيع المواد عرفنا : الدُّوري والأمشاطي والمغازلي والمحاملي والجلودي وغيرها .

وكان أهل التصحيح سمعوا مصطلح الأصولي " والأصولية " في الصحافة المعاصرة فسكنوا .

أقول : و"الأصولي" و"الأصولية" في صحف عصرنا غير "الأصولي" القديم. لقد أراد المعاصرون بـ "الأصولي" الملتزم بالإسلام التزاما شديدا ، وكأنهم أرادوا

به المتعصب للإسلام ، ولكنهم هربوا من ذكر الحقيقة كما يريدون ذهبوا إلى ضرب من التعمية ^(٢).

أقول : إن " الإصوي " في كتب الرجال وصف أو نعت للرجل العالم بـ "أصول الفقه" ، فأين هذا مما نحن فيه ؟

ولابد أن نعود إلى القاعدة النحوية التي تقيد النسب إلى المفرد وليس للجمع ، وفي هذا غلط الحريري في كتابه " درة الغواص ... خواص عصره لاستعمالهم "الصُّحُفي" نسبة إلى جمع " الصحيفة " لمن يقتبس من الصحف فقال : "ويقولون لمن يقتبس من الصحف " صُحُفي " فينسبون إلى الجمع قياسا على قولهم : "أنصاري وأعرابي" ، والصواب عند البصريين "صَحُفي" نسبة إلى المفرد "صحيفة" كحنفي نسبة إلى "حنيفة" ، فإنهم لا يرون النسب إلى واحد الجمع إلا أن يجعل الجمع علما للمنسوب إليه كمدائن وكلاب فيقال : مدائني وكلابي ، أو كان في النسب إلى الواحد القياس

(١) فقه اللغة (ط . اليسوعية) ص ١٨٢ .

(٢) أقول : ومن هذا الذي يراد به التعمية ما مجده في صحف عصرنا من قولهم . "تحريك الأسعار" والمراد به "رفع الأسعار". وقولهم "التحطط على

فلان" والمراد حسنه وسجنه وغير هذا.

كأعرابي ، فإنه لو قيل عربي لالتبس
بالمنسوب إلى العرب وبينهما فرق مذكور
في محلّه ، ومن هنا يعلم أن قياسهم عليه
غير صحيح ، وأما أنصاري فشاذ لا يقاس
عليه أيضاً .

أقول : إن هذا الذي تشبث به البصريون
لا يمكن أن يكون لهم حجة في إثبات
الجواز إلى المفرد ، والصواب أن المعرب
يذهب إلى حاجته التي يتبين فيها الإفهام .
وقد يكون لي أن استشهد بما هو " دولي
" في لغتنا المعاصرة ، فإنه يشير إلى ما
يكون بين الدول وليس فيما يخص دولة
واحدة .

وقال الشهاب الألوسي في " شرح
الطّرة " : "... ثم إن المانعين استثنوا صورا
منها أن يكون الاسم المنسوب إليه علما
كأبناء للبلدة المشهورة وهي اليوم بلاقع ،
و "فرائض" علم للعلم المشهور ، ومنها أن
يغلب على الشيء حتى يلحق بالعلم
كأنصار لغلبته على أنصار - صلى الله
عليه وسلم - في الأوس والخزرج ، وهي
إما جمع نصير أو ناصر " (١) .

وجاء في " معجم الأدباء (ط . دار
المأمون) : " وينسب إلى الجمع إذا كان
حرفة كالأمشاطي والمحاصلي والجواليقي " ،
ومثله الحصري والخرانطي والأنماطي
والأكفاني وغير ذلك " (٢) .

أقول : وذهب مصطفى جواد في
تصحيحاته إلى أن النسب إلى الجمع
صحيح لما فيه من فائدة الإفهام ،
واستظهر بما وجدته لدى أهل العلم فقال :
" التذاكري " هو بائع التذاكر وكذلك
الآثار ، وقال : وقد قالوا " الرسائل "
للذي يحمل الرسائل .

قال ابن الفوطي ج ٤ ورقة ١٠ في " مجمع
الآداب " في النسخة الظاهرية في ترجمة
المملوك سعادة وهو عز الدين أبو الحسن
سعادة بن عبد الله الرومي المستظهري
الخادم الرسائل .

وكذلك الساعاتي وهو علي بن رستم بن
الساعاتي الشاعر المعروف .

أقول : إن أهل التصحيح لم يأخذوا بما
هو معروف في استعمال الكتاب ، بل
تبعوا أقوال النحاة واللغويين الأوائل

(١) شرح الطّرة (ط. دمشق ١٣٠١) ص ٣٠٣

(٢) معجم الأدباء ١/٣١-٣٢ .

بصريين وكوفيين . وهذا ما فعله الحريري في "درة الغواص" الذي أثار رد اللغويين الذين لم يتقيدوا بما فرضه أوائل اللغويين والنحويين.

وكان ينبغي لأهل التصحيح أن يفيدوا مما استعمله الجاحظ وأبو حيان التوحيدي وغيرهما .

إننا نجد مثلا القفطي في إخبار الحكماء يقول: روفس حكيم طبائعي خبير بصناعة الطب في وقته ...". ومن هذا ما قالوا لآسي الجراحات " الجراحي والجراحي، والأول أشهر .

مما ينبغي لأهل التصحيح

أقول : كان ينبغي لأهل التصحيح أن يبعدوا عنهم ما سطر في كتب النحو ، وينظروا إلى استعمال النحاة في كتبهم الأخرى غير النحوية . لم ينظروا مثلا في لغة المبرد في " الكامل " و"الفاضل ، ولم ينظروا في الفائق " للزمخشري ، ولم ينظروا في كتب القرآن الأخرى .

أقول : كأن أولئك قد وجدوا أن العربية واسعة ، وكان الإمام الشافعي قد أدرك

(١) المراهب الفتحية ١٧/١ .

ضيق اللغويين والنحويين في باب التوكيد فقد ورد من كلامه في "المواهب الفتحية": جاء عامة القوم ، وأخذ عامة المال ، وبقي عامة النهار .^(١) وقد تجد في "الكشاف" للزمخشري قوله : "كافة الأحوال" أو نحو هذا .

وقالوا مثلا : لا تدخل "قد" على فعل منفي فلا يقال : قد لا يكون هذا ، ولكني وجدت هذا لدى أصحاب المعجمات. وكأني وجدت النحاة واللغويين الذين سطوروا في كتبهم ما عرفناه من قواعد النحو والصرف غير مزودين فيما ذهبوا فيه بكثير مما ورد في كلام أهل اللسان والفصاحة . وإذا كان هذا قد حصل فكيف يتصدى مصحح قديم فيصحح معتمداً على ما قرره النحويون ؟ لقد قال النحاة مثلا بعدم جواز وصف ما يُكسّر في الجمع بـ"فعلاء" فلا يقال مثلا : "صحائف بيضاء" لأن الصواب "صحائف بيض" ، وكأنهم تبعوا في استقرارهم الناقص ما ورد من قوله تعالى : ومن الجبال جدد بيض

وحُمِرَ مختلف ألوانها وغرايب سُود^(١)
وفاتهم أن طرفة بن العبد من شعراء
الجاهلية قال :

وفيهـم رأينا الغيم فيه كأنه
سماحيق تُرب وهي حمراء حَرَجَفُ
والمسألة بالخيار ، وفي العربية سعة، وهذا
جائز مثل أن يأتي الوصف لما هو مجموع
جمعا لقول الأعشى :

الواهب المئة الهجان وعيدها
عُودًا نَزَجِي خلفها أطفالها
وقد جاءت " المئة الهجان " موصوفة
بـ "فعلاء" في قول الخطيئة :

الواهب المئة الهجا
ن معًا لها وَبَرٌّ مظاهرُ
دهماء مدفأة الشتا

ء كأن بركتها حظائر

ومن هذا الذي ذهبوا فيه التخطئة وهو
صحيح بدلالة وروده في قول امرئ
القيس:

تبيت لبوني بالقرية أمنا

وأسرَحُها غبًا بأكناف حائل

تلاعب أولادُ الوعول رباعها

دُوَيْنَ السماء في رؤوس المجادل

مكللة حمراء ذات أسرة
لها حبك كأنها من وصائل
وإذا قال باعث بن صريم وهو ممن أثبتهم
أبو تمام في "حماسته" :

وكتيبة سُفَع الوجوه بواسل
كالأسد حين تذب عن أشبالها
قد قدت أول عنفوان رعيها
فلفقتها بكتيبة أمثالها
ووصف " الكتيبة " بـ "سُفَع" فقد
وصفها حسان بن ثابت بـ "خضراء" في
قوله :

لما رأى بَدْرًا تسيل تلاعه

بكتيبة خضراء من بلخَرزج
وليس لي إلا أن أجعل قوله _ صلوات
الله وسلامه عليه _ مفيدا لي في الإشارة
إلى سعة العربية وهو " إياكم وخضراء
الدمن ".

ما ورد مما حمل على اللحن لدى الأوائل
وما أدى في عصرنا إلى ضرب من
"السراقات العلمية"

أقول : لا أريد باللحن هنا التجاوز على
العربية نحوًا وصرفًا، وذلك لأن الكثير من
هذا قد عرض للغات عامة ونبهوا عليه.

ولكني أريد به البعد في استعمال الكلمة عن دلالتها والذهاب بها إلى طرائق لا نعرفها في طرائق المعريين في القرنين الأول والثاني . وقد تكون مبتعدة عن عربية التنزيل والمشهور في الحديث الشريف .

ومن الطبيعي أن تكون عربية الذين أسلموا في القرون الأولى من غير العرب غير ما نعرف من عربية إخوانهم من المسلمين العرب ، وأن تكون الأصوات العربية فيها معدولة عن حقائقها اللغوية .

ولا أعرض هنا لما أثبتته الجاحظ من قول أحد تجار الدواب الذي باع المسلمين دواباً رديئة فاستنقطه الحجاج عن ذلك فأجابه : "شريكاتنا في هوازها وشريكاتنا في مدانيها وكما تجيء تكون " ، أي أن هذه الدواب قد وصلت على ما هي عليه من رداءة من شركائه في بلادهم الأهواز والمدائن .^(١)

ومن الطبيعي أن يحمل المسلمون الجدد شيئاً حمل الضيم على عربيتهم . وقد يكون من هؤلاء من كانت أمهاتهم غير

عربيات وآباؤهم عرب . وينبغي ألا نغفل أن يكون شيء مما عرض للعربية من ابتعاد عن الصواب يسبب ما عرفه المجتمع الإسلامي في القرنين الأول والثاني من العبيد الرقيق والجواري غير العربيات .

لقد عرفنا من هذا من الصحابة الأولين بلال بن رباح أول من رفع الأذان في عهد رسول الله وهو عبد حبشي لابد أن يكون ذا لكنه حبشية . وإلى هذا يومئ قوله تعالى : "لسان الذي يلحدون إليه أعجمي"^(٢) . وذكر الجاحظ أن سحيم عبد بني الحسحاس كان يرتطن لكنه أجنبية وكان يقول : "سعرت" بدلا من "شعرت"^(٣) . وفي الأغاني أنه روي عنه قوله : "أهسنت" بدلا من "أحسننت"^(٤)

وقال ابن قتيبة في الشعر والشعراء^(٥) ، وابن جني في "سر الصناعة" كما أفدت مما في خزانة الأدب^(٦) : إنه كان يقول : أحسنك بدلا من أحسننت . والكاف ضمير للمفرد المتكلم في الحبشية .

أقول : قد يحمل هذا الاختلاف فيما

(١) الخاطم : البياد ٦٨/١ ، ابن قتيبة . عيون ١٦٠/٢ . (٢) سورة الحل

(٤) الأغاني (ط . بولاق ٢/٢٠

(٦) خزانة الأدب ٢٥٧/٢ عن كتاب "العربية" ليوهاد فلك (ترجمة النجار) ص ١٣

(٣) البياد والتبوير ٣٢/١ .

(٥) الشعر والشعراء ص ٢٤١ .

روي في جملة هذه المصادر إلى بعض
النقص في الاستقرار والبحث .

ولعلنا ندرك ما عرض لعربية أهل البصرة
من فساد إذا وقفنا على تأثير الفارسية
وظهورها في أسماء البلدان والمواضع
والأنهار،^(١) ومجيئها مختومة بالألف والنون
لنسب كما في مهلبان وأميتان وعبادان
وغيرها .^(٢)

على أن هذا لم يمنع أن يكون أولئك
الداخلون أصحاب فصاحة ، والجاحظ
يشير مثلاً إلى موسى الأسراري وبصفة
فيقول : إنه كان من أعاجيب الدنيا ،
وكانت فصاحته بالفارسية في وزن
فصاحته بالعربية ، وكان يجلس في مجلسه
المشهور به ، فيجلس العرب عن يمينه ،
والفرس عن يساره ، فيقرأ الآية من كتاب
الله ويفسرهما للعرب بالعربية ، ثم يحول
وجهه إلى الفرس فيفسرها لهم بالفارسية،
فلا يُدري بأي لسان هو أبين .^(٣)

ولم تسلم عربية أهل الكوفة مما عرض لها
من ضيم ، فقد عرفت هذه المدينة أفواجا

من غير العرب اتخذوها موطناً لهم بعد
عصر الفتوحات الأولى . إنهم بقية الجيش
الفارسي بقيادة رستم في حرب القادسية .
لقد أشار الجاحظ إلى هذه العربية الجديدة
إلى جملة ألفاظ فارسية استعملها الكوفيون
وشاعت بينهم . فقد قال : يقولون : خيار
بدلاً من قثاء ، وبأذروج بدلاً من الحوك
(وهي البقلة الحمقاء أو الرحلة) ...^(٤)

لقد عرفت عربية المصريين هذا الدخيل
الفارسي وعم في سائر ما حوالياً من
الحواضر والمواضع فإذا عرفنا أن العرب
الأوائل قد عرفوا الدخيل أدركنا أن
الفرزدق الشاعر قد الشطرنج لعبة
فاستعمل "البندق" في إحدى نقائضه
لجريح فقال :

ونحن إذا عدت تميم قديمها

مكان النواصي من وجوه السوابق

منعتك ميراث الملوك وتاجهم

وأنت لدرعي بندق في البياض^(٥)

وقوله هذا يشير إلى اتقانه هذه اللعبة التي

من رسومها تقدم البيذق إلى الرقعة

(١) ياقوت ، معجم البلدان ٦٤٥/١ .

(٢) أقول : مارال في البصرة شيء من هذا في "مهيجران" وهي مهاجران ، ويوسفان وغيرهما .

(٣) البيان والتبيين ١٣٩/١ .

(٤) المصدر السابق ١٠/١ .

(٥) ديوان الفرزدق .

الأخيرة فيستحول إلى وزير . أن هذا "البيدق" لم تسلم منه لغة جرير التي ورد فيها بمعنى ما هو ساقط مردول فقال:

سبعون والوصفاء مهر بناتنا

إذ مهر جعثن مثل حرّ البيدق^(١)

إنه أشار إلى أن مهر جعثن أخت الفرزدق هو "مهر المثل" وليس مَهْرًا يشار إليه في عقد النكاح .

ولم تنج عربية بلاد الشام من الدخيل الرومي ولا عربية مصر مما هو قبطي .

وقد كان التجاوز على المشهور السائد من العربية يعرض لأهل العلم فقد عاب الجاحظ قراءة الحسن " وما تنزلت به الشياطين " وعدّها خطأ .

ثم انصرف اللغويون إلى الإشارة إلى أي تجاوز على العربية كما ورد هذا في "درة الغواص" للحريري . غير أن آخرين من أهل العربية قد اختلفوا فذهبوا إلى أن الحريري قد ضيق الأمر وحجّر واسعاً ووجدوا أن كيّداً من تخطئته غير صحيح . ومن هؤلاء ابن الخشاب .

ثم مضى أهل اللغة في تصحيحاتهم حتى جاء المعاصرون فأكثرُوا في هذا ، وكان

منهم من تصدّى لتصحيحات أصحابه فأشار إلى ما زعموه خطأ وهو صحيح . وكان هذا المصحح هو مصطفى جواد الذي رد أقوال أسعد خليل داغر وأقوال الكرملي في كتابه "المباحث اللغوية في العراق" .

ثم كان لمصطفى جواد جهد كبير آخر في التصحيح لما يعرض لأقوال المعربين في الصحف وغيرها . وقد جمعها في كتاب له في جزأين وسمه بـ "قل ولا تقل" .

لقد وقف المعنيون باللغة وقفة خاصة من أقوال مصطفى جواد ، وكأنه جنح على رأيهم إلى المبالغة في التخطئة فكان آخر من رد عليه الأستاذ صبحي البصام في كتاب له وسمه "الاستدراك على كتاب قل ولا تقل" .

أقول : وإذا الأستاذ مصطفى جواد ، وهو من هو في سعة ماله من أخبار بحفظها ويستظهر بها قد عرض له شيء ذهب فيه إلى الصواب مشيراً إلى وجه الخطأ في استعمال المعربين ، قد عرض له شيء من التجاوز ، فكيف نقول في الآخرين الذين

مضوا عيالا عليه وعلى من سبقه إلى أيام
الحريري ومن تقدمه ؟

هذا هو الأستاذ البصام يعرض
لتصحیحات أستاذه مصطفى جواد ويبين
أن ليس فيها مما ظن خطأ . إن هذا يعني
إن أصحاب التصحيح قد تعجلوا المسيرة
وفاقهم على سعة معارف بعضهم
كمصطفى جواد الذي ينفرد من بين هذه
الطائفة ، ومع هذا فقد عرض له ما
يعرض للمتعجلين ، فكيف بنا مع الذين
يقمشون فيسطون على ما كتبه غيرهم .

اقول : ولم يدرك أهل التصحيح أن
الدلالة في الكلمة قد تتغير فيبدأ فيها
بالعدول عن أصلها فيكون هذا المعدول
استعمالا جديدا لشيوعه . ولا أراني أحمله
على الغلط لورود الكثير في لغة الصفوة
وليس في لغة العامة .

ولنضرب مثلا على هذا بالفعل " استُهِتَر " ^(١)
الذي كان يدل على الولوع بالشيء ،
وهذا الولوع قد ذهب به شيئا فشيئا إلى
ما هو غير مقبول . لقد قالوا مثلا : هو

مُسْتَهْتَر بالشراب أي مولع به لا يبالى ما
قيل فيه . وفي حديث ابن عمر : " اللهم
إني أعوذ بك أن أكون من المستهترين " ^(٢)
لقد قيل في تأويله : إنه كثير الأباطيل .
وجاء في " شرح نهج البلاغة " في صفة
الملائكة " ولا يرجع بهم الاستهتار بلزوم
طاعته " ^(٣) .

وجاء في شعر ابن الدمينه :

أحب هبوط الوادين وإني

لُستَهْتَر بالوادين غريب ^(٤)

غير أننا نجد هذه الكلمة قد جُنح بها
الأضداد ولا يمكن حملها على ألفاظ
الأضداد لأن ما عُدَّ من الأضداد قد قُيد
بهذا في كتب الأضداد ، وهو قسّم في
العربية . إننا نجد فيما يرويه ابن تغري
بردي في حوادث سنة ٦٤٢هـ قوله :
وفيهما قتل القاضي الرفيع عبد العزيز بن
عبد الواحد ... قال أبو المظفر في " تاريخه " ^(٥)
[أقول : هو مرآة الزمان] : قيل إنه فاسد
العقيدة دهريا مستهترا بأمور الشريعة
يخرج سكران ... ^(٦)

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤٩/٢ - ١٥٠ .

(٢) ديوان ابن الدمينه شرح محمد الهاشمي البغدادي وقد صُحِّف "المشتهر" .

(٣) مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي (ط. حيدر آباد) ٧٥١/٨ .

قال مصطفى جواد : فإن كان هذا كلام أبي المظفر يوسف بن قزاغلي المعروف بسبط ابن الجوزي المتوفى سنة ٦٥٤هـ فهو غلط محض منذ أواسط القرن السابع الهجري^(١)

أقول : وليس لنا أن نعزو هذا إلى الغلط لأننا نجده فاشياً في نعت الرجال لدى أهل العلم من الخاصة وليس في لغة عوام الناس.

لقد ذكر مصطفى جواد ما ورد في معنى "الاستهتار" الذي جدّ في العربية منذ قرون ومنها: "جاء في أخبار شهاب الدين يحيى السهروردي الفيلسوف قتيل حلب: كان الشيخ فخر الدين المارديني يقول: ما أذكى هذا الشاب وأفصحه ، لم أجد أحداً مثله في زمان ، إلا أني أخشى عليه لكثرة قهوره واستهتاره وقلة تحفظه"^(٢) وجاء أيضاً :

وقال كمال الدين محمد بن طلحة الوزير

المتوفى سنة ٦٥٢هـ في الحسبة والواجب على المحتسب ؛ "فإن رأى أو علم إنساناً يعتمد في حقوق الله ... أو يتجاهر بمنع الزكاة الواجبة عليه استهتاراً .. إلى غير ذلك مما يطرق إلى الدين حلاً ..."^(٣)

وجاء في سيرة السلطان خليل بن قلاوون المماليكي سلطان مصر والشام أن الأمير بسيدراً الوائب على السلطنة شرع يعدّد ذنوب السلطان خليل وإهماله أمور المسلمين واستهتاره بالأمراء"^(٤)

وجاء في أخبار أبي اسحاق إبراهيم بن هلال الصابي ، قال حفيده هلال بن المحسن ابن الصابي : وعاد أبو اسحاق إلى خدمة عز الدولة بختيار بن معز الدولة ، وكتب عنه في أيام المباينة وبين عضد الدولة الكتب التي تضمنت الوقعة والاستهتار عليه"^(٥)

وهذا يشير إلى أن "الاستهتار" قد انخرفت دلالاته في أواسط القرن الخامس وفيه توفى

(١) انشأت اللبعية في العراق (ط. بغداد ١٩٦١).

(٢) عيون الأنساء لاس أبي أصبغة ١٦٧/٢ .

(٣) العقد الفريد للملك السعيد لكمال الدين محمد بن طلحة الوزير ص ١٨٠ .

(٤) نوات الرقيات لاس شاعر الكي (ط السعادة مصر) ٣٠٢/١

(٥) معجم الأدباء لياقوت (ط. دار المأمون) ٢٣٠/١ - ٢٣١ .

هلال بن المحسن ابن الصابي^(١)

أقول : وقد جاء كثير من أبناء عصرنا
هذا ممن ليسوا من أهل العلم فراحوا
ينقلون ما عده الأوائل غلطا دون أن
يعرفوا الاستدراكات الكثيرة فتجدد القول

بالغلط وحدث معه غلط هؤلاء الذين
تصدوا لهذه الصنعة وهم ليسوا من أهلها.
وهكذا يظهر شيء من "السرقا
العلمية".

إبراهيم السامرائي

عضو المجمع من العراق

(١) أقول : وكان الذهاب إلى هذا المعنى الجديد في الفعل " استهتر " إلى ما يشبه الضد هو استحداث جديد ذلك أن الفعل في استعماله القديم كان مما بي
إلى ما ندعوه في عصرنا المجهول فكانوا يقولون : استهتر بالشيء نظير قولهم سقط في يده، وحَمَّ وعَمَّ وعيرها، وأما الآخر الذي استحدثوه فهو فعل مبني
للمعلوم نظير استسلم .

العربية لسان الله تعالى نزل بها آدم عليه السلام

ثم تراوحت بين التفرد والتشتيت والكيد لها .

للأستاذ علي رجب المدني

حضرات السادة الزملاء :

لقد آن لأم الحقائق أن ترفع القناع عن وجهها وتنقض على ما تراكم من زيف وتزييف وتزوير لحقائق التاريخ جعل منه (في معظمه) أكذوبة كبرى يأنف الضمير الإنساني من استمرارها والسكوت على بواعثها الأنانية الظالمة القائمة على التمكين للأقوياء والتجهيل بكل ما هو تراث إنساني صادق من شأنه أن يحقر غرائز الشر والأثرة وتزكية الذات، تلك الغرائز التي ما انفكت تعمل عملها في ظلم الضمائر الميتة وابتغاء متاع رخيص ، منذ أن قدم الإنسان على التدوين والتأريخ . وما كان لكل أولئك الطغاة الذين تحدث عنهم القرآن في مختلف عهود تواجدهم أن يسمحوا لمدونات التاريخ (إلا فيما عصم الله) أن تزكي الحقيقة على باطلهم .

ولولا القرآن وما إصطلحت عليه العقول الراشدة من تسليم بمدونات وقصصه وأخباره (وهو الكتاب الصادر عن خالق هذا الكون بكل ما لابس هذا الخلق من إعجاز) لما تسنى لنا أن ندرك من حقائق التاريخ شيئاً يزيد على ما أراده الأقوياء والبغاة وعباد ذواتهم الذين سخرُوا كل ما بأيديهم من ذهب المعز وسيفه لإشباع شهواتهم في الاستئثار بما يدونه التاريخ لتزكيتهم والحقا وصمات الضعف والمهانة بمن إستهدفوهم بالعداء ممن كانوا مؤمنين بالحقيقة صادقين في عرضها وسردها حتى تمكنوا من أن يطمسوا من معالم التاريخ كل ما خرج من تحت مظلة القرآن والصحيح الأصح من سنة الرسول الذي أنزل عليه .

أعود لأقول أنه قد حان لأم الحقائق

أن تبين للناس ويدركوها من خلال

* ألقى هذا البحث في الجلسة السادسة يوم الخميس ١٣ من ذي القعدة سنة ١٤١٨هـ الموافق ١٢ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٨م.

الإقناع والتحليل الذي يستمد قوته وجديته من إيماننا بهذا الكتاب العظيم وكل ما انطوى عليه من إيماءات وإشارات تكفي (المؤمن به) لأن يكون من خلالها قناعته التي لا تقبل أي قدر من الشك .

إن هذه الحقيقة هي أن العربية لسان الله وما كان للسان غير لسان الله خالق كل شيء بإعجازه الخارق أن يزاحمه على ادعاء الأولية والأسبقية .

وفيما يلي أرقام تخص مجموع الأدلة المؤكدة لحقيقة أن العربية لسان الله تعالى:

(1) أول منطلق يؤكد حقيقة أن القرآن لسان الله يتمثل في أسمائه الحسنی التي وردت في الآيات 22-23-24 من سورة الحشر ، فهي جميعاً أسماء عربية لا تشوبها عجمي، وما كان الله ليتخذ لذاته أسماء من لغة لم يكن قد اختارها وأعدّها بقدرته وإعجازه لتكون لغته (وبالأحرى لغة مخلوقه الذين أعد لهم كتابه الخاتم الشامل لينزله على خاتم رسله المتميز بالرسالة العامة) .

(2) اللغة التي كانت لغة الحوار بين الله وملائكته عندما اتجهت مشيئته لخلق آدم

عليه السلام من طين وما تم من حوار بينه عز وجل وبين إبليس وبينه وبين آدم الذي علمه الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة وفق ما ورد في الآيات 30 إلى 39 من سورة البقرة وكذا الشأن بالنسبة لموضوعات الحوار الذي تعاقب مع كافة الرسل وبعض أقوامهم مما يتيسر الرجوع إليه بين دفتي المصحف لكل باحث ينشد الحقيقة . كل هذا الحوار الذي تم على نحو ما نقرؤه (بلسان عربي مبين) ما كان له أن يتم إلا باللغة التي أعدها لغة خطاب بينه وبين خلقه في الدنيا ويوم القيامة وفقاً لما أشار إليه حديث : (تعلموا العربية وعلموها الناس فإنها لسان الله يوم القيامة).

(3) وحري بنا أن نؤصل أسماء عدد من الأنبياء والرسل الأولين وبعض أبناء آدم الأولين بدءاً من ابنه الأكبر شيت عليه السلام الذي (وإن لم يرد اسمه في القرآن) إلا أن الآثار أكدت أنه كان أول نبي بعد والده وأن خمسين من الصحائف قد أنزلت عليه ، وكذا الشأن بالنسبة لأبنيه هبيل وقبيل وحفيده النبي إدريس عليه

السلام، ونبي الله نوح عليه السلام وأبنائه
الثلاثة (الذين جعلهم الله هم الباقين) . تم
نبي الله هود الذي كان أول رسل الله
(عقب الطوفان) إلى قوم عاد ثم رسول
الله صالح عليه السلام الذي تلاه إلى ثمود
وما كان لي أن أبدأ في التأصيل العربي
لكل تلك الأسماء إلا إلى أهم قواميس
البلغة العربية وأكثرها دقة واستيعابا
وتدليلا على أصالة المصردات العربية ،
وهو (لسان العرب لأبن منظور) الذي لا
أتصور أحدا ينكر عليه جهده الخارق في
هذا السبيل رحمه الله وأعظم أجره
وجزاهه.

فهو بالنسبة لآدم يراه مشتقا من أَدَمَ بمعنى
سَمُرَ (والأدمة الشجرة التي تعلو البشارة
وغيرها مما يقرب من لون آدم الأرض)
وهذا اشتقاق عربي لا غبار عليه ولا لبس
فيه .

وبالنسبة لحواء يرى أن المرأة الحواء هي
ذات الشفتين السمرائين أو الخضراوين أو
الحمراوين الضاربين إلى السواد (وهي
ميزة جمالية تزيد المرأة كمالا عند العرب)
وأما شيت عليه السلام فإن القاموس يشير

إلى أن (الشَّيَّة) هي البقعة البيضاء تتوسط
الجلد الذي يصطبغ بلون مغاير وهو تميز
جدير بأن يقتبس اسما لعزير .

وأما هبيل عليه السلام : فلعله مما
درج عليه قولهم : (أهتبل الصيد بمعنى
بغاه وتكسبه ، ويقال الهابل الهابل بمعنى
الكاسب ، واللهبيل : الرجل العظيم ،
وقيل الطويل . والهابل الكثير الشحم
واللحم . وهبيل اسم رجل معدول عن
(هابيل) وهو معرفة (أي علم) وبنو هبيل
بطن في العرب . انتهى من لسان العرب .
وأما قبيل : فمعناه الكفيل والعريف
ومعناه الجماعة (تزكية له وتفاؤلاً بأن
تكون له قوة الجماعة والقبول ، وقيل
بمعنى مقبول ومعناه المستقبل ، ومعناه
الارتجال في الخطابة إلى غير ذلك مما تفيد
الكلمة من معان لا داعي لسردها اتقاء
الإطالة .

وبالنسبة لنبي الله إدريس عليه السلام
فقد أورد لسان العرب بالنص : (ويقال
سمي إدريس عليه السلام لكثرة دراسته
كتاب الله تعالى ؟ ...) ودرس الحنطة أي
فصلها عن سنابلها ، ودرس الناقة أي

راضها ، ودرس الكتاب ، والمدارس
المذاكرة أو التَّعَلُّم .

وأما بالنسبة لرسول الله نوح عليه
الصلاة والسلام فيقول اللسان: النُّوحَةُ:
القوة ، وهي النِّيحَةُ أيضًا ، وتنوح الشيءُ
تنوحًا إذا تحرك وهو متدلٍ ونوح اسم نبي
معروف . وقومه بنو راسب (كما ورد
في البداية والنهاية لابن كثير نقلا عن ابن
جبير وغيره) .

وأما ما يخص أبناء نوح عليه السلام :
سام وحام ويافث فإنه وإن كانت صلة
الاسمين الأولين بالعربية واضحة بما لا
يتطلب مزيدًا من الإيضاح فبالنسبة ليافث
يكفي أن نورد عبارة لسان العرب بنصها:
(يافث من أبناء نوح على نبينا وعليه
الصلاة والسلام وقيل هو من نسله الترك
ويأجوج ومأجوج وهم إخوة بني سام
وحام فيما زعم النسابون وأياث موضع
باليمن كأنهم جعلوا كل جزء منه (أيث)
اسمًا لا صفة .

وفي عبارته حول اتصاله بنسله من
الترك أو يأجوج ومأجوج تأكيد لحقيقة
أن كل الأجناس التي تعاقبت هي ذات

انتماء للعرق العربي الذي تفرد منذ آدم .
أما بالنسبة لرسول الله هود عليه الصلاة
والسلام فيرى أنه من هاد يهود هودًا أو
تَهُودًا . بمعنى تاب وأناب .

وهو اشتقاق عربي لا لبس فيه وفيه
دليل على أن اسم يهود إنما جاء منه
امتدادًا للعربية التي كان ينتمي إليها هود
وقومه (عاد) (وهم من العرب البائدة
وهذا يؤكد الأصل العربي لليهود) .

وأما عاد الأولى : فهم قوم هود من
العرب البائدة ، قال اللسان : هم قوم
هود عليه السلام ، وقال الليث : وعاد
الأولى هم عاد بن عاديا بن سام بن نوح
عليه السلام (أهلكهم الله) (*) ، وأما
عاد الأخيرة فهم بنو تميم ينزلون رمال
عالج عصوا الله فمُسخوا نسناسًا لكل
إنسان منهم يدٌ ورجلٌ من شق انتهى من
اللسان .

وأما ثمود فيقول لسان العرب : وثمود
قبيلة من العرب الأول يصرف ولا
يصرف ، ويقال إنهم من بقية عاد ، وهم
قوم صالح على نبينا وعليه الصلاة والسلام
بعثه الله إليهم وهو نبي عربي واختلف

القراء في إعرابه في كتاب الله عز وجل فمنهم من صرفه ومنهم من لم يصرفه ، فمن صرفه ذهب به إلى الحق لأنه اسم عربيّ مذكر ، ومن لم يصرفه ذهب به إلى القبيلة وهي مؤنثة . انتهى لسان العرب .

وإذا راعينا أن قوم عاد وثمود يمثلان الانتشار الأول للبشرية بعد الطوفان وأن نوحًا وبنيه وقومه إنما كانوا عربًا فإن هذا يقودنا بإقناع واقتناع إلى حقيقة أن ما تحقق انتشاره من بشر خلال الحقبة التي تفصل بين عاد وثمود وبين عهد نمرود الذي أورد المسعودي أنه عاش خمسمائة عام وشهده في آخرها سيدنا إبراهيم (أبو الأنبياء) عليه السلام (وحاورة) إنما كانوا امتدادا لبقايا عاد وثمود من العرب ، وأن الدماء التي سرت في جسد إبراهيم عليه السلام وبنيه إنما هي دماء عربية ، وأن العبرية التي جاءت (على أصح الآراء) من عبوره عليه السلام لنهر دجلة إلى فلسطين، لا تغير شيئاً من حقيقة دمه العربي الذي كان دماً أهله لأن ينسبنا الله إليه في قوله: "ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل " .

ومن هنا نعبّر بسلام إلى الحقيقة الكبرى وهي أن العرب هم الأصل الأصل للبشرية كلها ، وأنه لا مجال للقول بتعدد الأعراق والانتماءات إلا من خلال مفتريات التاريخ وتجاهل هذه الحقيقة الكبرى التي نأمل أن تتكاتف جهود الأبرار من البشر لتأكيدا حفاظاً على وحدة الأسرة الإنسانية على النحو الذي أعلنه الله في الآية الأولى من سورة النساء (الآية ١): "يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام " لافتاً انتباهنا للرحم الأولى التي صدرنا عنها جميعاً (رحم حواء عليها السلام) .

حضرات الزملاء الأجلاء :

من الحقائق التي تمتنع على الشك ولا يجوز (في النطاق الإسلامي على الأقل) أن تكون موضع شك: أن جميع ما أنزل الله من كتب وصحف قبل بعثة محمد عليه الصلاة والسلام بالرسالة العامة إلى كل الناس (إنسهم و جنهم) قد اختفى ولم

يعد له من أثر منذ أن رفع المسيح عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام إلى السماء. وأن ما يتداول من كتب (غير القرآن) ينسب إلى السماء لا يعدو كونه مصنفات بشرية لأناس تصدروا الدعوة إلى معتقدات لا تقوى على تأكيد مطابقتها للتعاليم الواردة في الكتب والصحف المنزلة التي قُدِّر لها أن تختفي .

وانطلاقاً من هذا اليقين نستطيع أن نقول أن الكتاب السماوي الأوحى الذي يتضمن خطاب الله المباشر لخلقه إنما هو القرآن المنزل على محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الكتاب الذي صاغه الله بالعربية (الخالصة) التي سبق أن تخاطب بها رسول الله إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام والتي اختلفت الآراء بين أن يكون قد تلقنها بالوحي (فيما اعتقده المؤمنون الأولون في صدر الرسالة الإسلامية) أو أن يكون تلقنها باصطلاح بينه وبين قبيلة جرهم التي نشأ في حضنها ثم صاهرها وساعده الوحي السماوي على أن يطور النطق بهذه اللغة بالحوار معها كجزء

من مسلسل التمهيد لبعثة محمد عليه السلام .

(وقد أشارت إلى هذه التفاصيل الأخيرة دائرة معارف القرن العشرين فيما كتبه عن التهذيبات الثلاث التي طرأت على اللغة العربية) .

لقد تضمن القرآن في العديد من أجزائه تفاصيل الحوار بين الله ورسوله وملائكته وإبليس ونقل إلينا أقوال هؤلاء جميعاً وغيرهم من أقوام الرسل فيما تم من حوارهم مع رسلهم على نحو لا تستدعي الإحاطة به كثيراً من التحليل ، ولكن يكفي في ذلك الرجوع إلى تلك النصوص بقدر أكبر من التروي والتمعن في مضامينها وكيف أنها نصوص قاطعة لكونها لم تأت وليدة ترجمة أو رواية عن لغة أخرى وإنما تمت بين الله تعالى وكل تلك الأطراف وغيرها بلغة القرآن الذي أوردتها .

ولا تنافي بين هذه الحقيقة والحقيقة التي وردت في قوله تعالى: (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم) . إذ أن ما طرأ على البشرية منذ عهد نمرود من

تشنت في أطراف الأرض(هرباً من طغيانه وظلمه وفتكه) كان السبب في نشوء كل ما نشأ من لهجات كادت أن تخفي معالم اللغة الأم "الغربية " نتيجة ما اضطرت إليه كل تلك الفصائل المشتتة من ابتداع مفردات وتعابير لعبت البديهة والحاجة الآنية والأصوات والإشارات دورها الفاعل في ابتداعها وإدخالها على اللغة الأم. وكان من أثر ذلك أن أمد الله كل من اصطفاه من رسل إلى تلك المجموعات البشرية بالقدرة على أن يخاطب كل منهم قومه بلسانهم ؟ ... ولم يقل بلغتهم لأن اللغة تسمو على ما قد يكون دخيلاً عليها ولا تفقد به شخصيتها المتميزة .

فخطاب كل رسول لقومه بلسانهم لا ينفي أن يكون أولئك الرسل قد تلقنوا لغة القرآن تأهيلاً لهم للتخاطب مع الله ، ولا ينفي أن يكون الحوار الذي تم بين بعض أولئك الرسل وأقوامهم قد تم وفقاً للنصوص الواردة في القرآن خصوصاً إذا علمنا أن تلك الأقوام إنما كانت تحتل الرقعة الوسط من الأرض التي بعث إليها الله رسوله والتي لم تكن قد انفصلت عن

العربية الأم كما يتضح من نسبة معظمها إلى العرب البائدة كعاد وشمود وطسم وجديس والعماليق ، ولعل أبرز ما تم استحداثه من مفردات طرأت على العربية إنما تمثل فيما يسمى باللغة العبرية التي لا تعدو حتى يومنا هذا أن تكون في معظم مفرداتها ونصوصها لغة عربية حاول التحريف المقتعل أن يخفي معالمها دون جدوى وهي لا تختلف في تسميتها عن العربية إلا بتقدم وتأخير بين حرفين من حروفها هما الراء والباء .

أما ما سوى ذلك من فصائل بشرية طرأت في المناطق النائية عن المنطقة الوسط التي أشرنا إليها ، فإنها لم ترتق (باستثناء البوذية في العهود الأولى لنشأتها) إلى مرتبة الأقسام الذين خصهم الله برسل من بينهم ، وبذلك ينتفي أن يكون لهم أي دور في رسالات السماء وإنما هيئوا ليتلقوا الرسالة العامة التي شاء الله أن يختص بها محمداً صلى الله عليه وسلم رسولا (للناس كافة بشيراً ونذيراً ...).

وهذا ما يذهب بنا مذهب القول بأن الإسلام الذي شرعت منه شريعة محمد

الخاتمة قام على مبدأ ناسخ للمبدأ الذي تضمنته آية : (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم) بل وإنما ختمت بقوله تعالى (ليبين لهم) لتحمل إشارة إلى أن إرسالهم بلسان أقوامهم لم يكن اعترافاً من الله بكل تلك الألسن التي ابتدعت وإنما كان لتمكينهم من استيعاب ما يتلى عليهم من أوامر الله وتعاليمه إلى أن يحين الوقت في تقدير الله لبعثة خاتم الأنبياء الذي تبرز ببعثته مشيئة الله في أن يلتئم شمل الأسرة الإنسانية التي بدأت بآدم أبا وحواء أما والتي لا يتحقق فيها الامتثال لتعاليم الله والخضوع لمشيئته إلا بالتأمامها حول كتابه الخاتم (الذي التزم بحفظه والحيلولة بينه وبين التحريف والاختفاء ؟) وحول اللغة التي أنزله بها على محمد صلى الله عليه وسلم دون أن يضمّنه أي نص بالنسبة للفظ (عربي) إلا فيما يخص هذا الكتاب واللسان الذي نزل به ليتحقق من خلاله (الإعراب) عن مشيئة الله الحقيقية (مبند الأزل) ويؤكد به أن العربية هي لسانه تعالى وجعل محمداً (صلى الله عليه وسلم) يضمن خطابه للناس قوله :

(تعلموا العربية وعلموها الناس فإنها لسان الله يوم القيامة) وما كانت العربية لتكون لسان الله يوم القيامة لو لم تكن لسانه منذ الأزل ، (فهو منزّه عن التغير في ذاته أو صفاته) وهو أعدل من أن يخاطب عباده ويحاسبهم يوم القيامة بغير اللغة التي شرعها لهم منذ بدء خلقه إياهم ، تم ألزم خاتم أنبيائه بأن يدعوهم لتعلمها وتعليمها للناس، حتى لا يجرموا شرف الاستيعاب لخطاب الله الذي سيتم بلسانه العربي (كما يفيد الحديث الشريف الذي يعد أمراً من أوامره صلى الله عليه وسلم الواجبة الامتثال والتنفيذ . والتي يتوقف عليها كل ما ينتظر من الناس من فهم مباشر للقرآن وإعجازه (الذي لا ينصاع للترجمة) وما ينتظر منهم بالتالي من إيمان برسالة الإسلام إيماناً يكون يقينياً أساسه القناعة التي لا تحمل الشك أو التردد أو السطحية .

وما كان لشيء من ذلك أن يتحقق إذا تقاعس المسلمون الذين ميزهم الله بأن يتكلموا لغة القرآن (العربية) ويكونوا (سدنة) لها عن الامتثال للأمر النبوي

المتمثل في قوله عليه الصلاة والسلام :
(وعلموها الناس ! ..) .

حضرات السادة الزملاء :

إن التاريخ الإنساني الحق لا يمكن أن يستقى من خلال ما تعاقب من نصوص (ما برح الهوى منذ نشأة التاريخ يلعب دوره الفعال المؤثر) في تدوينه وفقا لمشئته ذوي القوة والنفوذ وذوي المصالح والغالبين على اختلاف عصورهم ونزعاتهم .

ولن يكون للإنسانية مصدر للتاريخ الإنساني الصادق إلا ما تحالف منه مع القرآن وقصصه وإشاراته . وسار على نهجه .

ونهج القرآن قد تحدد منذ اللحظة التي خاطب الله فيها ملائكته بقوله (العربي المبين ا) : (إني جاعل في الأرض خليفة)، فقد تلقى رد من خاطب من ملائكته بقوله (عربي مبين أيضا) ، ثم تتالى ما تم من حوار بينه وبين ملائكته وآدم وإبليس وما علم آدم من الأسماء كلها وما أطلقه من تسمية لآدم وحواء هي من صميم المشتقات العربية ثم ما تم

من خطاب وحوار بينه وبين من تتالى من رسله منذ نوح عليه السلام ، وبين نوح وقومه والثمانين الذين حملتهم السفينة معه، والذين انشؤوا أول مدينة على الأرض فور نزولهم على سفح الجودي (وسموها مدينة الثمانين) وقال عنها المسعودي أنها لا تزال تحمل هذا الاسم حتى تاريخ تدوينه لهذا النص (أي سنة 332 للهجرة) في كتابه (مروج الذهب) .

ثم ما تتالى من خطاب بين الله وبين رسوله هود وصالح اللذين كانا أول رسولين بعد انحسار الطوفان أرسلنا إلى قوميهما اللذين لم تختلف الآراء في كونهما (من العرب البائدة) وما تم بين ذينك الرسولين وقوميهما من حوار دون القرآن أهمه ، ثم ما تتالى من خطاب وحوار بين الله وأنبيائه إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وموسى وداود وسليمان وعيسى من الرسل الذين بعثوا قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم .

وما تم بين كل أولئك وبين أقوامهم وبين الملائكة الذين أرسلوا إلى بعض أولئك القوم لمعاقبتهم وبينهم وبين الرسل،

مما دونه الله في القرآن الخالد ، كل ذلك لا يدع مجالاً للشك ولا للقول بأن لغات أخرى قد اختارها لغة خطاب بينه وبين رسله وملائكته ، أو بين رسله وأقوامهم ، لأن في ذلك إيهاماً بأن القرآن لم يتضمن في هذا الصدد إلا مجموعة من نصوص مترجمة وهو إيهام يصل إلى حد التطاول على مقام الله وقدرته وإعجازه الذي أودعه نصوص كتابه . وهذا ما لا يجل لمسلم مؤمن بالله وكتابه أن يعتقد أنه أو أن يقوله ... تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

فالإيمان بكتاب الله يتطلب ضمناً الإيمان بلغته التي أنزله بها لأنها في ذاتها جزء من إعجازه حيث لا يكتمل ذلك الإعجاز إلا بها ، وهي على ذلك داخلة ضمن التزام المؤمنين بالقرآن وذلك بتعلمها وتعليمها إلى حد الإتقان ومراعاة سلامة قراءته بها دون لغة وسيطة ودون لحن . وعلى ذلك يمكن القول بأن تعليم اللغة العربية السليمة وحمايتها من عبث اللهجات الدخيلة عليها، مما يدخل ضمن الفروض الأساسية الملقاة على عاتق المسلمين المؤمنين بالقرآن وشمول دعوته

وواجب تعميم تلك الدعوة باعتبارها موجهة للناس كافة .

وهو في حده الأدنى فرض كفاية يتعين على الصفوة من المسلمين أن ينهضوا به وفي مقدمتهم مجامع اللغة العربية وولاة أمور المسلمين في مختلف ديارهم وأمصارهم.

حضرات السادة الزملاء :

لقد كان لأحداث الطوفان وما لحقها من تدمير وإهلاك لقومي عاد وثمود وما لابس عهد ثمود الذي امتد خمسمائة عام من طغيان وفتك ، الأثر الكبير فيما بدأ من انتشار في أطراف الأرض وتشتت عزل شرازم العرب بعضهم عن بعض وأدى إلى نشوء متطلبات اقتضت نشوء لهجات ومصطلحات وأسماء لما قد جد من مسميات خرج الكثير منها عن إطار اللغة الأم وتباينت فيه تلك اللهجات والمصطلحات والأسماء على نحو أدى إلى ما صار يبدو لغات مغايرة .

ولكن الله تدخلت إرادته وقدرته لحفظ اللغة الأم من خلال نبيه ورسوله إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام الذي تم على

يديه التهذيب الأول الذي تمخض عما سمي (باللغة الخالصة) وهي اللغة التي نزل بها القرآن الكريم على محمد عليه الصلاة والسلام ، وقد رأى (المؤمنون الأولون) على حد التعبير الذي أوردته دائرة معارف القرن العشرين في هذا الصدد (إن هذه اللغة الخالصة قد أوحى بها إلى إسماعيل عليه السلام باعتباره أبا للعرب المستعربة التي اقتضت مشيئة الله أن يبعث من بينها محمدًا خاتم الأنبياء الذي تلقى القرآن وحيًا من ربه والذي هياه الله للرسالة العظمى العامة الشاملة بأن جعل دمه الزكي ملتقى لأزكى الدماء التي التقت في جده إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام فلا يكون لفئة بعينها الانفراد بشرف انتمائه إليها وحدها . وهي حكمة بالغة جعلت عقلاء البشرية منذ بعثته يضاعفون من إكبارهم واحترامهم له الأمر الذي بدا واضحًا في استقبال ملوك الأرض آنئذ لرسائله إليهم بكل ما ذكره التاريخ من تعظيم وتكريم). وقد لعبت قريش دورًا واضحًا فيما تحقق من تهذيب (هو التهذيب الثالث

على ما ذكرته دائرة معارف القرن العشرين) أدى إلى استمرار اللحمة بين (اللغة الخالصة التي سبق ذكرها) وبين لغة التخاطب التي تميزت بها قريش على سائر بطون العرب وفصائلها ، الأمر الذي هيا للعرب لاستقبال القرآن على النحو الذي جاء ميسرًا وخاليًا من كل تعقيد وتنافر وأدى إلى انطلاق فصحي قريش في ربوع الأرض تنشر الإشعاع الفكري على نحو أثار حفيظة من تصدوا لمحاربة الدولة الإسلامية ورسالتها الإنسانية فكان بدء الكيد للعربية باعتبارها قوة محركة لكل ذلك المد ، وتمخض الفكر المعادي عن حيلة دس اللهجات العامية وتشجيعها والتمكين لها على النحو الذي بدأ منذ العصر العباسي يكسر طوق الفصحى ويحقق الانصراف المشئوم عنها في أوساط العرب إلى الحد الذي جعلها تحتبئ في مدارك النخبة القليلة من الدارسين والحانين عليها ، وما نزال نرسف في أغلال ذلك الكيد ، حتى انفصلنا أو نكاد عن ميراثنا وتراثنا العربي في جميع مقوماته المعروفة لدى كل من قرؤوا التاريخ

الصادق للعرب والمسلمين الأولين . لقد
حرصت على أن أوجز ما وسعني الإيجاز،
فلم انطلق بكل ما يقتضيه المقام من تحليل
وتدليل تجنباً للإملال ، ولكن يقيني من أن
ما تعلمونه أكثر مما أعلمه هو ما حملي

على أمر الإيجاز مكتفياً بما أوردت في
استمالة مداركم المحيطة لإعطاء هذا
الموضوع ما يستحقه من تحليل وتكميل .
والله يوفقكم والسلام عليكم

علي رجب المدني
عضو الجمع من ليبيا

اللغة العربية في عصر تقنيات المعلومات

للأستاذ الدكتور محمود فهمي حجازي

- ١- الإطار الجديد
- I- تقنيات المعلومات تتجاوز حدود
المكان وتتيح الصلة عبر الأقطار والقارات.
- ٢- المهام المتزايدة لمجامع اللغة العربية:
- II- حركة الترجمة تمثل رافداً مهما
لمتابعة الجديد في العالم ، ومن
الضرورة أن تكون العربية لغة
التعبير عن الجديد .
- III- المعلومات التوثيقية أصبحت
متاحة في المكتبات الكبرى في
دول العالم المتقدمة في إطار شبكة
قوية تمكن من المشاركة في
المعلومات .
- IV- المنطقة اللغوية العربية تضم مجامع
لغوية وعلمية متعددة وجامعات
كثيرة وهناك رغبة في التعاون
والتكامل .
- V- بنوك المصطلحات في عدة دول
متقدمة قدمت على مدى نحو ربع
قرن خبرة واضحة في توحيد
- المصطلحات وتقنياتها في اللغات
الأوروبية.
- استمرار المهام التقليدية للمجامع :
إعداد المعاجم، إثراء اللغة بالألفاظ
والأساليب ، تيسير النحو
التعليمي، المسابقات
الأدبية، وتناقص الاهتمام بالبلاغة
(قارن خطة الأكاديمية الفرنسية
١٦٣٥م ومجامع اللغة العربية
بدمشق ثم القاهرة وبغداد وعمان
والمجامع الجديدة).
- II- نمو المتطلبات اللغوية للحياة
المعاصرة في إطار تقدم العلم
واستيعاب التعليم والإعلام لملايين
الأفراد .
- III- تزايد الاهتمام بضرورة التخطيط
اللغوي للحفاظ على وحدة
المنطقة اللغوية العربية لمواجهة

الانقسام والضياع في نسق المنافسة العالمية .

٣- التقنيات المتقدمة :

I- تتيح التقنيات المتقدمة في مجالات المعلومات درجة عالية من السرعة في الاتصال بين منتج المصطلح والمستفيد منه ، مع ضمان التجديد الدائم للمصطلحات والمعلومات المصطلحية والشمول في التغطية الموضوعية .

II- الإمكانيات التقنية ممكنة بتكلفة عالية في حالة الإفادة عبر الدول والقارات من البحث الآلي المباشر (Online) ، ويمكن أن تقتصر هذه الطريقة على المؤسسات الكبرى .

III- تخزين المعلومات (المصطلحات والمعلومات المصطلحية) على الأقراص المكتنزة (CD-Rom) ذات الإمكانيات الهائلة يجعل الإتاحة سهلة وزهيدة التكاليف .

٤- معاجم المصطلحات :

I- من المفيد إتاحة المصطلحات التي أقرتها مجامع اللغة العربية (نحو

١٠٠,٠٠٠ مصطلح) من خلال الأقراص المكتنزة ، لأغراض خدمة المستفيدين .

II- من الممكن إتاحة المصطلحات التي وافقت عليها مؤتمرات التعريب .

III- من الممكن لأغراض البحث تخزين كل المصطلحات المتداولة مصنفة بأكثر من طريقة للنظر فيها والإفادة منها بعد إقرار المناسب منها .

٥- التنمية الدائمة للمعجمات :

I- أصبحت المعجمات العامة الصادرة عن جهات علمية في العصر الحديث أعمالاً قابلة للنمو والإكمال والتجديد . ويحقق تخزين كل معجم ، وما يتضمنه من مداخل وشروح في الحاسب ، أن يتم عمل التعديلات بشكل دوري وهكذا تتاح طبعة جديدة في كل عدد من السنين .

II- المعجمات المصطلحية للعربية مع لغات أخرى يمكن تنميتها وتجديدها بمتابعة المعجمات الجديدة في العالم بالطريقة نفسها .

- ٦- المصطلحات في الحاسب :
- I- يمكن تخزين المصطلحات في الحاسب طبقاً للمواصفات الحديثة المتعارف عليها في علم المصطلح، وذلك في إطار تصنيف محدد للفروع التخصصية ، يأخذ المصطلح مكانه في منظومة مصطلحات التخصص . وقد تتعدد مواقعها في حالة استخدامه في تخصصات متباعدة . ويكون مع كل مصطلح مقابلاته بلغات أخرى ، مع مجموعة المعلومات المعرفة للمفهوم والمحددة لدلالة المصطلح .
- II- التعاون الدولي في بنوك المصطلحات ممكن ويوفر جهداً كبيراً ، وذلك بالإفادة من الجهود المبذولة في الحصر والتعريف والمقابلات ، ويكون العمل العربي هادفاً إلى إيجاد المقابلات العربية.
- ٧- القضايا والقرارات اللغوية :
- I- القضايا اللغوية المتاحة في كتب النحو واللغة والمعاجم يمكن أن
- تخزن وتصنف بطرق مناسبة لتتاح للمستفيدين بطريقة سهلة .
- II- قرارات الجمع في أصول اللغة والألفاظ والأساليب وغير ذلك تكون متاحة أيضاً من خلال التقنيات المتقدمة .
- ٨- المهام التسجيلية :
- I- يقتصر التسجيل الميداني لألفاظ المهن وغيرها على خدمة أغراض البحث في الجامع والجامعات .
- II- تكون المتابعة اليومية لمطبوعات مختارة من كل الدول العربية بهدف رصد الجديد وتقديمه للجان المختصة ببحثه لاتخاذ قرارات بشأنه ، وإتاحته بعد إقراره بشكل مناسب وعاجل .
- ٩- المدونة العربية :
- I- استكمال الثروة العربية من المفردات والتراكيب من خلال رصد واسع للاستخدام الحقيقي عند أعلام التأليف وغيرهم على مدى القرون أصبح عملاً ممكناً بالإفادة من التقنيات المتقدمة على

نحو أسهل مما كان متعارفاً عليه
من قبل . وهذا عمل جليل
وجدير بأن تخطط له الجامعات
اللغوية .

II- يمكن توزيع مهام تسجيل هذه
الثروة اللغوية على عدة مؤسسات
عربية تعمل في داخل أقطارها
بتخطيط وتنسيق وإشراف من
الجامع اللغوية . ويتكامل العمل
بعده طرق ومن خلال تقنيات
متقدمة .

١٠- المعلومات اللغوية والمصطلحية :

يشترك أيضاً في تقديم المعلومات اللغوية
والمصطلحية :

I- الباحثون اللغويون في الجامعات
ودور النشر المتخصصة في
المعجمات ، وذلك بهدف إثراء
الثروة اللغوية والمصطلحية بإرسال
ما لديهم للبحث ، ولا يتاح
للاستخدام العام إلا بعد البحث
والإقرار .

II- المترجمون يقدمون اقتراحاتهم في
ضوء خبرتهم المباشرة في مجالات

تخصصهم ومجالات ترجماتهم ، ولا
تتاح المصطلحات المقترحة
للاستخدام إلا بعد البحث والإقرار .

١١- المستفيدون :

يستفيد من إتاحة هذا الرصيد الكبير
الذي أقرته أو تقره الجامعات فئات من
المتعاملين بالمصطلحات ، وفي مقدمتهم:
أ- المترجمون . ب- المؤلفون .
ج- الباحثون اللغويون .
د- الباحثون التخصصيون .
هـ- المنظمات الدولية .

ز- الناشرون ومؤلفو المعجمات .

ح - الإعلاميون .

١٢- العلاقة مع المؤسسات المعنية

بوضع المصطلحات :

I- تكون خطة التنفيذ في المقام الأول
في إطار شبكة تجمع الجامعات اللغوية
ومكتب التعريب بهدف تكامل
الجهود .

II- إتاحة المصطلحات المعتمدة يكون

لفئات المستفيدين من خلال البث
المباشر في شبكة محلية أو من
خلال الأقراص المكتنزة .

١٣ - العلاقة مع الجامعات :

I- تكون الإتاحة المباشرة

للمصطلحات لخدمة الجامعات

على نحو يجعل المدة الفاصلة بين

إقرار المصطلح في المجامع وإتاحته

للمستفيدين تقل إلى الحد الأدنى.

II- إتاحة هذه المصطلحات على

المستوى العربي بشكل موحد

يقضي - إلى حد بعيد - على

اتجاهات الانقسام .

١٤ - شبكات المعلومات :

I- دخول هذه المصطلحات إلى

شبكات معلومات دولية يكون

قياسًا على ما يتم حاليًا في

المعلومات البليوجرافية .

II- دخول هذه المصطلحات المعتمدة

إلى شبكات المعلومات يمكن من

إتاحتها - أيضًا - للأفراد ، وفي

مقدمتهم : المترجمون ، المؤلفون ،

والباحثون من مختلف فئاتهم ،

والإعلاميون وغيرهم من يتطلب

عملهم الإفادة من هذه

المصطلحات ذات الأهمية المتزايدة

في الحياة المعاصرة .

محمود فهمي حجازي

عضو الجمع

اللغة العربية وتنازع الاختصاص

بين أهل العلم والتعليم والإعلام

للأستاذ الدكتور كمال دسوقي

١- المجامع أكاديميات لتعريب لغة

العلم:

منذ نشرت بأهرام ٢٥ مارس ١٩٩٧م قرارات الدورة الثالثة والستين لمؤتمر مجمع اللغة العربية مؤكدة على لسان رئيسه الدكتور شوقي ضيف أن تعريب العلوم الغربية في جامعاتنا مطلب مصري - يؤيده في ذلك رئيس مجمع الأردن د. عبد الكريم خليفة ورئيس مجمع السودان دكتور عبد الله الطيب وغيرهما ... وتقرير أمين المجمع الأستاذ إبراهيم النترزي أن قضية التعريب شغلت المجمع منذ دورته الأولى عام ١٩٣٤م وحتى الآن... وتطمئن الدكتور حسين كامل بهاء الدين - الذي ترفع إليه بحكم منصبه قرارات مؤتمر المجمع السنوية الذي يفتتحه - أن وزارة التعليم تعمل على تحديث اللغة العربية وتطويرها ، وذلك بتيسيرها على الدارسين دون إخلال بقواعدها أو خروج على مراميها وأهدافها ...".

توالت منذ نفس اليوم ، في نفس الصحيفة (أهرام ٢٥ مارس ١٩٩٧م) الحملات على مجمع اللغة : ممثلا في رجاله : " هل المجمع اللغوي وقف على الشيوخ الذين لا يُسلم الواحد منهم حتى يودع" ... وفي أعماله : مطلوب ثورة في مجمع اللغة العربية (الشعب ٢٢ /٤/ ٩٧) - في أعقاب مؤتمر تعريب العلوم الثالث بجامعة عين شمس - الذي يسأل الجمعيين : كيف تختارون الأعضاء والخبراء ... رحمكم الله ، وفي بطاء إجراءاته : المجمع يحتاج إلى ٤٠٠ سنة لإنجاز معجمه الكبير إذا استمر أداؤه بنفس الأداء الحالي ... (كمحاكمة) لمجمع اللغة العربية في المجلس الأعلى للثقافة (الوفد ٣ مايو ١٩٩٧) - حيث كان احتجاج الدكتور كمال بشر على مكان عقد الندوة (الذي يفترض أن يكون المجمع وليس المجلس) وإشارته إلى تهامس البعض بسعي المجلس لسحب البساط من

تحت أقدام المجمع فيما يتعلق بقضايا اللغة العربية، بدليل إعلان د. جابر عصفور في افتتاح السندوة عن تعاون وشيك بين المجلس ووزارة التعليم فيما يتصل بهذه القضية - التعاون الذي كان أجدر به أن يتم بين المجمع والوزارة .

فعلى خلاف الدراسات الموضوعية الجادة لقضايا اللغة العربية ، العيورة على "تحديث اللغة وتحديث الفكر" و "إنقاذ اللغة من الجمود والعزلة عن الحياة" باستشارة عقول أكبر من عقول اللغويين الخُلص في أمر ما يُدرس للناس " - الأمر الذي لا يقضى فيه ببعض التوصيات ... للأستاذ الدكتور مصطفى ناصف ؛ إلى جانب رابع وخامس المقالات العلمية المتقدمة للأستاذ سامي خشبة عن الإيديولوجية اللغوية المصرية التي سبقت تكون الأيديولوجية القومية العامة لدى المثقفين المصريين الحداثيين الأوائل كتعبير عن الهوية الثقافية الحقيقية للمصريين (الأهرام ٢٩/١١/١٩٩٦) ... تمنح مقالات أخرى إلى الأتاه الصارخ لوزارة التعليم بأن سعي الدكتور شوقي ضيف

(بشجاعة يندر أن نجدها عند غيره) إلى جعل التعليم في جامعاتنا عربيًا ؛ بأن المشكلة ليست في المجمع ، ولكن في القرار السياسي الملزم الذي (تؤيده) الحكومة - حتى لا (تُدفن) قرارات المجمع في وزارة التعليم (الأخبار ٢٤/٧/١٩٩٦).

وفي (محاكمة) مجمع اللغة العربية بالمجلس الأعلى للثقافة عن " حاجة المجمع إلى ٤٠٠ سنة لإنجاز معجمه الكبير إذا استمر أدائه بنفس المستوى الحالي " الذي اعترف الرئيس الجديد للمجمع (لمراسل الأخبار ٢٤/٧/٩٦) أنه هو الذي أوقف العمل به رغم وفرة الميزانية المخصصة له اعتراضًا منه (بعنف) على خطته الحالية وعدم اتفاق الإنجاز مع الإنفاق ... لكي يعاود العمل في بدء الدورة بعد تشكيل لجان جديدة من خارج المجمع ... يتكرر اتهام المجمع في هذه (المحاكمة) بأن العمل به رهين المحسنيين) : الرغبة في الكسب السريع من ناحية (فيما يتعلق بجهود الأفراد والشركات التجارية) والبطء الشديد

والتمسك بالموروث فيما يتصل بعمل
المجمع من ناحية أخرى !! وافتأت على
الراحل العظيم الدكتور مذكور برده
حين طلب منذ سبع سنوات ترشيح من
يشترك مع صندوق الإنماء العربي في
إصدار معجم يعتمد على الحاسب الآلي
قائلا : وماذا بعد المعجم الوسيط ؟ ليس
في الإمكان أبدع مما كان !!!

ومن قبل - في " مواجهة ساخنة مع
العميد السابق للدراسات العربية
(الدكتور إبراهيم عبد الرحمن) نجد
المطالبة بإعادة النظر - لا في جوائز الدولة
التقديرية فقط - بل في عضوية المرأة
والشباب بمجمع اللغة - حيث يقال " إن
دور مجمع اللغة الجليل في خدمة اللغة
العربية يتطلب اختياراً (موفقاً) للأعضاء،
لكننا نراه أحياناً يحجب العضوية عن
بعض الشخصيات التي يمكن أن تثريه ،
كما أنه لا يزال حتى الآن عازفاً عن
ترشيح المرأة رغم وجود (وجوه) نسائية
تصلح لهذا الدور . فيعاود أمين المجمع
الأستاذ إبراهيم الترزي الرد على هذا
الاهتمام الأخير - في إطار حديثه عن كيفية

الترشيح وإجراءات الانتخاب للعضوية -
بأنه ليس لدينا أي موقف ضد المرأة ،
فمنذ الستينيات رشحت شخصيات
نسائية شهيرة لم تحصل أي منها على
الأصوات الكافية ... (العربي عدد ٤٥٠
مايو ١٩٩٦م) . أما السبب الذي لم
يذكره فهو ما جاء بحديث الدكتور
إبراهيم عبد الرحمن ذاته من انقسام
أعضاء المجمع الذين يرشحون زملاءهم
إلى فريقين اللغويين والعلميين وأن ضرورة
تحقيق التوازن تحتم أحياناً استكمال
النقص في أعضاء اللجان العلمية
المستحدثة - وآخرها الحاسب العلمي
والمعلومات ، الهندسة الوراثية ... إلخ بما لا
يحتاج معه المجمع إلى مزيد من الأعضاء
اللغويين إلا للانضمام لهذه اللجان العلمية
المستحدثة .

ويظل اشتعال الآراء يحسد ،
واضطرام الجدل يشتد ، ما بين تفاؤل
بأن لغتنا العربية قادرة على مواجهة
القرن الحادي والعشرين قدرتها في الماضي
على توحيد الأمة الإسلامية وتحقيق
القومية العربية (د.شوقي ضيف ، مؤتمر

جمعية لسان العرب الرابع بجامعة الدول العربية ، ١٥/١٦ نوفمبر ٩٧)، وفي معرض كون اللغويين يكتبون تاريخ القرن بكلمات انتشرت في العالم كله (عماد غازي ، الدستور ، ٩٧/١٢/٣ بعنوان " بكرة أحلى من النهاردة " الكلمات المائة عن جريدة التايمز لدار النشر كوليتز - أحمد غازي) ... والدعوة إلى عقد الندوات والمؤتمرات عن اللغة العربية ككائن حي مشحون بالتراث وكتعبير عن الهوية : كيف ننقذها من أخطار تتعرض لها داخليا وخارجيا - وأهمها : تحديات الواقع، العلاقة بالتنمية الشاملة ، التشابك مع العامية (الأهرام ٩٧/٦/١٣) . فأخطاء الفساد والأفساد اللغويين ليس عيباً - حيث نخير الخطائين المتوايون ، والأخطاء في ذاتها منهج للتقويم والإصلاح (الأهرام ٩٧/٥/٢٣)، وبالاتجاه " نحو فهم أشمل للغة وكسب للمستقبل نحتاج إلى أن نعمل في وقت واحد على تطوير جذري لكل من علوم اللغة العربية والبحث العلمي التطبيقي - لغرض تطوير تكنولوجيا المعلومات للغة

العربية ذاتها حتى نستطيع بناء الحاسبات الإلكترونية وبرامجها المتنوعة ومكتباتها ومخازن معلوماتها بناء أصيلا باللغة العربية (سامي خشبة ، الأهرام ٩٧/٧/١٨) ، كما أن بالإمكان التوظيف (الثقائتموي) للبرنامج الثقافي (محمد ماهر قايل (الأهرام ٩٧/١٠/٢٤) ونحن بسبيل "البحث عن الثقافة العربية (د. محمد علي الكردي ، الأهرام ٩٧/١٠/١٠) ، وعن " أيديولوجية للتعليم المصري " د. محمد سكران (نفس العدد من الأهرام) بالتجدد بدلا من القفز على الثقافات ، وبقراءة تجربتي اليابان والاتحاد السوفيتي (أ.د. فوزي فهمي أهرام ٩٧/٥/٩)، واسترجاع التجربة المشرفة في الثقافة العلمية التي قام بها العلامة المصري الدكتور على مصطفى مشرفة في الثلاثينيات أو الأربعينيات مع الفارق في الإمكانات (أ.د. حامد عبد الرحيم عيد . الأهرام ٩٧/١٠/١٠) مع مراعاة كون ما يسمى الثقافة العلمية هو مجرد معرفة علمية - عند مراجعة دور أسلوبنا التعليمي فيها (أهرام ٩٧/١٠/٣) ،

ومسراعاة " أولوية الهدف الاجتماعية في التعليم ونقل التكنولوجيا " (أ.د. أحمد عبد الجواد ٩٧/٥/٩).

٢- المدارس والجامعات مؤسسات للتعليم بالعربية :

يتضح إذن من الكتابات الصحفية الساخنة منذ بدء الحملة على توصيات مؤتمر مجمع اللغة العربية التي يتكرر التأكيد عليها كل عام تحميل المجمع مسؤولية كون " اللغة العربية في أزمة - سواء التي نكتبها والتي نحياها ، وأن لابد من المناذاة بإنقاذها من الجمود والعزلة عن الحياة وتحديثها بتحديث الفكر والشعر في عصر الثقافة الهشة الذي نعيشه (د. مصطفى ناصف ، الأهرام الأدبي ٩٧/٧/١). وينسى المزايدون على المجمع المسددون سهامهم نحوه من خارجه من المسؤولين عن التعليم والإعلام والثقافة والفكر أن انفتاح المجمع على جماهيرهم بتكرار توصياته السنوية إنما هو إبراء لذمته من التقصير في المسؤولية كأكاديمية لتعريب لغة العلوم والتكنولوجيا التي تلزمهم ، فالأزمة التي

يشكون منها إنما ترجع لعدم استجابتهم - كل في مجاله - للتوصية الجمعية بالأخذ بما يكفل الانتفاع بما أنتج المجمع من قرارات وما أعد من قوائم ومعاجم مصطلحات ، بل وبما أجرى بشأنه من اتصالات مع التنفيذيين في الوزارات المعنية بتلك القرارات.

إن المجمع اللغوية والعلمية - سواء نشأت كمجامع لغة أو لجان تأليف وترجمة ونشر أو مجامع دار العلوم أو الكتب ... أهلية أو ملكية - في مصر وسوريا والعراق والأردن منذ مطلع القرن - تنص مراسيم إنشائها الرسمية على أن تكون أغراضها أكاديمية تتمثل في: ١- المحافظة على سلامة اللغة العربية، وجعلها وافية بمطالب العلوم والآداب والفنون ، وملائمة لحاجات الحياة المتطورة ، ب - النظر في أصول اللغة العربية وأساليبها ، لاختيار ما يوسع أقيستها وضوابطها ، ويسط تعليم نحوها وصرفها، ويسر طريقة إملائها وكتابتها. ج - دراسة المصطلحات العلمية والأدبية والفنية والحضارية وكذلك دراسة

الأعلام الأجنبية ، والعمل على توحيدها بين المتكلمين بالعربية. د - بحث كل ماله شأن في تطوير اللغة العربية والعمل على نشرها ، هـ - بحث ما يرد للمجمع من موضوعات تتصل بأغراضه السابقة .

وتنص المادة الثالثة من قانون إعادة تنظيم مجمع اللغة العربية بالقاهرة رقم ١٤ لسنة ١٩٨٢م على أن تكون وسائل المجمع لتحقيق أغراضه :

أ- وضع معجمات لغوية محررة على النمط الحديث في العرض والترتيب ، ومعجمات علمية اصطلاحية خاصة أو عامة ذات تعريفات محددة .

ب- بيان ما يجوز استعماله لغوياً ، وما يجب تجنبه من الألفاظ والتراكيب في التعبير .

ت- الإسهام في إحياء التراث العربي في اللغة والآداب والفنون ، وسائر فروع المعرفة الماثورة .

ث- دراسة اللهجات العربية قديمها وحديثها دراسة علمية لخدمة الفصحى والبحث العلمي .

ج- دراسة قضايا الأدب ونقده ، وتشجيع الإنتاج الأدبي ، بالتنويه به أو بعقد ندوات ومسابقات فيه ذوات جوائز ، أو بأي وسيلة أخرى.

ح- إصدار مجلات أو نشرات أو كتب تحوي قرارات المجمع وأعماله وبحوث أعضائه وغيرهم - مما يتصل بأعمال المجمع .

خ- توصية الجهات المختصة باتخاذ ما يكفل الانتفاع بما ينتهي إليه لخدمة اللغة وتيسير تعميمها وانتشارها وتوحيد ما فيها من مصطلحات .

د- الدعوة إلى عقد المؤتمرات والندوات التي تتصل بأغراض المجمع والاشتراك فيما يدعى إليه المجمع من مؤتمرات وندوات تتصل بأغراضه .

ذ- توثيق الصلات بالمجامع والهيئات اللغوية والعلمية في مصر وفي خارجها .

اتخاذ أية وسائل لتحقيق أغراض
المجمع .

ولقد نهض مجمع اللغة العربية الأم
فور إنشائه باختصاصات لجان أصول
اللغة ، واللهجات ، والألفاظ والأساليب ،
والأدب ، وإحياء التراث ... فيه - بإعداد
وإصدار معاجم اللغة : الوجيز ،
والوسيط ، وما تم من الكبير ، ومعجم
ألفاظ القرآن الكريم ، ومجموعة القرارات
الجمعية العلمية في أصول اللغة والألفاظ
والأساليب ، ونشر من كنوز التراث
العربي : عجالة المبتدي وفضالة المنتهى ،
التكملة والذيل والصلة (ستة أجزاء) ،
ديوان الأدب للفارابي (أربعة أجزاء) ،
كتاب الأفعال (أربعة أجزاء) ، كتاب
الجيم (أربعة أجزاء) ، والتنبيه
والإيضاح عما وقع في الصحاح
(جزءان) ، وكتاب الإبدال ، وكتاب
الشوارد ... حتى إذا كاد يستوفي رسالته
كمجمع لغة أضاف إلى اختصاصاته
مهمة الجامع العلمية وشكل منذ منتصف
الخمسينيات بضع عشرة لجنة إعداد
مصطلحات تعريفات العلوم الأساسية

والكونية والإنسانية : التي أنجزت قوائم
فمعاجم ستين ألف مصطلح (في تقدير
الأستاذ الدكتور شوقي ضيف بالعيد
الخمسين للمجمع ١٩٨٤) أضيف إليهما
بعد ذلك حتى سنة ١٩٩٠ ولا يزال
يضاف ثمانية آلاف مصطلح طب (الجزء
الثاني) ، خمسة آلاف كيمياء وصيدلة ،
خمسة آلاف أحياء وزراعة كجزء ثان
ظهر سنة ١٩٨٨ م) ، ٤٥٠٠ مصطلح
فيزياء حديثة (جزء ثان ١٩٨٦ م)
١٢٥٠ فيزياء نووية ... وهكذا في
معاجم علوم الرياضيات والهندسة ،
والهيدرولوجيا ، الجيولوجيا ، النفط ،
المعالجة الإلكترونية للمعلومات ... ولا
تزال تضاف كل عام قوائم جديدة لكل
علم مما يعرض على المؤتمر السنوي
لإقراره . ولما تعذر إهداء ما تطلبه
الهيئات والأفراد من أعمال المجمع أعدت
قوائم بالموجود منها وما نفذ لإعادة
طبعه ، وعهد إلى كبريات دور النشر
بتوزيع هذه المطبوعات الجمعية بثمن
التكلفة ، وصدرت طبعات خاصة من
الوجيز والوسيط لإمداد وزارات التعليم

بالبلاد العربية بما يلزمها منها للتوزيع على طلاب المدارس بمراحل التعليم الوسطى وقبل الجامعية .

ولم يكن غائبًا عن ضمير ووجدان أعضاء اللجان العلمية أن تعريب العلوم سواء عند إعداد قوائم فمعاجم المصطلحات الخاصة بكل علم ولدى الترجمة والتأليف في موضوعات العلوم المادية الحديثة - خصوصًا في البلاد التي كانت مستعمرة ولا تزال تدرس حتى في مراحل التعليم الأولى بالفرنسية أو الإنجليزية - أن هذا التعريب إنما هو لغرض التعليم والتدريس ، فحين يختلف خبراء إحدى اللجان حول ما إذا كان تعريب أحد المصطلحات ينقل بالترجمة أو بالمعنى، التراثي الفصيح أو الدارج العامي ... يرجح الجميع ما يفهمه الدارسون وما يجري الأخذ به عند أهل الصنعة - إدراكًا منهم أن تيسير نقل الثقافات المعاصرة إلى لغتنا هو أهم وسائل تقدمنا العلمي قبل أن يكون ضرورة قومية حتمية لجعل العربية صالحة لاستيعاب مستجدات العلوم

والتكنولوجيا الحديثة . ولئن كان الجمعيون في القاهرة لم يتعجلوا (وربما لا يزالون مختلفين حول) المبادرة بالترجمة والتأليف باسم الجمع في علوم الطب والصيدلة والرياضيات والهندسة والزراعة والأحياء والفيزياء والكيمياء ... مثلما فعلت مجامع سوريا والأردن (وفي الجزائر وتونس والمغرب) التي نشأت كمجامع علمية - هي لجان ترجمة وتأليف ونشر - لدواعي وطنية قومية غايتها تخليص نظم التعليم من لغة المستعمر ، وتحرير العقل العربي من تغريب فكره وثقافته - فما ذلك إلا لأن التعليم في مصر - حتى أثناء الاستعمار - كان عربيًا في المدارس والجامعات الأهلية والرسومية - إلا ما استثنى لاتصاله بالعلم الغربي ووجود أساتذة أجنب ، وأن أساتذة الجامعة المصريين كانوا قد ترجموا وألفوا في هذه العلوم كتبًا أساسية ومعاجم مصطلحات بالقدر الذي يسد حاجة التعليم العالي منها ، فلم يبق على الجمعيين إلا التوصية بتعريب تدريس ما لا يزال الخلاف حوله قائمًا (كالتب) -

مستعينين في ذلك بما ظهر من آلاف مصطلحات الطب وتعريفاتها لغرض تمام تعريب دراسة الطب .

ومع أن المجمع - شأنه شأن كافة الهيئات الأكاديمية العلمية والبحثية - لا يملك إلا الخروج بتوصيات يضعها تحت نظر المسؤولين عن التنفيذ واتخاذ القرار ، فهو لم يقف عند حد تعميم مطبوعاته من معاجم تحديد ألفاظ وصياغة عبارات ومفاهيم لغة العلوم والفنون والآداب ، وتيسير الحصول عليها لكل من يريد أن يلزمه الانتفاع بها ، فقد تجاوز رئيس المجمع بصفة أستاذه لأجيال أساتذة تدريس اللغة العربية وآدابها بأقسام كليات الآداب المعروف بها قبل رئاسته للمجمع - بالاتصالات الشخصية المباشرة بالمسؤولين عن التعليم والإعلام والثقافة والفكر لاستحداث إشاعة استعمال اللغة السليمة إن لم يكن الفصحى في شتى مرافق الحياة اليومية ويتلقى منهم الوعود بأنهم حريصون على الأخذ بما يوصي به في هذا السبيل . ولعل رجال التربية الذين هم الأكثر

استجابة لتعريب التعليم وإعلاء تدريس اللغة العربية على اللغات الأجنبية وتعديل برامجها ومقرراتها وطرق الامتحان فيها ودرجات هذا الامتحان ... هم الأقل تعريضا بالمجمع من أهل الثقافة والإعلام الذين يعجزهم التصدي لقضية استخدام اللغة السليمة في المقالات الصحفية وبرامج الإذاعة والتلفزة - بل لغة الشارع والخطاب الديني والسياسي . وتلبية مطالبات استصدار تشريعات وقوانين تُعاقب على عدم سلامة لغة الحديث والكتابة والإعلان عن السلع التجارية وعروبة لافتات المحال والأماكن العامة الأمر الذي لم يعد من الممكن السيطرة عليه في ظل الانفتاح على الثقافات الأجنبية - اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا في ظل ثقافة العولمة والشركات المتعددة الجنسيات ومدارس اللغات ولغات حوسبة وبرمجة المعلومات وشبكات الاتصال التي تعم كافة المجالات .

ففي الندوة التي عقدت تحت شعار "النهوض باللغة العربية " (أكتوبر ٩٧) مع التسليم بأن " العربية مفتاح تراثنا

العربي والإسلامي " ، وأن "دار العلوم حافظت على اللغة العربية قرناً وربع قرن ولا تزال " ، ومع التأكيد على أن "التفكير السليم لا يستقيم إلا بلغة صحيحة" ... يقال إن " النهوض باللغة العربية لابد أن يسير في ثلاثة مجالات : الواقع السيئ للغاية اليوم في مناهج تعليم اللغة ومراحلها المختلفة ، ضعف أداء معلم اللغة وما يعانيه من ظروف اقتصادية متواضعة ، سوء تنظيم محتوى فروع اللغة الذي لازلنا نصممه بشكل منفصل : نحو/نصوص/قراءة ... كما يجري التساؤل: هل نعود إلى مناهج الأربعينيات لإصلاح اللغة العربية ؟ إن ما حدث في امتحان المرحلة الثانية لطلاب الثانوية العامة الحديثة كخطأ فني أو طباعي ينبغي محاسبة المسؤولين عن وقوعه ليدل دلالة واضحة خطأ نمط الأسئلة التي تطلب إعطاء ثلاثة مترادفات أو متضادات لكلمة معينة وتحديد أيها المطلوب ، ثم على أن كتب الوزارة في اللغة العربية خاصة يخضع تأليفها لنفوذ طائفة من الكبار داخل دواوين الوزارة أو خارجها

- ولو أن الوزارة أرادت لعهدت بتأليف كتبها إلى أساتذة من الجامعات في لجان سرية بل محايدة أشبه بلجان الترقيات العلمية في نظامها الجديد !! (د. مصطفى رجب ، الأهرام الأدبي ، ٢٧ مايو ٩٧). وفي آخر تساؤلات الأهرام أيضاً للكاتب إبراهيم حجازي (١٦ يناير ٩٨) : مع هذه المناهج ؛ إلى أين نحن ذاهبون ؟ نجد القول بأن الاهتمام يشير إلى الكتب المدرسية التي تكرر الحفظ والاستظهار وتجعل لكل سؤال إجابة واحدة . فليس في الكتاب المدرسي تدريب على حل المشكلات أو مناقشة للأحداث الجارية أو توظيف للمعلومات بحيث يقبل عليها المتعلم لأنها ذات قيمة وذات مغزى في حياته . وما يزيد الطين بلة ، أن بعض مؤلفي الكتب الخارجية هم أنفسهم مؤلفو الكتب المدرسية . والمعلم المسكين المحشور بين أربعين تلميذاً في الفصل وبين الحصّة ذات الأربعين دقيقة لا يملك إلا أن ينقل ما في الكتاب إلى أدمغة المتعلمين. كل هذا - وكثير غيره كل يوم تقريباً - ولا زال الأمين العام للمجلس

الأعلى للثقافة الدكتور جابر عصفور
يقرر أنه " بعد ثلاث ندوات قومية
عقدتها المجلس خلال هذا الموسم ؛ لم
يحدث تناغم كامل بين أدوات الثقافة
والإعلام والأوقاف والتعليم في إطار
المهمة التي يراها المجلس للعمل بلجانه
كعقل للثقافة المصرية - وهي تأسيس
الاستنارة وتأصيلها وإشاعتها في كل
مكان ، مادام يضم التيارات الفكرية التي
تقبل بمبدأ الحوار والتعددية ، ويحترم حق
الاختلاف ، ولم يستبعد نفسه
كالأصوليين أو يقف عقبة في سبيل
الاستنارة والتنوير ويعمل ضدها كبعض
مناطق الرسالة المرئية في الإعلام ومخربي
المشروع القومي للتعليم حتى على
مستوى أساتذة الجامعات ، والتطرف
والتعصب والجهالة والإظلام في الممارسة
الديمقراطية(الأهالي ٢٢ أكتوبر ١٩٩٦م)
كما لا تزال ثقافة الشارع تزحف
وتسيطر في كل الأنحاء وعلى كافة
الأصعدة : المرور ، اللافئات ، الطعام ،
الطرز المعمارية ، النوادي والمقاهي - ممثلة
في الضوضاء والنصب والاحتشال

(د. سعيد إسماعيل على - أخبار الأدب
١١/٣٠ ، ١٢/٧/١٩٩٧م) وفي مؤتمر
بور سعيد الأدبي يضحج المشاركون :
الإهمال يشوه المشهد ، وثقافتنا بلا
مشروع (أخبار الأدب ٤ يناير ٩٨) ،
ومن قبل ومن بعد يصرخ كمال حبيب
(الشعب ١٧ مايو ٩٧) ضد ثقافة الإثارة
والتحريض وتوصيات مؤتمر مجمع اللغة
العربية السنوية التي لا تنفذ : كفى إذلالا
للغة العربية ، أوقفوا زحف اللغات
الأجنبية !! إن اكتشاف جامعة
أكسفورد البريطانية العريقة أن نسبة
ملحوظة ممن طلبة الجامعة خصوصاً
دارسي الأدب الإنجليزي لا يعرفون
كيفية استهزاء الكلمات ، وعددهم في
تضاعف مستمر ... (الأهرام ١/٢١/١٩٩٨)
ومأزق مواجهة نظام التعليم
الأمريكي تحديات القرن الحادي
والعشرين حيث تتراجع أهمية مواد
التعليم الأساسي - خاصة العلوم الإنسانية
لصالح العلوم الحديثة المرتبطة باحتياجات
السوق كإدارة الأعمال والمحاسبة وعلوم
الاتصال ... (أهرام ٢٨ يناير ٩٨) الأمر

الذي يضعف قدرة الطلبة على التفكير الناقد والإبداع وتحويلهم إلى أدوات مبرجة ... لم يؤديا برجال التعليم الإنجليز والأمريكان إلى اتهام اللغويين بظلم لغتهم القومية لحساب لغة الحاسبات وشبكات الاتصال - مادام أن هذا مصير القوميات في صراعها مع العولمة تأهبًا للاندماج في نظام عالمي جديد قبل حلول الألف الثالث للميلاد .

٣- واللغة والدين قوام الهوية الثقافية والإعلام الثقافي :

ذلك أنه لما كانت الثقافة بالتعريف هي نماذج وأساليب الحياة الاجتماعية كلها - العائلي والاقتصادي والديني والأخلاقي والتربوي والجمالي والسياسي واللغوي والعلمي - خصوصًا المعبرة منها عن روح الأمة ونفسية الشعب ، وبما أن القومية قوامها وحدة الفكر واللغة والجنس والأمان المشتركة بنمو وعي سياسي أو (أيديولوجية) ولاء الفرد للوطن نتيجة الشعور بالانتماء ووحدة المصير ومسئولية اشتراك الجميع في تحقيق تلك الأهداف ؛ فاللغة هي أكثر عناصر

الثقافة ثباتًا إذا قيست بعوامل الجنس والدين والمصير المشترك التي تزخر الساحة الثقافية بتعددتها وتنوعها ليضج المُعْتَرِك الثقافي عند مناقشة أي قضية أو مشروع يراد به النهوض بالأمة إلى غاياتها (بالنظر في حاضرها لاستلها ماضيها واستشراف مستقبلها) بخلافات تسمية الحركة تجديدًا أو تحديثًا ، صحوة أو بعثًا أو تنويرًا ، عقلانية أو علمانية ... وبالنظر إلى متغيرات العصر ومتطلبات السياسة القومية والمحافظة على الهوية الثقافية تعم الاتهامات بالرجعية أو التقديمية ، الأصولية أو العلمانية ، التراثية أو العصرية ، وفي الانفتاح على ثقافات الغير : السندية أم التبعية ... بل تسود مهاترات الوصف بالظلامية الانغلاقية في مواجهة الانفتاحية التنويرية ، النفطية العروبية ، الاستثمارية ، الشرق أوسطية (لستمير الصلح مع إسرائيل) ... فلكل شيء في حياتنا ثقافته - على نحو ما أن " ثقافة الفساد أو الجنس في البيت الأبيض ليست غريبة على المجتمع الأمريكي " (الأهرام ٤ فبراير ٩٨) ، وأن ثقافة

البطالة تنتشر في أوروبا (الأهرام ٨ فبراير ٩٨). لكن أهم ثنائيات الثقافة - في عصر الإرهاب والعنف المتطرف الذي نعيشه - هي الصراع بين الرجعية والتنوير، الأصولية والحداثة وما بعد الحداثة .

ويتجلى صراع هذه الثنائية البالغة من التطرف حد عدم إمكان الوسطية والاعتدال - أول ما يتجلى - في ساحة التعليم بالعربية - بالنظر إلى أن تعليم اللغة القومية يرتبط بتعليم الدين والدراسات الإسلامية فيواجه وزير التعليم الذي يش من الشكوى من تنامي التطرف بين جدران المدارس ولا يكف عن الدفاع - حتى فيما يرفع عليه من قضايا أولياء الأمور - ضد حجاب التلميذات ، ونظام التحسين بين الإقرار والإلغاء ، وإنشاء أو إلغاء كليات الطب الخاصة وفروع الجامعات الأجنبية في مصر ... وسط حملات الصحافة الصارخة : من يرد للتعليم اعتباره ؟ ٦ وزراء وضعوا ست استراتيجيات للتعليم خلال ١٥ سنة فقط، ٥ مليارات جنيه حجم الإنفاق

الشهري، ٤٠% من مدارس مصر غير صالحة، والدروس الخصوصية تهدم الأسرة الفقيرة وتشيع السلبية بين الأغنياء، الشهادة لم تعد تعبر عن خبرة حاملها أو مؤهلاته الحقيقية - أعيدوا للمدرس احترامه المادي والأدبي ثم تحدثوا عن التعليم (الأحرار ٣٠/٩/٩٦) ... فالتجارة بالتعليم كارثة ، ورفع يد الدولة عن التعليم خطر على الأمن القومي (الأهرام ٤ نوفمبر ٩٧) ، وعن الامتحان الصعب لمجلس الشعب في قانون الثانوية المعدل : القانون غير مدروس ويحتاج من جديد لإعادة عرضه على المتخصصين ، تطبيق التعديلات الجديدة هذا العام مخالف للدستور (الأهرام ١٠ ديسمبر ٩٧) - هذا بينما في رؤية عميد سابق : نظام الدراسة بكليات التربية فاشل (الأهرام ٣٠ يونيو ٩٧) ، وفي تحليل أستاذ التربية العريق سعيد إسماعيل على هناك " شروخ في جدار كلية التربية - أهمها أن التحسين لم يكن راجعاً إلى تحسين في نظم وبرامج كليات التربية بأنواعها المختلفة - خصوصاً بحث

أوضاع كليات التربية النوعية وتطويرها
وضمها إلى الجامعات بدعوى توفير
معلمين لبعض التخصصات التي لم تكن
تُعد لها كليات التربية (الأسبوع ٥ يناير
٩٨) - مع رجاء الكثيرين إلى وزير
التعليم العالي التريث في اتخاذ هذه
الخطوة...

يواجه وزير التعليم ووزير التعليم
العالي - اللذان أصبحا يعملان في وزارة
واحدة لتنفيذ السياسة التي يقرها مجلس
الوزراء (الأهرام ٤ نوفمبر ٩٧) القضية
التي أثارها المسئولون بكلية الآداب
جامعة الزقازيق فرع بنها (وغيرهم)
بقولهم : إن الحرص على مستقبل الثقافة
في مصر يقتضيهم إعادة النظر في لوائح
أقسام اللغة العربية التي تقلل من الاهتمام
بالثقافة الإسلامية بشكل يتدنى إلى نصف
الاهتمام بالثقافة الأجنبية الحديثة حتى لو
كانت هذه اللوائح قد نفذت بالفعل ...
هذا الاهتمام المكثف الذي هو أكثر من
الزحف الذي يتمثل في واقع توزيع
الساعات المقررة طوال السنوات الأربع
بل الطغيان للثقافة الأجنبية على

الدراسات الإسلامية - التي حصرها
أصحاب القضية في ثماني ساعات علوم
قرآن وتفسير وحديث بالفرقتين الأولى
والثانية ، وجاء في رد العميد أنها اثنتان
وعشرون ساعة باعتبار الفلسفة
الإسلامية والتصوف الإسلامي والحضارة
الإسلامية مواد ثقافة إسلامية بالمفهوم
الواسع لا الضيق الذي نشر به الأستاذ
سامح كريم محرر صفحة الأهرام الأدبي
عن هذه القضية - يقيناً منه بأن اللغة
العربية وآدابها نشأت في أحضان بلاغة
العلوم الإسلامية وخاصة القرآن
والحديث فوضع المسألة تحت نظر
المسؤولين بأسلوب هادئ إيماناً منه
بأسلوب أدب الحوار الذي يليق بأهل
العلم فلم ينله إلا غضب العميد ورئيس
الجامعة مما حسبه استجارة بالصحافة
فأثهم بضيق الأفق وعدم الدقة في حقائق
القضية التي جوهرها تجريح الزملاء
بعضهم لبعض لتحقيق مآرب شخصية ...
واكتفى بنشر رد الأستاذة والأستاذ
المساعد مع رد العميد معذراً عن عدم
النشر لأصحاب الردود والبرقيات التي

جاءته من الأساتذة وأولياء الأمور والطلاب وكلها تطالب بإعادة النظر في هذه اللائحة .

معنى هذا أن الداعين للاهتمام بالدراسات الإسلامية في قسم يجمع اللغة العربية والدراسات الإسلامية لا يعتبرون الفلسفة الإسلامية والتصوف الإسلامي والحضارة الإسلامية .. دراسات إسلامية بالمعنى الواسع تضيف أربع عشرة ساعة إلى ثماني ساعات علوم القرآن والتفسير وعلوم الحديث بالفرقتين الأولى والثانية بالمفهوم الضيق لهذه الدراسات ؛ كأنما علوم اللغة وعلوم الدين نقيضان لا يجتمعان ، مثيرين بذلك ضرورة التفرقة بين ما هو عربي وما هو إسلامي سواء في الفكر الفلسفي والحضارة العربية - بالنظر إلى وجود علماء وفلاسفة غير مسلمين (من النصارى واليهود بل المجوس والصابئة) ومفكرين من الفرس والآتراك والتتار ليسوا عرباً (باعتبار الدين والجنس على الترتيب) هذا الخلاف الذي لا يزال قائماً وتوارثه الأجيال والثقافات كلما تجددت منذ

المستشرقين في القرن التاسع عشر لأغراض في نفوسهم فات أوائها ولا داعي لتجديدها كقضية زائفة حتى لو حسمت بخصوصية العروبة كقومية داخل عالمية الإسلام كدين ، مؤكدين على أن إهمال التفرقة بين ما هو عربي وما هو إسلامي هو سبب مشاكلنا الثقافية كلما ثار الخلاف حول ما بين الحكمة والشريعة من اتصال ، وعلاقة القياس والإجماع في أصول الفقه وفي أصول الحكم (الذين تصدى للدفاع عن عروبتهما الأخوان مصطفى وعلي عبد الرازق) بمنطق أرسطو اليوناني - إلى حد الاتهام بالقول بدين عربي وفلسفة إسلامية - وتكفير التفكير في تأويل التزويل ، إعمال العقل في النقل ، وازدواجية الوصل الظاهر مع الفصل الباطن بين الحقيقتين عن تقية لا تقوى ... وفي فلسفة ابن رشد العلمانية التنويرية التي لعروبتها لا لإسلاميتها مهد بها الغرب لنهضته الأوروبية الحديثة ويراد استعمالها اليوم لأغراض سياسية إعلامية: هل هوية الفيلسوف عربية أم إسلامية ؟

وهل الفلسفة الإسلامية المشرقية بيانية
عرفانية كامتداد لعلم الكلام والمغربية
عقلية برهانية كامتداد للمنطق
والرياضيات ؟

وبينما انعقد بكلية دار العلوم في
الفترة من ٥ إلى ٦ إبريل ٩٧ المؤتمر
الدولي الثاني للفلسفة الإسلامية تحت
عنوان : الفلسفة الإسلامية وبناء الإنسان
المعاصر حيث تتخذ توصيات نبد
التعصب والانغلاق والدعوة إلى معرفة
(الآخر) والتحفظ على منجزات العلم
حين يصطدم بالمبادئ الأخلاقية ... ضمن
استراتيجية ثقافية تعمل على تنمية الحس
النقدي وترسيخ جذور الانتماء لدى
المواطنين مع الاهتمام بالتكوين الأخلاقي
للفرد باعتباره الدعامة الرئيسية في حركة
التنمية الشاملة ... " تنظم وزارة الثقافة
المصرية ندوة تحت عنوان ندوة ضد
الثقافة الإسلامية باستخدام مصطلحات
الظلام والظلامية والانغلاق والتعصب
والرجعية بدلا من الاسلام - ويتساءل
محرر جريدة الشعب (٢٠ مايو ١٩٩٧م)
كيف يتأتى لنا أن ندعو إلى دور

حضاري إسلامي لمصر في أفريقيا
والسلطات المصرية تحاصر الدعوة
الإسلامية والعمل السياسي للإسلاميين
والمفاهيم الحضارية الإسلامية في عقر
دارنا ؟ - هذا مع صورة مكبرة للدكتور
محمد السيد حبيب والدكتور الشيخ
السيد عسكر في قفص الاتهام : إن
الحكومة المصرية تضرب أفضل قوى
الأمة عندما تضرب الحركة الإسلامية ،
وبعنوان ضخمة بعرض الصفحة كلها :
المصالحة بين الحكم والإسلاميين ضرورة
لنهضة مصر وتطوير دورها الحضاري في
العالم الإسلامي .

وفي ندوة فكرية موسعة عقدت
بحزب العمل لمناقشة " حقيقة رسالة فيلم
المصير " يقول جمال البنا " إن أزمة
يوسف شاهين مخرج الفيلم تعود إلى
اغترابه الثقافي في تناول موضوع ابن
رشد مثلما فعل في فيلم المهاجر وأن علينا
لذلك الاحتراس منه : " فالعلمانيون الآن
يختزلون ابن رشد في المنظومة الفكرية
المادية " - كما قال عبد الوهاب
المسيري، " والمعاصرون ينهج بعضهم نهج

الاستشراق الالحادي الغربي في التشكيك في إسلامية ابن رشد " - على حد قول الدكتور حسن الشافعي " . وفي نفس الصفحة بجريدة الشعب عن الندوة (٢٤ أكتوبر ٩٧) " المسئولون بهيئة الكتاب يواصلون العبث بالقيم والعقيدة ، جريمة بحق العقيدة الإسلامية في إصدارات مهرجات القراءة للجميع " . أما في ندوة مركز ابن خلدون قبل ذلك بعام (٩/٣٠/٩٦) فيقول حاتم جمال الدين تحت عنوان : العلمانيون والإسلاميون ألعوبة في يد السلطة ، فهي تشجع هؤلاء على أولئك تارة وأولئك على هؤلاء تارة أخرى - بدليل موقف د. محمد سيد طنطاوي من قضية د. نصر أبو زيد حين قال وهو لا يزال مفتي الديار المصرية " إن كتابات نصر أبو زيد ليس بها ما يسيء ، ولكنه بعد توليه مشيخة الأزهر تبدل رأيه هذا إلى النقيض . ففي حالته وحالة زميله الدكتور حسن حنفي أحد أقطاب اليسار الإسلامي في مصر تظل المصايد منصوبة للإيقاع بهم في هذا الفخ ليخرجوا كاسبيين المعركة الإعلامية

وينخرطوا في معارك أخرى قضائية - ولو بنشر التقارير العلمية بضغط الحزب الوطني - مع خصومهم من التيار الإسلامي المتطرف .

ولنسترجع معاً عناوين صفحة الدين والحياة بجريدة العربي على مدى ثلاثة أسابيع الخامس والثاني عشر والتاسع عشر من مايو ١٩٩٧م - تؤيدها مقالة جريدة الأهالي بتاريخ ٧ مايو ١٩٩٧م - بعنوان مفاجأة : كاتب بيان تكفير حسن حنفي لم يقرأ كتبه ، من الذي يسمح لـ (جبهة العلماء) بخرق قانون الجمعيات ؟ بقلم عبد اللطيف وهبة الذي قدم لها بقوله : بعد إدانة د. فرج فودة وفيلم المهاجر ، مرة أخرى تخرج علينا مدافع جمعية "جبهة علماء الأزهر" إيذاناً ببدء عصر جديد من تكفير رموز المجتمع المصري الثقافية والمستنيرة . وبعد د. نصر حامد أبو زيد بدأت فصول نفس السيناريو ضد د. حسن حنفي أستاذ ورئيس قسم الفلسفة بجامعة القاهرة . وذلك من قبل أعضاء تلك الجمعية الذين خشوا المواجهة الفكرية

وآثروا المواجهة الظلامية - طبقاً لما ورد
من الأحداث التي صاحبت إقامة ندوة
عن الشيخ محمود شلتوت بكلية أصول
الدين بجامعة الأزهر ... حيث كانت
عناوين جريدة العربي بعد ذلك بأيام :
دراسة هامة يكتبها الدكتور عبد المعطي
بيومي : ليس دفاعاً عن حسن حنفي
لكن دفاعاً عن سماحة الإسلام : البعض
يمارس شهوة الاستعلاء على الناس باسم
الحرص على الإسلام ، من حسن حظ
الدكتور حنفي أن مهاجمه ليس في
مقدرته في فهم علم الكلام ، الآن
نستطيع القول أن الأزهر غزاه المتطرفون
وهذا شيء خطير ، وأحذر من كارثة
ستصيب الجميع إذا لم نظهر الأزهر من
التطرف . وكما أوردت صفحة الأهالي
ضمن مقالها : اتحاد الكتاب يقول : بيان
علماء الأزهر يهدد الاستقرار الاجتماعي
، يورد مقال العربي تعقيباً : علماء
الأزهر يطالبون وزيرة الشؤون الاجتماعية
بالتصدي لانحرافات "جبهة التكفير" -
كما يقرر سليمان شفيق بجريدة الأهالي
أن مصادر أزهريّة مطلعة أكدت أن

تكفير د. حسن حنفي من قبل الشيخ
يحيى إسماعيل حبلوش ترتبط بالصراع بين
جبهة علماء الأزهر من جهة ورئيس
جامعة الأزهر الدكتور أحمد عمر هاشم
وفضيلة شيخ الأزهر د. سيد طنطاوي
من جهة أخرى - حيث كانت قد
عقدت جلسة مصالحة بين الطرفين
بمكتب رئيس الجامعة في يناير الماضي
ولكن الخلاف تجدد بعد دعوة رئيس
الجامعة الدكتور حسن حنفي في الندوة
الشهيرة التي عقدت بمقر جامعة الأزهر
وحاولت جبهة كبار العلماء منعها .
وعلمت الأهالي أن الدكتور حسن حنفي
سوف يؤم طلبة الأزهر للصلاة قريباً بمقر
الجامعة - في إشارة منه لدحض تكفير
حبلوش - له ، وتأكيداً على أن الصراع
ليس بين اليسار واليمين ، بل بين
الأفندية والمعممين الإسلاميين .

وكانت عناوين صفحة الدين والحياة
بجريدة العربي في الخامس من مايو بالبنط
العريض والصور الفوتوغرافية : عملية
تكفير الدكتور حسن حنفي : عجزوا
عن مناقشته فاصدروا فتوى بخروجه من

الإسلام. جبهة علماء الأزهر تواصل
هوايتها في تكفير المثقفين بعد أن قتلت
فرج فودة وشردت نصر أبو زيد . عميد
أصول الدين يقول : أعضاء الجبهة
يمارسون الإرهاب علناً ومطلوب
التصدي لهم قبل خراب البلاد . رئيس
جامعة الأزهر : لا صلة لنا بهذه الجبهة .
السعدي فرهود : كنت رئيساً للجبهة
وأعلن براءتي من كل ممارساتها . وفي
نهاية الصفحة بيان مركز المساعدة
القانونية لحقوق الإنسان بعنوان " تكفير
الدكتور حسن حنفي بمثابة تحريض على
القتل " . وتستمر عناوين صفحة الدين
والحياة بجريدة العربي في العدد التالي ١٩/
٩٧/٥ " وملف جبهة التكفير على مكتب
وزير الشؤون الاجتماعية : " حتى لا
تتكرر المأساة .. الحل هو الحل . شيخ
الأزهر : لا أعرف شيئاً اسمه " جبهة
علماء الأزهر " ، ودور الأزهر لا ينتهي
عند الثانية ظهراً . لجنة الفتوى : ليس
من اختصاص هذه الجبهة إصدار
الفتاوى. وزير الأوقاف : إنهم يجعلون
أنفسهم أوصياء على الناس ويسئون

للإسلام . عضو سابق بالجبهة : لم أكن
أتصور أن يلعبوا دور محاكم التفتيش .
ولا تكاد تهدأ العاصفة الهوجاء حتى
تهب أكثر تخريباً ودماراً بإيضاح حثيات
الحكم ببراءة كتاب " رب الزمان "
(للدكتور سيد القمني) أن التعارض بين
وجهتي نظر التكفير الأزهري وكفالة
حرية الرأي والتعبير التي قررها الدستور
إلا بأن يناضل الطرفان لإتبات الأمر أو
نفيه وصولاً إلى وجه الحق .. بما لا يمثل
ضرراً عاماً يستوجب الحجر على حرية
المؤلف ... فقد " صدر في أوائل نوفمبر
الماضي كتاب تحت شعار : كتاب
بكتاب ورأي برأي - في أربعمئة صفحة
من القطع الكبير ، على صدر غلافه
شيطان بشع الصورة ، عنوانه الآيات
البيئات لما في أساطير القمني من الضلال
والخرافات ، بقلم الدكتور عمر عبد الله
كامل ، قراءة وتقديم الدكتور يحيى
إسماعيل أمين عام جبهة علماء الأزهر
الشريف ، إصدار مكتبة التراث
الإسلامي - كإعادة محاكمة تحت مظلة
الشرعية الدينية مع حثيات الإدانة

والقرار والحكم ... ليقول المؤلف أنه لن يقوم بالرد على ما جاء به من " فتوى القتل وفلسفة التزوير " - وهو عنوان المقال في جريدة الأهالي ١٤ يناير ١٩٩٨) بل يعمد إلى كشف حجم المساحة المطاطية التي يتمتع بها ضمير التأسلم السياسي ومنهجه في المحاكمة ومدى شرف وسائله في الإدانة واتخاذ القرار بما أورده من مجموعة التهم التكفيرية ". وإلى جانب صورة غلاف كتاب " النبي إبراهيم التاريخ المجهول " للدكتور سيد القمني نقرأ عناوين صارخة بالنسبة للعريض : مناهج الأبواب فيما يحويه التكفير من خراب . المكفرون يرون التاريخ المصري كفرًا وإنجازاته أصنامًا . فقهاء الظلام أعداء القومية المصرية والعلم والتاريخ والعقل - مثلما الخطاب الديني " في الفصل الثاني منه عن التراث بين التأويل والتلوين كتعسف تفسير ، وكمشروع ليسار الإسلامي في مصر .

٤- تشويه مقدسات التراث وتجريح رموزنا الفكرية :

هكذا وصل الإيقاع برموز الإسلام الثلاثة : شيخ الأزهر الحالي الذي كان من قبل مفتيًا " يختلف عن شيخ الأزهر السابق د. جاد الحق على جاد الحق في شخصيته كمعلم بينما الآخر قاضي شرعي ملتزم " - وبين مفتي جمهورية مصر العربية د. نصر فريد واصل (قبل وبعد ولايته) والدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر - الممثلين للمؤسسات الإسلامية الدينية في مصر) التي انتهت بعد دفاع مرير يوميا وفي كل المناسبات وبشتى وسائل الإعلام إلى إصدار بيان للناس (٩٨/٢/١٥) تعلن فيه اعتزازها بقبول النصح من كل ذي رأي أو قلم شريف وتحذر أصحاب الأقلام الصفراء من ممارسة الإفك وافتراء الأكاذيب والولوغ في الفحش بالطعن في الأعراض واقتحام حرمات الحرمات الأسرية والشخصية ... بما يترتب عليها من الفتنة وحدوث ما لا يحمد عقباه دفاعًا عن الشرف والعرض ... وتضع الأمر كله بين يدي القضاء المصري العادل الذي يملك وحده أن يردع

(الباحثين عن الشهرة) من المنحرفين برسالة الصحافة المصرية عن دورها الكبير في خدمة الحق والحقيقة الذين يستغلون حرية الصحافة لتجريح الشرفاء ويوظفون حرية الكلمة لخدمة أهوائهم المشبوهة .. الإيقاع بين هذه الرموز المثلة للأزهر (مشيخة وجامعة) ودار الإفتاء ووزارة الأوقاف والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ومجمع البحوث الإسلامية من جهة ... وبين علماء الأزهر الذين برزت منهم " جبهة علماء " اختلفت مع الشيخ من قبل في تغيير فتواه وهو مفتي بما صدر عن مجمع البحوث الإسلامية ١٩٦٦ من أن المعاملات البنكية معاملات ربوية ، وكذلك في قضايا الختان ونقل الأعضاء وتكفير د. حسن حنفي (الذي أشرنا إليه) ... وأخيراً معارضة استقبال السفير الإسرائيلي الذي (رفض الفنانون والفنانات استقباله واستقبله مع الأسف شيخ الأزهر (دكتور يحيى إسماعيل ، الدستور ١٠/١٢/٩٧) - بدعوى أنه لا حق له أن يتسامح في دين الله ، وأن ينحاز للحكومة بحكم

تعيينه في منصبه بدل انتخابه - بخلافًا لسياسة الأنبا شنودة المتمسك بموقفه من التطبيع ورفضه بغير موارد الذهاب إلى فلسطين ، ولفتوى الشيخ محمد عlish مفتي المالكية بالديار المصرية (ردًا على سؤال المجاهد الكبير الأمير عبد القادر الجزائري) علماء مصر حول موقف أحد سلاطين المغرب الذي قدم العون والغذاء للفرنسيين المحتلين للجزائر ... أن ذلك حرام قطعًا بإجماع ضرورة - التي يرجو حازم غراب (الشعب ٢٢/١٠/٩٦) من التذكير بها أن لا يعلق شيخ الأزهر فتواه فيما يسمى " المؤتمر الاقتصادي " المعروف أنه حرص أمريكي على تعايش المصريين والعرب مع دولة الصهاينة اقتصاديًا واجتماعيًا وسياسيًا ونفسيا على إرادة أهل الحكم والقرار . وواضح أن ما يقصده بيان ممثلي المؤسسات الإسلامية بالأقلام الصغراء المنحرفين من الكتاب بحرية الصحافة وحرية الكلمة إلى تجريح العلماء الشرفاء لخدمة أغراضهم المشبوهة .

فمع أن وسائل الإعلام المرئية والمسموعة لم تسلم من النقد اللاذع لبرامجها الثقافية (فضلاً عن الترفيهية والفنية) التي تهدد هويتنا العربية والإسلامية باختراقها في عقر دارها (على حين وقفت فرنسا ضد إتمام اتفاقية الجات لخوفها على ثقافتها من غزو الثقافة الأمريكية). فالدكتور محي الدين عبد الحليم رئيس قسم الصحافة والإعلام بجامعة الأزهر يؤكد أنها كثيراً ما تفتقر إلى التخطيط العلمي والكوادر المبدعة - مما أدى إلى الاعتماد بشكل مكثف على البرامج الأجنبية التي تحمل من المفاهيم والمعاني ما قد يؤثر بالسلب على عقل المستلقي ووجدانه . أما " الكابتن غزالي " فهو يعلن تشاؤمه من وضع استراتيجية صحيحة للإعلام المصري . " فطوال الأربعة والعشرين عاماً الماضية سيطرت برامج شوهت الشخصية المصرية ، والآن والوطن في خطر حقيقي ألا يمكن تصحيح هذا الوضع قبل فوات الأوان ؟ (أخبار الأدب ١٤ ديسمبر ٩٧) : أية ثقافة وأي إعلام ؟ مؤتمر أدباء الأقاليم

"مكلمة " عادية جداً وفرصة للقاء الأصدقاء - برامجنا الثقافية مهمة ، وهويتنا مهددة بالاختراق .

وفي لقاء الوزير : التفاصيل تطغى على قضايا الثقافة الحقيقية ، الأدباء يقولون : المحور عن الثقافة ، والإعلام الذي تجاهلنا - الحوار أو انقراض المثقفين، النقاد : ما المسروق بأفضل من السارق . - هذا فضلاً عن اتهام فاروق جويده للتلفزيون بامتهان التاريخ قائلاً : كيف تسمح الدولة من خلال أخطر أجهزتها الإعلامية بأن تقدم صورة مزيفة عن أحداث تاريخية لا أساس لها من الصحة ؟ لقد كانت خطايا التلفزيون في حق التاريخ صارخة للغاية على موائد الشهر الكريم هذا العام ، وهي تحمل دلالات خطيرة جداً في أكثر أجهزتنا الإعلامية انتشاراً وتأثيراً . نحن لا ننكر قيمة التاريخ لأنه ذاكرة الأمة ، ولكن هناك فرقاً بين أن يكون التاريخ درسا وأن يكون التاريخ ملهى ليلياً أو قصص حب ساذجة . مثال ذلك : تحبث ثوار يوليو في سراديب القصور الملكية

يطاردون الأميرات (على شاشات التلفزيون) ، برنامج كوميدى يسخر من صلاح الدين الأيوبي ويجعل منه مدرباً كروياً في فريق المقاولون العرب، ومن فتح القدس مباراة كروية ساخرة وسخيفة تهزأ من حوار البطل العظيم مع أعدائه (الأهرام ٩٨/٢/١).

لكن الشكوى المريعة في بيان ممثلي المؤسسات الدينية الإسلامية - وفي خطاب الأستاذ أنيس منصور للسيد الرئيس بعاموده اليومي في جريدة الأهرام بنفس اليوم - هي من حملة الأقلام الصفراء الذين يترلقون إلى ممارسة الإفك ، وافتراء الأكاذيب ، والولوج في الفحش بالطعن في الأعراض واقتحام حمى الحرمات الشخصية والأسرية ... التي رفع بشأنها الرجل الفاضل العالم الكبير وزير الأوقاف دعوى ضد ما نشرته جريدة النبأ - ففي مناظرة عقدتها جريدة الدستور تحت شعار (منصور يا دستور) بين الدكتور سيد البحراوي أستاذ النقد الأدبي بقسم اللغة العربية كلية آداب جامعة القاهرة والدكتور محمود الربيعي

أستاذ الأدب العربي المقارن بالجامعة الأمريكية قال الأول - في كلمات صريحة ومخيفة عن الدستور الصحيفة والصحفيين: الدستور سعت إلى جذب الجمهور فانسأقت وراء " الجمهور عايز كده " ، والرغبة في تحطيم المحرمات تتم بخفة وطميش . قارئكم لا يهتم إلا بالإفسيات والجنس وأخبار الحفلات ، الدستور تستخدم لغة الحرفيين وسكان حواشي المدن ... بينما قال الثاني: الدستور نجحت في جذب القارئ لكل صفحة فيها . جريدة كانت ضرورية لكسر الأحادية والركود السائد ولا يمكن التخلي عنها . شعبنا من الموافقة ثم الموافقة - أحياناً باسم الاستقرار وأحياناً باسم الأخوة . سألني أحدهم : همه بيعجبوا الكلام ده كله في أسبوع منين ؟ وبالفعل فإن عناوين صفحات جريدة الدستور ٧ إلى ١٠ بتاريخ ٩٧/١٢/١٠ كانت كالتالي : تحت عنوان كتاب السلطة / السلطة والكتاب : هيكل سكن عقل عبد الناصر وأسكن السادات عرش مصر . قال له السادات : الناس لن

يظلموا يقرأون لكاتب واحد فرد عليه :
أنيس ذلك أفضل من أن يكتب كل
الكتاب لقارئ واحد هو أنت ؟ إحسان
عبد القدوس : طريقة هيكل دائماً
الاستيلاء على الرأس الكبير في أي
مكان. ناصر الدين النشاشيبي : عبد
الناصر كان ينهي خطابه ويسأل هيكل
إيه رأيك فيرد هيكل : تمام يا فندم !
دكتور فؤاد زكريا : هيكل يقدم
للسادات وجهًا ساطعًا في ٧١ ووجهًا
مظلمًا في ٨٣ ويخدع القراء ويبرئ نفسه
دائمًا ! عبد الناصر : هيكل يسكن داخل
عقلي ويعرف ما أريد حتى لو لم أبح به.
أما عناوين منشئات " الدستور " عن
أنيس منصور كأحد كتاب السلطة فهي:
أنيس المجلس لسيادة الرئيس : جيهان
السادات قاومت نفوذه لأن دمه ثقيل ،
وأنيس كان يصطحب فايز حلاوة إلى
الرئيس لفرفشته . طفل فلسطيني قال
للسادات في القدس يا يهودي فشتمه
أنيس . السادات قال له : عبد الناصر
فضلك بسبب مقال (حمار الشيخ) وأنا
شايف إنك تستحق الشنق . وعن موسى

صبري تقول الجريدة : على طول الخط
رفع شعار : تمام يا فندم . السادات قال
عنه : الوحيد اللي فاهمني ثم أهانه على
شاشة التليفزيون وقال له : معلش أهني
جت فيك . اصطدم مع أستاذه مصطفى
أمين والحمامصي وعمل رقيبًا على
مقالاتهما من أجل السادات . النشاشيبي:
كان يميل إلى إرضاء زوجة الزعيم قبل
إرضاء الزعيم نفسه . وأخيرًا عن إبراهيم
سعدة ككاتب للسلطة تقول الدستور
بالبنط العريض : قطع السادات كل
الألسنة التي طالبت برقبته . طلب
السادات فصله مرتين ثم عينه رئيسًا
للتحرير أخبار اليوم نكايه في مصطفى
أمين واحسان عبد القدوس . طلب من
الرئيس مبارك حوارًا أو خبرًا لـ (مايو)
كل أسبوع ولم يلب الرئيس طلبه .
صلاح نصر طلب منه تقارير عن
الصهاينة ... وهيكل سأل : لماذا تهاجمني
وأنا لم أسيئ إليك ؟ ثم سمير رجب
عنوان واحد كبير : من القطار إلى صالة
كبار الزوار . ولا تقف اراجيف الدستور
عند المعاصرين من الكتاب وإنما تخوض

في أسرار الساسة : السابقون كيف يرون بعضهم : ففتح الله بركات يقول : لا أئتمن خالي سعد زغلول على فرخة ، وعبد الرحمن فهمي ضم فتح الله إلى الوفد لكي يمنعه من الحديث عن سعد زغلول بما لا يليق في مجالسه الخاصة ، وعدو الشعب (إسماعيل صدقي) يقول : كانت له أخطاء ، ومن الذي لا يخطئ ؟ عيوب سعد كانت كما يقول الفرنسيون عيوباً تلازم الصفات الكبيرة وقد أوقع بيننا الكثيرون ولم ينجحوا - إذ توفي سعد وهما أصدقاء بينهما كل حب وإعجاب . الجبرتي يتعاطف مع المماليك ويهاجم محمد علي ويسخر من أسرته ... فيدفع ابنه ثمناً لذلك، وتلك كانت الوسيلة الوحيدة التي نجح بها محمد علي في تكميم فم الجبرتي إلى الأبد ... وأخيراً عن خناقات كبار المؤرخين مع بعضهم البعض هل هي علاقات وئام أم صدام؟

ويضج عدد ١٤ يناير ٩٨ من الدستور أيضاً بعناوين الإثارة الصارخة . ففي صفحة ١٥ " صوت عالي وصدى أعلى " : لا يا شيخ الأزهر ... لا تُشبه

لقاءك بجاخام إسرائيل بلقاءات الرسول (ص) ليهود المدينة - غلطة وزير الثقافة التي وقع فيها زميله الياباني بعد نصف قرن: هل ستحتفل اليابان بقصف أمريكا لها كما نحتفل بغزو الفرنسيين ؟ بعد الصراع بين النجمة المعزلة شمس البارودي والمثلة الناشئة ريم البارودي .. نحن نفتح ملف عائلة البارودي ! مصيبة: رئيس جامعة القاهرة يهاجم أبناء العشوائيات ، فمن أين جاء زعماء مصر ومشاهيرها ... وهي مقالات بعث بها قراء جريدة الدستور الذين تشبعوا بطريقتها في التهويل والتشهير . أما صفحة ١٦ من نفس العدد بكاملها تحت عنوان : سطور ساخنة : فتخصص لكبير مفكري الإسلام السياسي الذي حل مؤخراً في جريدة الشعب مكان الشيخ محمد الغزالي - الذي عمره الآن ٦٧ سنة قضى منها عشر سنوات كاملة في صفوف الماركسية حيث كان قيادة بارزة في الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني (حدثو) ودخل السجن متهما بالشيوعية لست سنوات قبل أن يفرج عنه ويقذف

به نظام عبد الناصر إلى شاطئ الإسلامية
إذ يقول ردا على متهميه بالتحول
الفكري: إن المتحولين نوعان : الأول
ينكر ماضيه ويمحوه بأستيكه وأحيانا
يهيل عليه التراب ، والثاني يعتبرها مرحلة
قد مضت وحلقة فكرية من حلقات
تطوره العقلي لا ينكرها بل يعود إليها
بإصلاح ونقد ذاتي ، وربما اعتمد بعضها
منها ضمن مشروعه الفكري في مرحلة
ما بعد التحول. وأنه من النوع الثاني
هذا، فلم يحدث له تحول فكري بل تطور
(كما حدث للأشعري والشافعي وطه
حسين)، و"عندما رأيت ليلة القدر وأنا
يساري". فأشجع المتحولين فكريا
هيكل باشا ، وتحول طه حسين كان
سلبيا ، أما سلامة موسى فكان عميلا
حضاريا . اليسار كان يترك الناس
يلحدون بإرادتهم . نعم كنت قيادة في
(حدثو) وسجنت بتهمة الشيوعية لست
سنوات . محمود أمين العالم مؤهل ليكون
شيخ طريقة . د. رفعت السعيد يلبس
جلبابا أكبر من حجمه . د. حسن حنفي
أفرغ الإسلام من محتواه . العشماوي لا

يعرف الفرق بين الفطرة والفطيرة . ما
كتبه د. نصر أبو زيد يتناقض مع إعلانه
الإسلام . الشعراوي اجتذب لاعبي
الطاولة والدومينو من على المقاهي . لا
أتصور أن سيد قطب راض عن جماعات
العنف . والعنوان الرئيسي لهذه الآراء
الفاضحة بتلك " السطور الساخنة " :
قتل السادات أخر المصريين ولم يغير
النظام .

لكن الأعجب من هذا كله أن يلحق
بنفس العدد من الجريدة " مجلة خاصة
تصدر في شهر رمضان باسم (الراشدون)
"-عن الخليفة الثالث " عثمان ذو
النورين" - إليك عناوين أربع صفحاتها
الكبيرة : بدءا بما كتبه المفكر الكبير
حسين أحمد أمين عن ثالث الخلفاء
ورابع من استجاب لدعوة الإسلام :
عثمان : أتعبه عمر وأحبته قريش وأنقذ
الامة من اختلاف في القرآن - إلى
تساؤلات : هل كان عثمان بن عفان
حاكماً فاشلاً؟ ولماذا ثار المسلمون ضده؟
في عهده أقبل المسلمون على طيبات
الحياة الدنيا ، فارق كبير بين المعارضة

التي قادها أبو ذر الغفاري والتآمر على الدولة بقيادة يهودي ادعى الإسلام - صدق أو لا تصدق : ابن أبي بكر أحد المتهمين بقتل خليفة المسلمين . وفي أعلى الصفحة الأولى للمجلة : لماذا قاد ابن أبي بكر مؤامرة قتل عثمان ؟ الدور الخفي لمعاوية في قتل عثمان - أبو ذر زعيم المعارضة في عهد عثمان : هل كان اشتراكيا ؟ صورة بالحجم الطبيعي لسيدنا عثمان - المصريون ودورهم في قتل عثمان . وأسفل الصفحة - بعد تساؤل محمد عبد القدوس السابق - يأتي اتهام سيد خميس لعثمان بأنه - رغم سوابقه البيضاء في الإسلام التي لم تمنع من انفجار بدايات الفتنة الكبرى في عهده - لم يستمع لنصائح عمرو بن العاص بأن يقتدي بسلفه الفاروق عمر ، فالمليونيرات في عهد عثمان : جمال الدين الأفغاني والمسعودي وسيد قطب ومحمد عمارة يرسمون ملامح الغنى الفاحش في ذلك العصر (اكرم القصاص) ؛ ولبلال فضل : أبو ذر زعيم المعارضة في عهد عثمان لم يكن المعارض الوحيد ، بل

كان معه عمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود ، فهل كان اشتراكيا أم ضحية اليهود ؟ إن أحمد أمين يزعم أن أبا ذر كان منفذاً لأفكار اليهودي ابن سبأ ، لكن ابن سبأ لم يكن إلا وهما من الأوهام . حسن البنا تحدث عن اشتراكية أبي ذر ، لكن لجنة الفتوى طعنت فيه إرضاء للملك فاروق . الخلافات بين المسعودي وابن الأثير ومحمد عماره وسليم العوا حول ما إذا كان أبو ذر قد اختار منفاه أم نفاه عثمان . وعن مسؤولية ابن سيدنا أبي بكر عن حادث اغتيال عثمان ؛ يقول نزار يونس : لم يكونوا جماعة من التأثيرين بل كانوا أشخاصاً معروفين ومحدددين ، وعن الدور الخفي لمعاوية بن أبي سفيان في قتل سيدنا عثمان : يقول بلال فضل أيضاً أنه "راح ضحية الأقارب العقارب " فلم يدرك خطورة دورهم ولا خطورة أهدافهم . فقميص عثمان كان وسيلة قريش للاستيلاء على السلطة ، وقتل عثمان كان أكثر فائدة لها من موته على فراشه . عثمان أخطأ عندما قرب مروان الذي

نفاه الرسول إلى الطائف . مروان هو
الذي زور كتاب عثمان المزعوم وهو
الذي كان المتآمر الأساسي على قتله -
وعلى الصفحة الرابعة في (مُخربشات)
تراث الأمة لعماد غازي : المصريون لعبوا
دورًا أساسيًا في اغتيال عثمان لهذه
الأسباب ، رغم أنه كان هناك أيضًا
مصريون متشيعون لعثمان ، الحزب
العثماني في مصر ساعد معاوية في
الاستيلاء عليها (أشرف أنس) ، قصة
ذات الصواري - أول طلعة بحرية (حمدي
عبد الرحيم)، وعما إذا كان ما حدث
لعثمان مشاغبة دهاء لم تجد من يكبحها
- كما قال العقاد: يقول حلمي النمنم :
إن تولية عثمان لعبد الله بن أبي السرح
كانت شؤمًا على المسلمين فقد ظلم
المصريين ففتح باب الفتنة وكانت
الكارثة عندما واجه مسلمو مصر عثمان
: إن كنت كاذبًا استحققت الخلع - أما
قراءة علاء الدين عرفات لرؤية طه
حسين لعثمان فهي أن " الفتنة الكبرى "
كانت ستقع لا محالة بعثمان أو
بغيره .

لا غرابة إذن - بعد هذا التشويه
لمقدسات التراث القومي والديني وتجريح
رموز الثقافة العربية الإسلامية - أن يسود
الشقاق والانقسام وجهتي النظر
المتطرفتين لكل ما يعرض للنقاش والحوار
من قضايا الثقافة والإعلام - فمع
تخصيص ملحق للأهرام عدد ١٩ نوفمبر
٩٧ عن " ملامح العالم في القرن الحادي
والعشرين " عناوين مقالاته الرئيسية على
ثماني صفحات " العالم مشدود بين
الكونية والقومية ، دنيا محمولة على
كابلات ، العالمية ثقافة من لا ثقافة له ،
لكن المحلية تقهر العالمية أحيانًا ، في أوروبا
صراع أفكار أم حرب أعراق ، أفريقيا
تسقط في هاوية التمزق ، النازية هل تجد
موطنًا قدم في روسيا ، الشيوعية في
شرق ووسط أوروبا تطارد اقتصاد السوق
الحرة ، أجراس الكنيسة المحافظة تفرع
بموجة جديدة من التطرف ، التطرف
الصهيوني خطر على إسرائيل أيضًا ...
وعموماً ليس هذا هو العالم الذي نتمناه
- ونحن نتطلع إلى " ثورة يابانية في مجال
العمل " ، وإلى " وظائف أكثر وأفضل "

... وفي غير وعي بما يتهدد الثقافة العربية في بلادها من نكسات " المحاكمة ثمناً للدفاع عن اللغة العربية في الجزائر " حيث مَثُلَ أمام محكمة الاستئناف في العاصمة الجزائرية رئيس جمعية الدفاع عن اللغة العربية الدكتور عثمان سعدي في دعوى كانت قد رفعتها ضده جمعية الأمازيغية المعبرة عن الثقافة البربرية لمقاله الذي تعرض فيه لنشاطات الأكاديمية البربرية في باريس ومحاولتها منع تعميم العربية ونشر اللغة البربرية بالحروف اللاتينية وتقسيم الشعب الجزائري على أساس لغوي (العربي ١٩ مايو ٩٧) ... أو لمحاولة إعادة " تترك الإسلام " في الاحتفال بالذكرى الستين لوفاة أتاتورك - الخامسة والسبعين لقيام الجمهورية التركية التي نشرت عنه يوم ١٧ نوفمبر جريدة "صباح" التركية الواسعة الانتشار بعنوان: آخر وصية لأتاتورك العباداة باللغة التركية - حيث في نادي طوزلا الروتاري تحدث المثقف التركي جمال قوطاي العلماني البالغ من العمر تسعين عاماً مذكراً بخطبة أتاتورك

(٤ فبراير ١٩٢٣) في جامع زاغانوس باشا بمدينة باليق أسير التي استمرت ساعة ونصف كأول إشارة منه لرغبته في تترك العباداة (الذي وضع مشروعه سنة ١٩٣٦م) ومطالباً الرئيس ديميريل بضرورة تحقيق هذه التوصية ... مما رد عليه الدكتور محمد حرب رئيس مركز بحوث العالم التركي بفشل تنفيذ أمر الأذان للصلاة بـ (طائري أولو دور) بدل الله أكبر ، وعودته إلى الرفع بالعربية عام ١٩٥٠م، وأن ترجمة معاني القرآن الكريم لا تجوز الصلاة بها ، كما لا يمكن أن يكون هناك قرآن تركي يتلى كما يتلى القرآن بلغته العربية ... كما يقول العالم الإسلامي الأستاذ الجامعي خير الدين كرماني في مقاله بجريدة الشفق الجديد (٢٣ فبراير ٩٧) .

وإذا كان المثقفون الأتراك مدركين أن عناصر وضباط الجيش التركي هم حماة الكمالية العلمانية التركية تنفيذاً لخطّة المنظر اليهودي العثماني للحركة القومية العلمانية التركية مائير كوهين في كتابه "الروح التركية" الذي يجردها فيه

من كلا القومية العربية والدين الإسلامي بادعائه أن " مبدأ العلمانية أحد الأعمدة الرئيسية في تركيا الجديدة ، وأنه يطابق كل المطابقة النظام السياسي والاجتماعي للأتراك القدماء قبل الإسلام - حين لم يجعلوا في أي وقت من الأوقات ولا في أي عهد من العهود أدنى أهمية للدين في حياتهم العامة . فالأتراك بالفطرة ليسوا في حاجة ماسة إلى الدين ، ولا كانوا مهتمين قط في أي عهد من عهودهم قبل إسلامهم أدنى اهتمام بالعقائد الدينية !!! فما بال المثقفين المصريين لا يدركون خطورة هدمهم للتراث العربي الإسلامي وهم يتناولون كل قضايا الثقافة التي تمس هويتهم الذاتية والقومية ويتحاملون على الذين يدافعون أكثر إيماناً منهم بتراثهم الحضاري التاريخي والإنساني من المستشرقين والمستعربين إلى حد اعتناق الإسلام عن اقتناع و يقين ؟ فجارودي الذي يحاكم بتهمة معاداة السامية لانتصاره لهم ودعوته لوحدة إسلامية بعيداً عن الاختيار السياسي أو المذهبي ووقف مفاوضات السلام المهزلة

والكفاح المسلح وسحب أموال العرب من أمريكا ... يُهرع البعض للدفاع عنه بينما يشكك آخرون في صدق إسلامه ونواياه وعقيدته، وكتاب أثينة السوداء الذي يرد اعتبار الحضارة المصرية بقوله إن الأوروبيين لصوص سرقوا حضارة مصر القديمة لأنفسهم بالأدلة والبراهين التاريخية والأثرية القاطعة يعارضه بحدة مراد وهبة قائلاً إن المصريين القدماء عرفوا التطبيقات العملية لا النظريات العلمية في الرياضيات والعلوم - حتى الفراعنة لم يملكوا علوماً بل خرافات أسطورية وفكر ديني والتنويريون الأوروبيون هم الذين أقاموا عصر العقل وحققوا نهضة علمية . والدعوة للاحتفال بالذكرى التنويرية للحملة الفرنسية على مصر يقوم بالشجار حول ما إذا كان يُحتفل بغزو الفرنسيين بدهاء تاريخي أم بترودولاري في حملة ثورة يوليو لتحرير اليمن، وفي إعادة قراءة التراث : هل سرق ابن خلدون نظريات إخوان الصفا؟ وهل كل رموزنا الفكرية الأخرى منذ امرئ القيس شخصيات وهمية أم لصوص؟

٥- انعدام التكامل الثقافي على المستويين الفردي والاجتماعي :

لما كانت اللغة العربية - لغة القرآن وعقيدتنا الإسلامية - هي الثابت بين متغيرات الجنس والدين والأمان المشتركة التي تولد روح الأمة ونفسية الشعب بوحدة الفكر في القومية والوطنية والانتماء والولاء ومسئولية الجميع في الإيمان بالمصير المشترك - في مجالات الحياة الاجتماعية بمؤسسات العلم والتعليم والإعلام والثقافة التي تعمل على تكامل الهوية والثقافة للفرد والمجتمع - ولكل من هذه المؤسسات أجهزته وأدواته التي تعمل لجانها ومجالسها ومجامعها وجمعياتها على توحيد لغة العلم والتعليم والفكر والإعلام والثقافة الجماهيرية فيما يوجه كل منها من خطاب تربوي وسياسي علمي خلقي ديني واقتصادي وأدبي وإعلامي ... فإنه يحدث حين يتعذر على المؤسسة - في جو التنافس والتسابق الذي يؤدي إلى التفرق والتشتت وصراع الآراء لتداخل الاختصاصات وتعدد العوامل المؤدية إلى

الهدف المشترك ... أن تتصل من عدم نجاح مساعيها بإلقاء اللوم على غيرها لتشرکه معها في المسئولية - وفي أحسن الظروف ، ابتغاء التعاون والتواصل والتنسيق والاندماج - وربما الانفتاح عليه وغزوه في عقر داره لتحمله المسئولية كاملة .

فإذا نظرنا لمؤسسات العلم والتعليم والتعلم والثقافة والإعلام وجدنا لمجمع اللغة العربية ومعاهد وكليات الجامعة والمجلس الأعلى للثقافة ، نفس اللجان والأقسام العلمية والأدبية التي تمارس كل منها اختصاصاتها الرسمية المحددة لها بقانون إنشائها وحكم لائحتها وأعضائها المنتخبين أو المعينين . وكثيراً ما يحدث أن يجمع عضو إحدى المؤسسات بين أستاذية الجامعة وعضوية المجمع اللغوي ولجنة الثقافة والإعلام - وربما عضوية المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، أو مجمع البحوث الإسلامية، أو أكاديمية البحث العلمي ... فيةثر ذلك على تفرغه لطبيعة العمل في كل جهة إن لم تؤد به إلى خلط المهام المكلف بها كل منها فهي

بمجرد تعريب العلوم وتيسيرها أم عملية تعليمها للأجيال أم التثقيف والتخاطب أم أسلمتها وتراثيتها وأجنبييتها ... مما يحبط عمل زملائه في الجهة الأخرى الذين يتطلعون إلى الفوز مثله بالجمع بين عضوية مجمع الخالدين والترشيح لعضوية البحوث الإسلامية أو جائزة الدولة التقديرية بالجلس الأعلى للثقافة أو أكاديمية البحث العلمي ، أو الصحافة والإعلام ... هذا في الوقت الذي يوجد به في كل تلك المؤسسات خبراء وعاملون لعشرات السنين لم تؤد بهم الترشيحات المتعاقبة في مواقعهم للفوز بتلك العضويات المرموقة التي يتطلع إليها ويفوز بها الساعون لنيلها من خارج المؤسسة ؛ مما يساعدهم عليه ويؤيدهم فيه المنفتحون على الغير لتبادل المؤازرة والتعاضد في الجبهتين .

ولقد كان مجمع اللغة العربية في عهده الجديد هو الأكثر انفتاحاً على الجامعات والجمعيات العلمية والثقافية الأخرى وهو يتعدى مهمته في تنسيق وتوحيد تعريب مصطلحات العلوم

والفنون والآداب مع اتحاد المجامع اللغوية والعلمية التي يرأسها فيتوسع في ضم الجديد منها ويقبل للعمل تحت مظلة وفي رحابه مؤتمرات جمعيات خاصة كلسان العرب وجمعية تعريب العلوم ... بما يخشى معه أن لا تؤدي التعددية والخصوصية إلى التوحيد والاتفاق بدل التفرد والافتراق فيما لم تلتزم به مجامع شقيقة عضو بالجمع الأم في المشرق والمغرب ولا تزال - كما في كتابة الأرقام بحروف عربية أصيلة ، والحاسوب بدل الحاسبات ... إلخ ، ويضطر المجمع إلى تبني الخلافات المحلية والاجتهادات الفردية والجهود الأهلية في استعمال اللغة الفصحى كلغة للتأليف والتعليم والإعلام بما يسبغ عليها من مشروعية - مثلما أن إنشاء اللجنة ثقافية تعقد ندوات مناقشة قضايا اللغة والأدب تنقل إلى ساحته الشماء خلافات العلماء والأدباء (الذين لا يرون أنفسهم أدنى من أن يكونوا أعضاء بالجمع) في طروحات مواقفهم المتميزة من هذه القضايا وهم يعرضونها على جمهور الحاضرين من أعضائه وعلى المعجيين

بآرائهم وتجديداتهم التي طالما استمعوا إليها في ندوات ثقافية أخرى خارج المجمع وهم إنما حضروا ليوجهوا الأسئلة والتعقيبات المؤيدة لها أو المعارضة في مقر المجمع اللغوي العتيد - للتصديق عليها وتوثيقها .

ويقيناً فإن انفتاح المجمع على الإعلام الصحفي خصوصاً الذي تعدى مجرد نشر توصيات مؤتمره السنوي (التي لا ضير في تكرارها في حدود اختصاصه) إلى استقبال الصحفيين والإدلاء لهم بأحاديث تبشر بعدم اقتصار المجمع على النهوض بمسئوليته عن تعريب العلوم وتيسير الانتفاع بها بل بالاتصال الشخصي بالمسؤولين عن التعليم والإعلام للأخذ بهذه التوصيات - مما عبر عنه الصحفي بعبارات اتهام لهؤلاء (بدفن) القرارات في وزارة التعليم ، وسحب المجلس الأعلى للثقافة البساط من المجمع للتعاون بدلاً منه منع وزارة التعليم ، وعدم صدور القرار السياسي بالتعريب الذي تؤيده الحكومة ... ورغم وصف الرئيس بـ (الشجاعة) التي يندر أن نجدها عند غيره،

وبـ (العنف) الذي أوقف به سير العمل بالمعجم الكبير رغم توافر الميزانية لبدأ العمل فيه بلجان جديدة ... فقد انعكس هذا الاتهام للآخرين اتهامات للمجمع في حجب العضوية عن الشخصيات التي يمكن أن تثريه، وعزوفه عن ترشيح المرأة، وأن العمل به لا زال (رهن المحسنيين) التمسك بالموروث والرغبة في الكسب السريع ، وتطويع تكنولوجيا المعلومات للغة العربية لإمكان بناء برامج الحاسبات المتنوعة ومكتباتها ومخازن معلوماتها ... وعموماً (محاكمته) والدعوة إلى إحداث (ثورة) على رجاله وإجراءات اختيار أعضائه وبطء سير العمل به ... وتحمله المسؤولية أولاً وأخيراً عن أزمة الهوية الثقافية التي نعيشها بسبب جمود اللغة وعزلتها عن الحياة ... الأمر الذي تزل بالمجمع من علياء سمائه في برجه العاجي إلى معترك الحياة الثقافية التي تموج بالاتهامات بل المهاترات لأغراض شخصية وكما تدين تدان، والبادي أظلم. وليس خافياً أن جهود المجلس الأعلى للثقافة التي لا تكل ولا تمل من الحوار

بالندوات والمؤتمرات (التي تعقد يوميا بل
العديد منها في اليوم الواحد بأكثر من
مكان) إنما تهدف إلى عبور الهوة بين
الأصالة والمعاصرة ، التراثية والكمبيوترية
... للوصول من: التقاء الثقافتين إلى ثقافة
واحدة قبل أن تسد هذه الفجوة إجباريا
المحلية الخصوصية داخل المعلوماتية
الكوكبية . لكنها وهي في سباقها مع
الزمن لتحقيق تلك الغاية تصطدم بعراقيل
التطرف والإرهاب الفكري الذي يسود
مؤسسات المجتمع المدني الأسرية والتربوية
والدينية والسياسية والاقتصادية
والسياحية- مما تواجهه الدولة (إلى
جانب الإجراءات الأمنية) بحشد جهود
هذه المؤسسات المدنية للتصدي لهؤلاء
المتطرفين الذين يضرون بأرواحهم
وأرزاقهم . ولا تقتصر مواجهات
أصحاب الرأي والرأي الآخر على من
هو أهل لقرع الحجة بالحجة في جو من
حرية التعبير عن وجهة النظر ، بل
يتطوع من ليس أهلا أو غير ذي صفة أو
مصلحة في رفع دعاوى إن لم يكن بالردة
للمطالبة بتطليق الزوجة .. فإلى الحد

الذي دفع بالدولة إلى تقنين دعاوى
الحسبة . ولعل أول محاكمة منذ سقراط
الإغريقي لأستاذ فلسفة كانت يوم ١٥/
٩٥/٥ حين مثل الدكتور عاطف العراقي
أمام محكمة (جنايات) المنصورة بتهمة
تأويل بعض الأحاديث النبوية التي رفعها
عليه قبل ثلاثة أشهر من المحاكمة أحد
المحامين بالسنبلاوين استنادا إلى ما نشرته
مجلة اللواء الإسلامي على مدى أربعة
أسابيع وصدور الحكم بالبراءة في نفس
الجلسة . وكما كان النشر الصحفي هو
المحرض على رفع دعاوى الاتهام ، فإنه
هو أيضا ناشر الكسب الإعلامي بالبراءة
... على أن يترك للفرقاء (الأهل) في
التخصص التقاضي حول خصوماتهم
الفكرية .

فلا سبيل إذن أمام المجلس الأعلى
للثقافة ، للتعجيل بتهيئة بلادنا لدخول
عالم الكوكبية المعلوماتية الجديدة ، غير
مواصلة عقد ندوات حوارات المثقفين
فيما بينهم ، ابتغاء تحقيق التكامل الثقافي
على مستوى المجتمع العام - على غرار
ما حدث في ندوتين عقدهما في رحابه

خلال شهر فبراير الجاري ، في ذكرى رحيل اثنين من كبار الشخصيات التي تحقق لها التكامل الثقافي كنموذج - الأولى للعالم المنطقي الطبيب الأديب الموسيقي الإنسان دكتور أبو شادي الروبي - وقد طبق عليه نموذج في التكامل الثقافي مهندس البرجة الرائع الدكتور نبيل علي ، والثانية لفيلسوف الوضعية المنطقية العقلاني الوجداني التنويري المحدد للعقل العربي وأستاذ فلاسفة ومفكري الجيل الدكتور زكي نجيب محمود - وقد ختمت أنا المناقشة حوله بتطبيق نموذج التكامل الثقافي هذا على شخصيته المبدعة الخلاقة .

وخلاصة نموذج تحقيق التكامل الثقافي على مستوى الفرد (الميكرو) أن يدخل في مفهوم التكامل عمومًا مفاهيم أساسية هي : التوازن والاندماج وتعدد الأبعاد والتناسق والتمحور والتواصل والفاعلية ، وأن يعمل التكامل الثقافي في عصر المعلومات على سد الفجوة بين الثقافتين اللغوية والكمبيوترية ، بين تكنولوجيا المعلومات والإنسانيات ،

وتوظيف المعرفة لا الطنطنة بها بحيث تكون المعرفة ممارسة عملية وفعلا لا قولاً ، وأن تتخذ الثقافة كمحرك أول للتغير المجتمعي بحيث يجيء التكامل الثقافي على مستوى المجتمع العام (الماكرو) حصيلة تكامل الخطابات : العلمي ، التربوي الأدبي ، السياسي ، الإعلامي ، الاقتصادي ، الديني ... وتصارعها ، ربط التعلم بتظيرة التعليم الكمبيوترية (كما في الهندسة الوراثية وتعليم الخلايا السرطانية أن لا تنتشر) وبتظيرة التعلم الذاتي لبياجيه وتوظيف الذكاء الاصطناعي في التنبؤ ورسم سيناريوهات حل المشاكل الآنية والمستقبلية . وفي التعامل مع ظواهر فرط المعلومات وضخامة المعلوم وتعدد الثقافات لا غنى عن مداومة الثقاف لتنمية القدرة على الثقف وتنوع القدرات الذهنية للمثقف : بتوسيع ذاكرته لا لمعلومات بل لمفاهيم . وحيث تكنولوجيا المعلومات تعطينا العديد من الحلول يتدرب المثقف على عدم التطبيق الصارم للقواعد ، واستخدام الأساليب غير القاطعة ، والتواصل

والتعاون مع الآخر (الذكي) . وللصمود
إزاء الشغف في الحياة اليومية الحديثة
بسبب تداخل العلوم في كل موقف، لابد
من تكامل الخريطة الذهنية للفرد بين
الأدب والفن مع الزمان والمكان ونظام
الحكم والقيم واللغة - مهما يكن أن اللغة

أكثر قبولاً من غيرها للحوسبة - حيث لا
علم في المستقبل المنظور إلا إذا كان قابلاً
للتسجيل بالحاسبات ، ومهما يكن أن
تكامل تكنولوجيا المعلومات والإنسانيات
تسحق بُعدي المكان والزمان .

كمال دسوقي

عضو المجمع

رثاء العلامة محمود محمد شاكر

للأستاذ الدكتور عبد الله الطيب

جاء بنعي ثم عزاني
نيران حزن شهبها نعيه
مازلت مذمات أخي دمعي
أبكي لأحبابي وأبكي قرا
أبكي بأشعاري وشجوي كما
ولدت بالصبر ، وذو الصبر قد
يأتيت بالأحبار من لم تزو
وقد نعي المديح شيخا ولا
نعي أيا فهر وزلفي وقد
يزوره الطلاب في منزل
مأوى الولي الألباب في داره لل
روا ثم فهر كم أعانت علي الـ
أذكر لما جئته زائرا
كان كتاب منه قد جاءني
بوجهه أشرق في منزل
سجية من حسبي لم يشب
قلت لنساعيه ألا قد نعي
لم يتحلحل حينما حلحل الـ

لم يدرككم أشعل نيران
يا صاح ما أعظم أحزاني
تسعدني أبكي لإخواني
باتي وأخيداني وأقبراني
أبكي بدمع لي هتان
يشفي بتفويض وإذعان
ذه محب لك أو شالي
شبه له من أنس أو جنان^(١)
نعلمه من خير إنسان
رجب بنور العلم مـزدان
جود وفيها زاد أذهان
برهما في البر صنوان
صاحب درديري وحياني^(٢)
مدح سـفرا لي فأرضاني
بالبشر فيه قد تلقاني
ها بريناء أو يادهان
طودا ركيئا مثل ثيلان
كون يولم يخضع لطغيان

(*) أقيمت هذه القصيدة في الجلسة السابعة يوم السبت ١٥ من ذي القعدة سنة ١٤١٨ هـ الموافق ١٤ من مارس

(أذار) سنة ١٩٩٨ م.

(١) الأستاذ الدكتور ديري أحمد إسماعيل رحمه الله كان سفير السودان بمصر حينما ومن قبل كان وكيلًا لوزارة شؤون
السودان بمصر. كان قاتونا فاضلا من أوائل من تعلموا العلوم الجامعية من أبناء السودان ، درس بجامعة أيدز في
بيرمبلا في بعثة للأعير عمر بطوسون رحمه الله.

عَزِيزُ نَفْسٍ ذُو حِفَاطٍ وَذُو
أَبْنَوْهُ قَدْ كَانَ أَمْرًا عَالِمًا
أَسَّسَ فِينَا مَعْهَدًا خَيْرَ تَأْ
أَقَامَ فِي الْخُرطومِ كَلِيَّةً
بِحَجَرِ الرَّمْلِ بَنَوُهَا وَالْأ
فِي بَلَدٍ لَمْ يَبْنِ فِي أَرْضِهِ
سِوَى الطَّرَائِيلِ الَّتِي قَرَّبَ شَنْدَ
وَمَرْخٍ وَادٍ ثُمَّ آثَارَ صَهْدِ
قِيلَ لَنَا شَيْدَهَا مَعِشَرُ
وغير قُبَاتِ بِنَاهَا لِأَشْ
قَدْ أَعْتَقَ الْإِسْلَامَ أَعْنَاقَنَا
وَجَاءَنَا صُوفِيَّةٌ مَكْنُوءَا
وَقَدْ بَنَى شَيْخُ بَنِي شَاكِرٍ
أَعَدَّ لِلْقَاضِي فِيْقْضِي بِهَا
وَالْعِلْمُ فِي آلِ بَنِي شَاكِرٍ
هُمْ شَبْرَفَاءُ وَحُسَيْنِيَّةٌ
مُحَدِّثُونَ بِأَسَاسَانِيْدِهِمْ
وَقَدْ تَلَاهَا رُونَ قُرْأَةً
ثُمَّ الْمِرَاغِيُّ وَمَنْ بَعْدَهُ
وَالشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ مُذْ جَاءَنَا
سَمِيَّ جَارَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِهِمْ

صَدْرٍ لَكَنْزِ الْعِلْمِ خَزَانِ
بِمَصْرٍ مَعْرُوفًا وَسُودَانِ
سَيِّسٍ عَلَى مَذْهَبِ نُعْمَانِ
كَأَنَّهَا صَرْخُ سُكُلَيْمَانِ
جُرٌّ وَبِالْجَصِّ وَصَوَّانِ
مِنْ قَبْلُ غَيْرِ الطَّيْنِ مِنْ بَانِي
دَى فِي تِلَالٍ بَيْنَ كُثْبَانِ
رَاحِدِيْدٍ عِنْدَ حِزَّانِ (١)
كَانُوا هُنَا غَابِرَ أَرْمَانِ
يَاخٍ لَهُمْ أَصْنَافُ حَسِيرَانِ
مِنْ أَسْرَآوْثَانِ وَرَهْبَانِ
دِيْنِ بِيْءَانِ وَإِحْسَانِ
مَحْمَدٌ أَمْتَنَ بُنْيَانِ (*)
لَائِحَةُ أَعْدَلِ مِيْزَانِ
قَامَ عَلَى أَثْبَتِ أَرْكَانِ
مِثْلُهُمْ لَمْ تَرَّ عَيْنَانِ
وَرَأْسِيْخُو تَأْوِيلِ قُرْآنِ
شَيْخَانِ فِي الظُّلْمَةِ بَحْمَانِ
قَضَاءُ شَرْعٍ أَهْلُ عَرِفَانِ
مَا فَضَّلَهُ دَهْرِيْ أُنْسَانِي
عَالِمُ وَادِي النِّيلِ ذُو الشَّانِ

(١) المرخ هو الشجرة التي يستخرج منها النار ، وكان للمرويين معامل بناحية جبال المحمة وغيرها لصهر الحديد .

* هو والد الشيخ محمود محمد شاكر كان أول قاض للقضاء بالسودان وأسس قسم القضاء الشرعي بالكلية ووضع لائحة القضاء على المشهور من مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه .

بقيّة من سَلَفٍ صَالِحٍ
 أنفاس جَارِ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ
 مُذَاكَشَرٌ حَبْرٌ أَخُو خَبْرَةٍ
 أَتْبَعَ تَفْسِيرَ أَبِي جَعْفَرٍ
 لَوْ أَنَّهُ أَكْمَلَهُ لَا كُتِفَى
 يَنْمِي الْأَحَادِيثَ إِلَى أَصْلِهَا
 يَرْجِعُ بِالشَّعْرِ إِلَى مَنْ رَوَا
 وَكَانَ بَحَاثًا بَعِيدَ الْمَدَى
 مُشْتَمِلِ النَّفْسِ عَلَى قُوَّةٍ
 ذُو أَسْهَمٍ مِثْلَ أَخِي الْخَضِيرِ
 وَشَهْبٍ يَقْذِفُهَا عَنْ سَمَا
 فَسَأَلَ اللَّهُ لَهُ مَنْزِلَ الرَّ
 يُجْزَى جَزَاءَ الضَّعْفِ عَنْ حُسْنِ
 وَبَرَكَاتٍ فِي ذَوِيهِ مَعَ الْأَجَا
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا حَبَا
 ثُمَّ صَلَاةٌ لِنَبِيِّ الْهُدَى الْمَخْ
 تُتْلَى بِتَسْلِيمٍ عَلَى آلِهِ

لَمْ يَكُ فِي الدِّينِ بَوَهْتَانِ
 بِالنَّفْسِ السَّاحِنِ تَغْشَانِي
 فَرْدًا بِمَا لَيْسَ لَهُ ثَانِي
 تَعْلِيْقَ تَحْقِيقِي وَإِتْقَانِ
 بِهِ إِذْنٌ عَنْ غَيْرِهِ الْغَانِي
 عِنْدَ مَدِينِي وَشَيْيَانِي^(٥)
 هَ بَيْنَ قَيْسِي وَقَحْطَانِي
 صَاحِبَ تَنْظِيرٍ وَبُرْهَانِ
 كَأَنَّهَا ثَوْرَةٌ بُرْكَانِ
 يَرْمِيهِنَّ عَنْ كِبْدَاءِ مِرْنَانِ^(٦)
 وَالْحَقُّ تُرْدِي كُلَّ شَيْطَانِ
 رَوْضَاتٍ فِي جَنَاتِ رِضْوَانِ
 نِ مَا أَسْدَى بَعْفُو وَبَغْفَرَانِ
 رَ الَّذِي مِنْ غَيْرِ نُقْصَانِ
 نَا نِعْمًا كَيْلًا بِرُجْحَانِ
 تَارٍ مِنْ صَفْوَةِ عِدْنَانِ
 وَالصَّحْبِ مَا كَرَّ الْجَدِيدَانِ
 عَبْدُ اللَّهِ الطَّيِّبِ

عضو المجمع من السودان

(١) إشارة إلى علي بن المديني وأحمد بن حنبل الإمام رضي الله عنهما .

(٢) أخو الخضر هو عامر الخضري الرامي يقول فيه الشماخ :

قليل التلاد غير قوس وأسهم

وفيه الزانية التي للشماخ وعلق عليها الشيخ محمود رحمه الله بقوسه . العذراء والكبداء القوس . والمرنان التي لها رنة حين الرمي عنها .

من قضايا اللغة العربية

العربية ومشاكلها في مجال المصطلحات العلمية

(مناقشة حال هذه المصطلحات بين التعريب والوضع)

للأستاذ أحمد شفيق الخطيب

بسم الله الرحمن الرحيم

سيادة أستاذنا الموقر الدكتور شوقي
ضيف رئيس الجمع .

السيدات والسادة والعلماء الأكارم :
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
تمهيد :

كتب شيخُ العربية الحديثة أحمد
فارس الشدياق في تقديمه للطبعة الأولى
من لسان العرب أواخر القرن التاسع عشر
يقول:

"وبعدُ ، لقد اتفقت آراء الأمم ،
العرب منهم والعجم ، الذين مارسوا
اللغات ودروا ما فيها من الفنون والحكم
وأساليب التعبير عن كل معنى يجري على
اللسان والقلم ، على أن لغة العرب
أوسعها وأسنعها ، وأخلصها وأنصعها ،
وأشرفها وأفضلها ، وأصلها وأكملها .

وذلك لغزارة موادها واطراد اشتقاقها

وسرادة جُودها واتحاد انتساقها ... مما لا
تجد له في غيرها من لغات العجم شبيهاً .
وكتب أُسقفُ قُرطُبة، أكبر مدن

أوروبا في القرن العاشر ، يقول: " إن اللغة
العربية قد فتننا بعذوبة ألفاظها وبلاغة
إنشائها حتى لا نكاد نجد فينا من يقرأ

الكتب المقدسة باللاتينية . وشبابنا
الأذكياء جميعاً لا يعرفون غير لغة العرب
وآدابهم ؛ وكلما قرأوا كتبها ودرسوا
آدابها ازدادوا إعجاباً بها . فإذا حَدَّثْتَهُمْ

عن كتاب من الكتب اللاتينية سخرُوا منه
وقالوا إن الفائدة منه لا تساوي التعب في
قراءته . وهكذا نسي المسيحيون لغتهم
وجهلوا كتابتهم وبلاغتها وحذقوا اللسان
العربي - حتى ليكتسبونه نثراً ونظماً
بأسلوب أنيق يفوقون به العرب أحياناً .

وفي إشارة إلى هذه الفترة من ازدهار
الحضارة العربية واللغة العربية تقول

(*) أُنقِبت هذه المحاضرة في الجلسة الثامنة يوم السبت ١٥ من ذي القعدة سنة ١٤١٨هـ الموافق ١٤ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٨م.

الكاتبة زيفريد هونكه في كتابها "شمس العرب تسطع على الغرب" : "لقد أضحت العربية لغة العلماء بل لغة الشعوب التي دخلها الإسلام ، وكانت لغة العلم وحدها لا تنازعها تلك المكانة أي لغة أخرى . لقد استطاعت العربية استيعاب جميع العلوم التي بلغتها الحضارات التي سبقتها - مضيئة إليها علومها جديدة بمصطلحات ومفاهيم جديدة . وفيها كانت تؤلف الكتب ، وبها يتحدث العلماء ويديرون الحوارات في ما بينهم مهما اختلفت أصولهم ."

١- والأدلة على المكانة العلمية للغة العربية حينئذ لا تُعوزنا - فهناك مئات الألفاظ في الفلك والصيدلة والكيمياء والطب والفيزياء والجغرافية والرياضيات التي أخذتها اللغات العلمية والغربية عنها ؛ وكذلك المؤلفات التي ظلت تُدرّس في جامعات أوروبا طوال عدّة قرون .

ولست أقصد بهذه المقولات انفعالا عاطفيا يذكر بمقولة البيروني الفارسي الأصل "وإلى لسان العرب نقلت العلوم من أقطار العالم فازدانت وحلت في

الأفئدة ، وسرت محاسنها في الشرايين والأوردة ... إلى أن يقول " والهجو بالعربية أحب إلي من المدح بالفارسية " . فكل ما أريد أن ألفت إليه هو أن المشكلات التي تواجه العربية في مجال "اللغات العلمية" اليوم ليس سببها عجز اللغة العربية أو قصورا جوهريا في خصائصها . إنما العلة أو العلل ، في أهلها - في العرب العربانيين النزعة ، في استراتيجياتهم القبلية والإقليمية الضيقة وتجاهلهم منطق العلم والتاريخ ، وفي بيئة الجمود والاتكالية الغيبية ومختلف عوامل الوهن القومي والاجتماعي والسياسي الذي أخذ يطغى على الوطن العربي منذ أواخر العهد العباسي ومراحل الانحطاط التي أعقبته ، بخاصة بعد الاكتساح المغولي - مما عطل قوى الإبداع والمسار العلمي والأنشطة الرائعة التي كانت العربية أدائها كلها .

وزاد الطين بلة مجيء العثمانيين ليمسكوا سلطتهم وسياساتهم التتريكية والتجهيلية على الوطن العربي ويجعلوا التركية لغة الدواوين ودوائر الدولة

والمدارس - على نُدرتها وأساليبيها في تدريس كُلِّ المواد، حتى مادة اللغة العربية، بالتركية ، في كتب وضعت بالتركية ، وعلى يد معلمين أتراك غالبا . ولا تسل عن مناخ الجهل الدامس الذي راح يتزايد ويعم حتى شمل البلاد والعباد باستثناء بعض الأديرة والجوامع .

وُثِّقَ إحصاءاتُ اليونسكو أنه بسبب هذا الركود - حتى أوائل القرن العشرين - لم يدخل اللغة العربية سوى خمسين مصطلحاً .

الذين يلومون العربية ومصطلحاتها لعلمهم يتناسون أن اللغة إنما تعكس أوضاع الأمة وحيويتها وإنجازاتها وسلطانها - هكذا كان شأن اليونانية أيام الإغريق ، واللاتينية في عهد قيصر ، والعربية في زمن بني العباس ، والإنكليزية الأمريكية في أيامنا هذه .

العربية في بدايات عصر النهضة الحديثة:

مع بدايات عصر النهضة الحديثة أوائل القرن الماضي بخاصة ، انطلقت العربية تأخذ طريقها مجدداً إلى دنيا العلوم الحضارية نتيجة للتحويلات السياسية

والاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي أحدثتها الاحتكاكات بالغرب في مختلف المجالات . وقد بدأت تباشر هذه النهضة مشرقيا في موقعين كانا دوما أرضا خصبة للانبعاث والتطور - عنيت مصر ومنطقة شمالي سوريا ولبنان.

فإثر الحملة النابليونية الفرنسية التي فتحت الأعين ، بخاصة أعين الحكام ، على الحضارة الأوربية ، وما أن تسلم محمد علي مقاليد السلطة في مصر ، حتى عكف على نقل مدنية الغرب عن طريق البعثات والمعاهد والترجمات . وكان طبعياً أن تتخذ معاهد محمد علي القاهرية ، منذ تأسيسها عام ١٨٢٥م ، في الطب والهندسة والزراعة والعسكريات ، اللغة العربية وسيلة لها في تعليم المناهج على كل المستويات .

لقد جعل محمد علي الترجمة إحدى وسائله العملية لنقل علوم الغرب وحضارته ، فأسس قلم الترجمة عام ١٨٤١م ، وكان يفرض على المدرسين وتلاميذ البعثات أن يترجموا الكتب التي

تعين لهم وأن تكون ترجماتهم متقنة
وسليمة من الخطأ .

ومن المعالم المشهودة في هذه الفترة ما
تم بجهود كلية الطب في القاهرة التي
بدأت تدريس الطب بالعربية عام ١٨٢٦م.
فقد شعر ناظرها الدكتور بيرون
ومساعده ، بمسئولية الحاجة إلى ترجمة
معجم شامل في العلوم الطبية - فاستحضر
من باريس "قاموس القواميس الطبية "
لفابر ، في ثمانية مجلدات ، تشمل جميع
الاصطلاحات العلمية والفنية في الطب
والنبات والحيوان والعلوم الأخرى .

وقد تعاونت مدرسة الطب بكل
هيئاتها على ترجمة هذا القاموس إلى
العربية، فوزعه الدكتور بيرون على مهرة
المدرسين (بإشراف أستاذه في العربية محمد
عمر التونسي) لينجز كل منهم قسما
منه. ولم يكتف الدكتور بيرون بذلك ،
بل أراد أن يكون القاموس الجديد جامعا
أيضاً للألفاظ والمصطلحات الطبية القديمة.
فأتى بالقاموس المحيط للفيروزآبادي ،
ووزعه على أفراد الهيئة ، وأمر كلا منهم
أن يراجع الجزء الذي بيده ، وينتقي منه

كل لفظ دل على مرض أو عرض ، وكل
اسم نبات أو معدن أو حيوان .

ولم تكن جهود الرواد في الكلية
السورية الإنجيلية (الجامعة الأميركية في
بيروت لاحقاً) ، أواسط القرن الماضي ،
أقل شأنًا . فقد كانت مؤلفات
المستشرقين الأمريكيين ، من أمثال
كرنيليوس فانديك ويوحنا ورتبات
وجورج بوست ، بمعاونة أساتذتهم العرب
من أمثال بطرس البستاني واليازجيين
ناصر وأبراهيم ، ويوسف الأسير وأحمد
فارس الشدياق ، تغطي برامج الدراسة
في علوم الطب والفيزياء (الفلسفة الطبيعية
حينئذ) والكيمياء والصيدلة والرياضيات
والفلك وسواها بلغة عربية سليمة
ومستوى علمي راق قرابة ربع قرن (من
١٨٦٧ إلى ١٨٩٠) . فلم يكن يخطر
ببال رواد النهضة ، عرباً أو أجنبياً من
المخلصين ، التدريس بغير العربية - تطبيقاً
لمنطق علمي نفسي صحيح .

وقد كان يرجى للغة العربية في هذا
العهد أن تبلغ أعلى درجات الرقي لو أتيح
لها أن تكون ، وتستمر ، لسان حال

النهضة العلمية العصرية . لكن سياسات الغرب التي تعرفونها جيدا حاليا كما سالفاء، ما كانت تخطط لمثل هذا الانتعاش في مسيرة اللغة العربية وقد أخذت تستوعب أسباب الحضارة ومتطلباتها العلمية بنجاح في القاهرة وبيروت . فما أن ثبت الاجتياح البريطاني أقدامه في مصر حتى عرقل هذه المسيرة - أولا بتحويل التدريس في مدرسة الطب إلى اللغة الإنكليزية عام ١٨٨٧م (بعد سبعة عقود من الإنجازات الرائعة - ليس أمثلها اكتشاف جرثومة البلهارسيا ودورة حياتها ، وهو إنجاز لما تحقق مثله أي من جامعاتنا السبعين) . ثم أكمل البريطانيون إجهاض المسيرة تلك ثانيا ، بقرار عام ١٨٨٩م بأن تكون لغة التعليم في مختلف المعاهد المصرية اللغة الإنكليزية . فأغلقت مدرسة الألسن . ونفي رفاة الطهطاوي ومؤيدوه إلى السودان ، ووجهت البعثات إلى إنكلترا (بدل فرنسا وإيطاليا) .

وما هو إلا عام أو بضعه ، حتى حذا الأمريكيون في الكلية السورية الإنجيلية

حذو البريطانيين ، فتحول التدريس فيها ، أيضا من العربية إلى الإنكليزية .

وهكذا حُرمت اللغة العربية من فرصتها الذهبية ، وغُرِسَتْ بذور الشك والريبة في نفوس أبناء العربية بأعتهم - بأهم مقومات أصالتهم وحضارتهم . وفي يقين الكثيرين ، و يقيني ، أنه لو استمرت جهود معاهد العلوم الطبية والهندسية والزراعية وسواها في القاهرة ، لتضافر مع جهود العاملين في الكلية السورية الإنجيلية بمختلف فروعها ، معززة بجهود الميامين من رجال المعهد الطبي في دمشق الذين حولوا ، بنجاح مشهود ، لغة التدريس في ذلك المعهد من التركية إلى العربية عام ١٩١٩م - أقول ، لو تم لهذه الجهود أن تتضافر ، لكان حال العربية اليوم غير ما هو عليه ، ولكننا تجاوزنا منذ أجيال هذه الحلقة المفرغة التي مازلنا فيها نحوم وندور.

المشكلات التي تواجه العربية في مجال المصطلحات العلمية وتقلبها :

في رأيي هنالك مشكلة واحدة أساسية تنبع منها كل المشكلات التي

تواجه اللغى العلمية العربية اليوم - إن كانت من حيث المصطلحات وتواجدها وتقبلها ونشرها ، أو من حيث توافر المراجع العلمية العربية التي تعالج مختلف المفاهيم العلمية من كتب ودوريات ومراجع مُتجدِّدة ، أو من حيث ضعف اللغة العلمية العربية عند غالبية المتعلمين وعدد غير قليل من المعلمين . هذه المشكلة - المشكلة الأساس ، هي تعليم العلوم بغير العربية .

وإذا نحل هذه المشكلة ، نُحلُّ مُعظم تلك المشاكل ، إن لم يكن كلها تلقائيا . إنك لا تكاد تجد بين أمم العالم صغیرها وكبیرها أمة تقدم العلم لأبنائها بغير لغتهم سوى في عالمنا العربي المتعثر - فلا صعوبة كتابة اللغة اليابانية والصينية ، ولا صغر حجم بعض دول أوربا ، ولا فقر بعض دول آسيا ، ولا شُحُّ مصطلحات اللغة التركية ، ولا موت اللغة العبرية طوال عشرين قرنا ، حالت دون أن تكون اللغة القومية هتي لغةً تدريس العلوم في تلك البلاد .

في إحدى الندوات أخبرنا زميل زار شمال أوربا في جولة تربوية ، في فنلندا ، أنه في إحدى المدن ، وسكانها لا يتجاوزون الربع مليون ، ٩٣% منهم يتكلمون الفنلندية و٧% يتكلمون اللغة السويدية - وكلتاها لغة رسمية قومية هناك كليتات للطب - إحداهما تدرس باللغة السويدية والأخرى باللغة الفنلندية .

وأذكر أن المرحوم الدكتور حسنى سبوح في حديث له عن "عملية تترك التعليم - أسبابا ووسائل" ، قال:

إثر حملة تولاهما من سموا فيما بعد "الطلاب المجاهدين" وأيدتها الصحافة والرأي العام، استدعى رئيس الشورى العسكرية ، أسعد باشا ، ثلاثة من كبار هيئة التدريس الأجانب وسألهم : أيها أجدى وأعود بالنفع على الأمة - التدريس بلغة أجنبية أم بلغتنا القومية ؟ فكان جوابهم الصريح : التدريس بالتركية طبعاً أجدى - فكان التترك !

ويتابع الدكتور سبوح - وهو زار الكثير من المؤسسات التربوية ، بخاصة الطبية منها ، في تركيا - ليقول : أتدرون،

إن تترك الطب كان في الحقيقة شبه تعريب ، إذ إن حوالي ٩٠% من مصطلحاتهم كانت ألفاظاً عربية . وما دنا في مجال الحكايات فهذه حكاية معبرة أخيرة :

أوائل العشرينيات من هذا القرن افتتحت الجمعية اليهودية الألمانية " معهد التخنيكو " في حيفا ، وكانت أنشأته بأموال ألمانية ، وجهود من أعضائها وخبرائها الألمان . وارتأت الجمعية جعل الألمانية لغة التدريس في المعهد ، لأن العبرية ليست متطورة إلى القدر الذي يسمح باستعمالها في مجال تعليم العلوم والتكنولوجية . فقامت الدنيا هناك بموجات الاحتجاج وإضراب المعلمين والتلاميذ وبدعم من الصحافة والرأي العام - معتبرين ذلك إهانة قومية . واضطرت الجمعية إلى التراجع ؛ فكانت الدروس تترجم من الألمانية لتلقى على الطلاب بالعبرية . وأذكر أنه في الثمانينيات ، أي بعد حوالي نصف قرن من تأسيسه ، عقدت في هذا المعهد ندوة دولية في شؤون الذرة والنوويات ،

وكانت العبرية لغة الندوة الوحيدة . وبالمقابل فإن دساتير جامعاتنا في العالم العربي في غالبيتها العظمى تنص على أن لغة التدريس هي اللغة العربية - مع جواز استخدام لغة أجنبية في بعض المواد مؤقتاً إلى حين يتيسر تدريسها باللغة العربية . فكان الاستثناء أقوى من الدساتير!

اللغة العربية نالت اعتراف العالم منذ ١٩٧٣م ، وأصبحت لغة رسمية مع اللغات الخمس الكبرى في مؤسسات هيئة الأمم المتحدة كافة عام ١٩٨٢م ، لكن العالم العربي ، مع الأسف ، يتنكر للغة. المسؤولون في العالم العربي يُكثرون الحديث عن التنمية في هذه الأيام ، ويُركزون مشاريعها على النواحي المادية؛ وياليتهم لا يتناسون أن تنمية الإنسان العربي هي الأساس في عملية التنمية ، وأن لا تنمية دون تعريب التعليم ، تعريباً شاملاً في مختلف القطاعات - لا الجامعية والأكاديمية فقط ، بل الصناعية والتجارية والزراعية والحياتية عامة ؛ وإلا كيف يصلُ العلمُ إلى الفلاح والنجار والحداد

والسمكري وسائق السيارة وغيرهم من أفراد المجتمع ؟

كيف يصل العلم إلى هؤلاء إذا كانت كليات الزراعة والصيدلة والطب والصناعة والهندسة والكيمياء تخرج لهم من لا يستطيعون إيصال ما يتعلمونه إليهم؟

إن مستقبلنا العلمي والحضاري مرتبطان بقضية تعريب العلم والتعليم - فلا يُعقل أن نخوض مجالات العلم الحديث ونواكب تقاناته وننعم ماديا بمنجزاته ، وتسبى لغتنا غريبة عن أجواء العلم وديناميكيته وتقنياته وإبداعه . لقد آن أن تصبح اللغة العلمية العربية جزءا من حياتنا اليومية ، في المدرسة والبيت والمصنع ، وأن تغدو الثقافة العلمية جزءا من ثقافة الصانع والطالب والمعلم والصحافي والأديب وصاحب الاختصاص الفني .

٢- يدعون أنهم يُعلّمون بالإنكليزية حفاظًا على مستوى . لكن أي إنكليزية هي؟ لعل أدق ما قيل فيها هو ما جاء في مقال لأستاذنا الزميل الموقر الدكتور محمود مختار (في الجزء ٣٥ ص ١٧٨ من

مجلة المجمع) يقول فيه : "في الكليات العلمية اليوم لغة لا هي بالعربية - كما تقضي اللوائح ، وكما يجب أن يكون عليه الأمر ، ولا هي بالإنكليزية تمشيًا مع الاستثناء الوارد في اللوائح . ولكنها لغة ثنائية ، إن جاز لنا أصلاً أن نسميها لغة ؛ فهي لغة تخطّ بين اللغتين معاً - ويا ليتّه خليط مفهوم . فهو خليط عجيب بين لغة عربية ركيكة ولغة إنكليزية أكثر ركاكة مُندمجتين معاً .

ويُتابع سيادته : "هذه الصورة المضحكة المبكية لما آلت إليه حال اللغة العلمية اليوم في الجامعات وغيرها هي ، في نظري ، ناقوسُ الخطر الذي أدقّه للمجمع العريق لكي يزيد جهوده الموفقة التي بدأها على الطريق السوي خدمة للعلم والتعليم ، وإنقاذاً للغة العلمية مما هوت إليه من حضيض "

والواقع أن الناقوس الذي يدقّه الدكتور مختار هو ناقوس خطر لا للمجامع فقط بل للرأي العام ولأولي الأمر المسؤولين عن مستقبل الأجيال في الوطن العربي .

إن قضية تعريب العلوم - وقد عاجلها الكثيرون - تعترضها صعوبات ومُعوقات، وتتطلب جُهدًا (بل جُهودًا) دائمة ، وسعيًا متصلًا . لكن كل هذه الصعوبات والمُعوقات تتهاوى وتذلل ، وكُلُّ الجُهودِ والمُساعي تتوافرُ ، بالإرادة المصممة .

المهم أن نُريد ، وأن نبدأ بتصميم لا تراجع عنه ولا تلكؤ فيه . ونحنُ حاليًا لنُ نبدأ من الصفر ، كما كانت الحالُ عند كثير من الأمم ، فما لدينا من مؤسسات ومجامع ومعاهد ترجمة ، ومصطلحاتٍ مُستقرة وشبه مُستقرة ، وما في العربية من طواعية ومرونة وهابضية ، وما هو مُتوافر لدينا اليوم من سُبُل اتصال وطباعة ونشر، كفيلة بإمكانية التطبيق الفوري لمخططِ تدريجي يُحققُ عملية التعريب في سنين معدودات .

التعريب والوضع :

تحمل لفظة التعريب لغويا معنيين رئيسيين:

نقول : عَرَّبَ الكتاب والعلم - تعريبًا- أي ترجمة أو نقله من لغة أجنبية إلى اللغة العربية . كما نقولُ عَرَّبَ اللفظ

الأعجمي - تعريبًا أيضًا - أي، نقله اقتراضًا إلى اللغة العربية فكتبه ونطق به على منهاج العرب. والتعريب بهذين المفهومين هو أحد المناهج التي اعتمدها علماء العرب في بيت الحكمة، وغير بيت الحكمة ، لاستيعاب نتاج الحضارات التي سبقتهم وجعل العربية لغة العلم الأولى دون منازع طوال عدة قرون .

وغير خاف أنا حين نتكلم في محور بعنوان التعريب والوضع ، فإنما نشير إلى المفهوم الثاني للتعريب - التعريب الاقتراضي - كأحدى وسائل وضع المصطلحات .

لقد غدت المصطلحات اليوم ضرورة حضارية - باعتبارها مفاتيح للمعرفة الإنسانية ، في شتى فروعها ، ووسيلة التفاهم والتواصل بين الناس في مختلف المجالات العلمية والعملية . وقد انبرى المترجمون والأدباء واللغويون والعلميون والصحافيون والمعجميون ، وكذا الجامع والمؤسسات والاتحادات المهنية ، لوضع مقابلات لما يعترضهم أو يعرض عليهم من هذه المصطلحات . وهي اليوم ، بحمد

الله، تؤلف جزءا مهما من اللغة العربية،
كما من كل اللغات المعاصرة - حتى
لتكاد تجد معجما أو أكثر لمصطلحات
كل فرع تقريبا من فروع المعرفة .

لكن المعرفة تنمو بسرعة هائلة
والمصطلحات تتزايد بالعشرات يوميا -
إضافة إلى المكس منها بالآلاف ولما نعالجه.

إن وضع المصطلحات ، كما يقول
الأمير مصطفى الشهابي ، سيظل مدة
طويلة من الزمن عملا من عمل الأفراد
قبل أن يكون من عمل الجامع اللغوية
والعلمية نفسها . لذا من الضروري تحديد
منهجية واضحة يسترشد بها من تتوافر
فيهم المؤهلات والإمكانات والمزاج
والوقت لذلك . وقد تحققت على مدى
العقود الستة الماضية منهجية شبه متكاملة
لوضع المصطلحات (*) ألخص بعض
بنودها المهمة في ما يلي :

١- هناك شبه إجماع على تفضيل
المصطلحات العربية المتحررة من التراث
التي تؤدي مدلول اللفظ الأجنبي أو تقاربه
- مثل :

أهر مقابل aorta وإثار مقابل brassiere
وبريد مقابل post وبوتقة مقابل crucible
وتدريب مقابل toilet training وسائل
مقابل satellite وفرجار مقابل compasses
وكثافة مقابل density وجبلة مقابل
cytoplasm وهيولي مقابل protoplasm وغيرها
كثير .

وهناك من يجتهدون ، وأنا أويدهم ،
باعتبار العاميات الشائعة في كثرة من
البلاد العربية ، جزءا من التراث يسهم في
تقديم مصطلحات تتوافر فيها متطلبات
الدقة والتعبير ، مثل :

برغي وصمولة وترس وشتلة وصوبا وعتلة
ومدماك وخابور وزردية وسنبك وصاج
وتشحيم وتشوير وحوض ومكوك .
وغیرها كثير .

٢- باب المجاز واسع في وضع ألفاظ ثم
اللغة بمصطلحات محددة تستجيب
لمتطلبات الحياة المتجددة . العرب عرفوا
المجاز بأنه ما تجاوز معناه الأصلي إلى غيره
بقرينة مباشرة أو غير مباشرة تدل على
ذلك. مثلا ، نقلوا مفهوم "الفصاحة"

كميزة للبن الذي أزيل رغوّه وبقي خالصه ، إلى مفهوم حسن الكلام وجودته؛ ونقلوا مفهوم الشك من الوخر بشيء دقيق كالشوكة يؤلم الجسد ، إلى مفهوم الحيرة والشك وعدم اليقين مما يؤلم النفس والعقل .

ونحن اليوم لا نفهم البريد مسافة بين منزلين من منازل الطريق ، ولا الهاتف صوتا يسمع دون أن يرى صاحبه ، ولا العدسة حبة عدس ، ولا السيارة قافلة .

فالذهن يحملها على المعنى الجديد الذي اكتسبته اللفظة المصطلحة مجازيا ، فلازمها ولازمته . ومثلها طيف ودراجة ومصرف ودبابة ومُكثف (في الحرارة والكهرباء) وسلبية (في التصوير والجبر والسياسة) ولسان (في النجارة والجغرافيا) - وغيرها كثير .

والجهاز رغم كونه مرغوبا فيه أحيانا ، فهو في مجال توليد المصطلحات محدود من حيث إمكانية التوسع في استخدامه ، ومن حيث إمكانية التوافق بين أذواق المصطلحين في ارتباطه ، (ولعل بعضنا يذكر المسرة والإرزيز والسفير والندي ثم

الهاتف - للتليفون) ؛ وهو أيضا محدود من حيث طول فترة عملية الغربة للاستقرار على واحد من هذه المجازات - إذ استغرقت فترة الاستقرار على لفظة هاتف، لتنافس (لا لتطمس) لفظة تليفون، قرابة نصف قرن .

٣- الاشتقاق هو الوسيلة الأفعلى في توليد المصطلحات قديما وحديثا - والذين يعتمدون الإحصاءات يُقدرون أن الاشتقاق في العربية قرابة ٩٥% من مصطلحاتها . ولا غرابة ، فإمكانات الاشتقاق في العربية تفوق الحصر . فنحن نعرف منها للفعل الواحد خمسة عشر صيغة هي :

فعل وأفعل وفعل وفاعل واستفعل وافعل وافعال وافعول وافعول وانفعل وافتعل وتفعل وتفاعل وفعلل وتفعلل .

ومن كل صيغة من هذه ، يمكن اشتقاق مصادر بأوزان متعددة مثل :

فعل ومفعل وفعل وفعل ومفعولية ومفعالية ومفعلية ؛ واسم آلة بأوزان متعددة: مفعل ومفعلة ومفعال وفاعول وفعالة وفاعولة؛ بالإضافة إلى اسم الفاعل واسم

المفعول واسم المرة واسم الزمان واسم المكان واسم التفضيل واسم المهنة ؛ عدا عشرات الأوزان اللامصنفة في اللغة مثل : فعل (سَجَل) وتَفَعَال (تمثال) وفِعُول (معول) وفُعُل (عُشْر) وفَعْلَان (جَيْشَان) وفُعْلة (نُتفة) ومَفْعَلَان (مزلقان) وفُعَال (صُداع) وفَعَل (رَمَد) وفُعْالة (حُثالة) ومُفْعِلة (مُصَيطة) ومَفْعِل (مُغِيزِل) .

وغيرها . بحيث لن يقل عدد الألفاظ التي يُمكنُ اشتقاقها من كُلِّ فعلٍ عن مِئتين ، وقد يزيد على الثلاثمائة - لا نستخدم منها عادة بشكل فاعل أكثر من ثلاثين .

هذا إضافة إلى الاشتقاقات الإلصاقية بالهمز أو التضعيف أو ألف المشاركة أو ياء النسبة وللتأكيد على مدى فاعلية الاشتقاق في توليد المصطلحات استشهد بدراسة إحصائية للدكتور وجيه عبد الرحمن على ٣٠ ألف مصطلح في معاجم الطب والتشريح لاحظ فيها أن توليد هذه المصطلحات كلها تم بالاشتقاق من ١٥٠ جذرا لغويا فقط، إضافة إلى أعضاء الجسم.

٤- ومن وسائل توليد المصطلحات ، وهو نادر ، النحت . وهو أن يختصر من

كلمتين أو أكثر من كلمة واحدة ؛ ولا يشترط فيه حفظ الكلمة الأولى بتمامها بالاستقراء ، ولا الأخذ بكل الكلمات ولا موافقة الحركات والسكنات - كما في شبيهات فعلل : من مثل بَسْمَل وحوَقْل وفَذْلَك - قَدِيمًا ، وبرمائي وشبغروي وكهرضوئي وبتروكيماوي وكهرمغنيطي؛ وكذلك مُشَاكْهة وحَلْمَاة، حديثا .

لكنَّ السليقة العربية ، وكأنها لم تستسغ هذه التراكيب ، لم تقبل الكثير من هذه المنحوتات . ويقدر أن ما قدمه النحت من المصطلحات الناجحة لا يتجاوز ٠,٠٥% .

ولعلنا نزيدُ هذه النسبة إذا اعتبرنا التركيب المَزْجِي بالإلصاقات المنفصلة ضربا من النحت ، في مثل لاسلكي ولاأخلاقي ولاشعوري ولاأدرية، أو فوق سمعي وفوق بنفسجي وتحت ثربي وماورائي وأمثالها .

٥ - أما إذا تعذر وضع لفظ عربي سليم مناسب يؤدي مفهوم المصطلح الأجنبي بأي من الوسائل السالفة - لا تقصيا من

التراث ، ولا مجازا أو اشتقاقا - وهو واقع لا يستطيع العارف بآفاق العلم إنكاره ، فيعتمد إلى التعريب - بخاصة في المصطلحات ذات الصبغة العالمية أو ذات الأصل اليوناني أو اللاتيني أو أسماء العلماء المستعملة مصطلحات ، أو العناصر والمركبات الكيماوية .

هذا التعريب ، أو ما وصّفناه سالفا بالتعريب الاقتراضي ، لم يُرهب العلماء العرب قديما في لغى أهل العلم. فالذي يراجع كتب المفردات ، يجد - كما يُخبرنا الباحث الدكتور إبراهيم بن مراد رئيس جمعية المعجمية العربية بتونس حاليا، أن نسبة الألفاظ المعربة في كتاب "الجامع لابن البيطار" تؤلف ٤٦% من مفرداته، وفي "كتاب الأدوية المفردة لأبي جعفر الغافقي" حوالي ٦٥% . أولئك العلماء لم يخلطوا بين ما هو من صلب اللغة ، أو ما يتوقعون صيرورته من صلب اللغة - كون أهل اللغة كلّهم يشتركون فيه، وبين ما هو لغة لأهل العلم خاصة - . فعربوا ببالغ الحرص والانتقائية في الأول ، حتى لتكاد تغفل عن كونه مُعربا ، من

مثل أستاذ وإبريق وبخور ودواة وزلال وسيف وصراط وقلم وقفص وقنديل وكوفية ومسك ونرجس ويم وغيرها كثير- في حين عربوا بلا تحفظ في الآخر، من مثل: أنولوطيقا وغنطازيا واسطقس وأرثماطيقا وجيومطري وكتيغورياس (في الرياضيات والطب).

وبوريطس ومرقشيتا وبطراليون وخلقيدون (في الكيمياء). وبريطون وقولون وبنقراس ومساريقي (في الطب). وإطريفل وقنطريون وطرخشقون وفريون وبوغلصن (في النبات) . وبطليونس وقيون وطرستوج (في الحيوان) وغيرها كثير .

وقد نسج رواد النهضة الحديثة في غالبيتهم على موال القدماء في توليد المصطلحات . فعربوا ترجمة ، المصطلحات التي يحتاج فهمها وفهم مدلولها العلمي إلى فهم أصلها ومعناها اللغوي - بخاصة تلك المصطلحات التي تفرض نفسها على التداول الشعبي ، لا في مجالات العلم فقط ، بل في مختلف مجالات

الحياة أيضًا - من قبيل :

ذرة مقابل atom وجزء مقابل molecule
وقدرة مقابل power وطاقة مقابل energy
ومناعة مقابل immunity ... إلخ .

وعربوا اقتراضيا ، في جَوٍّ من
الاعتراضات يخفُّ حينا ويشتدُّ حينا ، في
ما سوى ذلك من أسماء كيماوياتٍ
جديدةٍ وأسماء أجناسٍ وأنواعٍ
ومصطلحاتٍ عالية التخصص في الهندسة
والكهرباء والإلكترونيات ؛ وكلُّ فئةٍ من
هذه ، كما لا تجهلون ، تُعدُّ بالملايين .

والجدير بالذكر أنَّ هذه الملايين من
الألفاظ لا يدخلُ منها عادةً إلى صُلب أي
لُغةٍ إلا القليلُ القليلُ مما يشيعُ استخدامه
في الحياة اليومية . والشاهدُ على ذلك أنَّ
معجم وبُستر الدولي الثالث الذي يستغرقُ
اللغة الإنكليزية في قرابة نصفِ مليون
مدخلٍ لا يُوردُ من ملايين هذه
المصطلحات المتخصصة سوى بضعة
آلاف .

نحنُ مثلا لا نستوعبُ معنى immunity
إلا بمصطلح "مناعة" - المقابل العربي الذي
نفهمُ مدلوله من معناه ، كما لا نفهمُ

impedance دون المقابل العربي "مُعاوقة" ،
ولا نستوعبُ أسرارَ ال gravity دون
المقابل العربي "جاذبية" .
لكننا لا نحتاجُ إلى مصطلحٍ عربي
كالمصدئ، لمعرفة الأكسجين ،

- (١) أو المميه لمعرفة الهيدروجين
- (٢) أو الطاسل لمعرفة الإيثان
- (٣) أو الجائل لمعرفة البيوتان
- (٤) أو المقرم ، لمعرفة اليود
- (٥) أو الشدام ، لمعرفة الصوديوم
- (٦) أو الضواء ، لمعرفة المغنسيوم
- (٧) أو الخطوط لمعرفة الغرافيت

ولا حتى المحوز لمعرفة الترانزستور ، أو
علم الهلك لمعرفة الجيولوجية أو المشواف
لمعرفة التلفزيون - وهي مُصطلحاتُ
خَلَقَهَا الصِّفَاوِيُّونَ المتحمِّسون عاطفيا
لجلال اللغة الموهوم في مُحاولاتٍ لتحميل
التعريب، ترجمة، ما يتجاوزُ إمكانياته. فلم
يأتوا بأكثر من ألفاظٍ ساذجة ضبابية -
ربما عربية الجرس، لكنها خاوية المعنى، وغالبا
ما تكونُ مضللة بعيدة عن الدقة العلمية .

والذين يطلبون التعريبَ الشاملَ
ترجمة ، ويعارضونه اقتراضا ، إنما يطلبون

ما هو غير عملي وغير مُستطاع - لا في اللغة العربية ولا في سواها . وهم ، من حيث لا يَدرون ، يُسهمون في عرقلة مسيرة الفكر العربي والعلم العربي والإبداع العربي ، ويُعطون أعداء العربية حُجة مُستمرّة التجدد لإعاقة تعريب التعليم بانتظار أن تتوافر له المصطلحات وتتكامل .

وليس بالضرورة في التعريب الاقتراضي هذا إلزام المصطلح المعرّب بالأوزان العربية وقصره على الحروف الموجودة في العربية . فتغيير الكلمة الأجنبية قد يفسد نظامها ويُخلّ بمعناها ومدلولها فتغدو غريبة - لا فصيحة تُردُّ إلى أصل عربي ، ولا أجنبية يتجلى لها وجه في لغتها الأصلية - فيضيع الغرض الذي لأجله عُرِبَت . ولا أستغرب أن اتَّفَقَ عُلَماءُ العَرَب القُدّامي والمحدثين على ذلك - من سيبويه وابن بُرّي وأبو حيان وعبد القادر البغدادي إلى إبراهيم مذكور وعباس حسن وصبحي الصالح .

فمثلاً كثرة من المسمّيات المعرّبة تبدأ بالسّاكن مثل غرافيت وُثرايود وبروتون

وكلّور وسبكتروسكوب ، أو من أسماء الأشخاص ، سميث وجيوفاني وبراون وفلمنغ ...

إنّ إضافة الألف التي يزيدها بعضهم، أو تحريك الحرف نفسه هما تحريف لا مُسوِّغ له يُبعدُ منطوق اللفظ عن مُسمّاه . فـ Brown مثلاً هو براون - لا إيراون ولا بُراون ولا براون أو براون .

كذلك لا تُلزم المسمّى العرب بقاعدة عدم التقاء الساكنين - سواء اقتصر الأمر على ساكنين اثنين أو عدة سواكن - فنقول رُنْجِن وباوندُ وبُوَيْلُ وشارلُ وكنغستون .

والذين يُعربون قصراً على الحروف العربية ، كثيراً ما يُخلّون بمعنى المصطلح المعرّب ومدلوله . وهذا يَطالُ غالباً الأحرف ب (P) - فيُستبدل به ت ، وف (V) فيُستبدل به حرف ف ، و جـ (اللامُعْطَش) معطش (g) فيستبدل به جـ أو غ ، وهذا يتنافى أحياناً مع الدقة العلمية - وإلا كيف يُميّزُ عُلَمَاؤُنا في الطب والفيزياء والكيمياء مثلاً بين بيتا (beta) الإغريقية في مُشتَقّاتها المتعدّدة مُقابل ألفا

وغاما ، وبين - peta التي تعني ١٠^{١٥} ومشتقاتها المتعددة ؟ أو بين barotitis داء الأذن الوسطى وبين parotitis التهاب النكفية ، أو بين بورون (التي هكذا عربها المعجم الطبي الموحد مُقابل purone أحد مُشتقات حامض اليوريك وبين العنصر المعروف البورون boron ، أو بين كريس krebs العالم الألماني وكريس Cripps السياسي البريطاني ، أو بين فار بمعنى فلت أمبير مفاعلي (اشتقاقا من volt-amperes reactive) وبين فار mouse ، أو بين فانيلا vanilla وفانيلا flannel ... أو بين ستيفنسون مخترع القاطرة وستيفنسون المرتبط اسمه بآلات الرصد الجوي ... إلخ . ومثلها فيستامين وأمبير وفازلين وجول وفلظ (والواقع أن رجل الشارع يلفظها هكذا). واقرأوا ما يجره ذلك من مفارقات في أحد معاجمنا العربية حيث يفسر اللفظ غرام بما يلي : الغرام : الولوع والحب المعذب والهلاك ، ووحدة الوزن في طريقة القياس المتري .

وألفتُ كذلك إلى ضرورة إيجاد وسيلة خطية لرقن حرفي الواو والياء كي

يُلفظا بالشكل الصحيح في المسميات المعربة - فنميز بذلك بين لفظ الواو رقيقة في مثل جول Joule وبول Boole وكوري Curie ، وبين لفظها مفخمة في تور Torr وهول Hall وبور Bohr وبول Paul . كما نميز بين لفظ الياء نحيلة في بيرد Beard وجين Jane وويفر Waver . ولا أنسى قائمة المركبات العضوية الطويلة جدًا التي اضطررنا إلى لفظها بالألف ، فرنسا ، في ميثان methane وإيثان ethane وبروبان propane وبيوتان وبنتان ... إلخ ، لكي نميزها عن إخوتها اللامشعبة في ميثين methene وإيثين ethene وبروبين وبيوتين ... إلخ بهذه المعطيات في المجالات العلمية تصبح أبجديتنا ، وبالتالي لغتنا ، قادرة على استيعاب المسميات العلمية على اختلافها بصورة مؤدية لعلها تفوق قدرة الكثير من اللغات العالمية في هذا السياق .

ملحق المبادئ الأساسية في منهجية وضع واختيار المصطلحات العلمية :

١- ضرورة وجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة بين مدلول المصطلح اللغوي ومدلوله الاصطلاحي ،

- ولا يشترط في المصطلح أن يستوعب كل معناه العلمي .
- ٢- وضع مصطلح واحد للمفهوم العلمي الواحد ، ذي المضمون الواحد، في الحقل الواحد .
- ٣- تجنّب تعدد الدلالات للمصطلح الواحد في الحقل الواحد ، وتفضيل اللفظ المختص على اللفظ المشترك .
- ٤- استقراء وإحياء التراث العربي ، وخاصة ما استعمل منه أو ما استقر منه من مصطلحات علمية عربية صالحة للاستعمال الحديث، وما ورد فيه من ألفاظ مُعرّبة .
- ٥- مُسايرة المنهج الدولي في اختيار المصطلحات العلمية :
- أ- مراعاة التقريب بين المصطلحات العربية والعالمية لتسهيل المقابلة بينهما للمشغلين بالعلم ودارسيه.
- ب- اعتماد التصنيف العشري الدولي لتصنيف المصطلحات حسب حقولها وفروعها .
- ت- تقسيم المفاهيم واستكمالها وتحديدّها وتعريفها وترتيبها حسب كلّ حقل .
- ث- اشتراك المختصين المنتجين والمستهلكين في وضع المصطلحات.
- ج- مواصلة البحوث والدراسات ليتيسر الاتصال على الدوام بين واضعي المصطلحات ومستعمليها.
- ٦- استخدام الوسائل اللغوية في توليد المصطلحات العلمية الجديدة بالأفضلية طبقاً للترتيب التالي :
- التراث فالتوليد (بما فيه من مجاز واشتقاق وتعريب ونحت).
- ٧- تفضيل الكلمات العربية الفصيحة المتواترة على الكلمات المعربة .
- ٨- تجنب الكلمات العامية إلا عند الاقتضاء بشرط أن تكون مشتركة بين لهجات عربية عديدة ، وأن يشار إلى عاميتها بأن توضع بين قوسين مثلاً .
- ٩- تفضيل الصيغة الجزلة الواضحة وتجنب النافر والمحذور من الألفاظ.

١٠- تفضيلُ الكلمة التي تُسمحُ

بالاشتقاقِ على الكلمة التي لا
تسمحُ به .

١١- تفضيل الكلمة المفردة لأنها تساعد

على تسهيل الاشتقاق والنسبة
والإضافة والتثنية والجمع .

١٢- تفضيلُ الكلمة الدقيقة على الكلمة

العامة أو المبهمة ، ومراعاة اتفاق
المصطلح العربي مع المدلول العلمي
للمصطلح الأجنبي ، دون تقيّد
بالدلالة اللفظية للمصطلح
الأجنبي.

١٣- في حالة المترادفات، أو القرية من

الترادف ، تُفضّل اللفظة التي
يوحى جذرها بالمفهوم الأصلي
بصفة أوضح .

١٤- تفضل الكلمة الشائعة على الكلمة

السنادرة أو الغريبة إلا إذا التبس
معنى المصطلح العلمي بالمعنى
الشائع المتداول لتلك الكلمة .

١٥- عند وجود ألفاظ مترادفة أو

مقاربة في مدلولها ، ينبغي تحديد
الدلالة العلمية الدقيقة لكل واحد

منها ، وانتقاء اللفظ العلمي الذي

يقابلها . ويحسن عند انتقاء

مصطلحات من هذا النوع أن

تُجمع كلُّ الألفاظ ذات المعاني

القرية أو المتشابهة الدلالة وتُعالج

كلها كمجموعة واحدة مثلاً ،

في مفهوم المضادة الكهربائية على

اختلافها ، لدينا من المصطلحات

الإنكليزية المقاربة واللامترادفة :

impedance و inertance و reluctance

و resistance فنقول فيها على

التوالي: مُعاوقة ومقاصرة ومُمانعة

ومقاومة.

١٦- مراعاة ما اتفق المختصون على

استعماله من مصطلحات

ودلالات علمية خاصة بهم ،

معربة كانت أو مترجمة .

١٧- التعريب عند الحاجة وخاصة

المصطلحات ذات الصيغة العالمية-

كالألفاظ ذات الأصل اليوناني أو

اللاتيني أو أسماء العلماء المستعملة

مُصطلحاتٍ ، أو العناصر

والمركبات الكيماوية .

١٨ - عند تعريب الألفاظ الأجنبية

يراعى ما يأتي :

أ- ترجيحُ ما سهل نطقه في رسم الألفاظ المعربة عند اختلاف نطقها في اللغات الأجنبية .

ب- التغيير في شكله ، حتى يصبح موافقا للصيغة العربية ومستساغا .

ج- اعتبار المصطلح المعرب عربيا ، يخضع لقواعد اللغة العربية ويجوز فيه الاشتقاق والنحت وتستخدم فيه أدوات البدء والإلحاق ، مع موافقته للصيغة العربية .

د - تصويب الكلمات العربية التي حرفت في اللغات الأجنبية واستعمالها باعتماد أصلها الفصحى .
هـ - ضبط المصطلحات عامة والمعرب منها خاصة بالشكل حرصاً على صحة نطقه ودقة أدائه .

المنهجية والتطبيق وسبل الانتشار بهدف مواجهة مصطلحية ناجحة لمشاكل العربية مع "اللغات" العلمية .

إن تطبيق المنهجية في مجال توليد المصطلحات العلمية الجديدة ، هو دون

شك ، أحد مستلزمات المجاهدة الناجحة للمشكلات التي تواجه اللغة العربية في تقبل تلك المصطلحات . والواقع أن تحقيق ذلك التطبيق وتلك المجاهدة يتطلب دراية مُعمَّقة لا يسهل عملياً إعطاء وصفة مُحددة لها .

يقال إن أحدهم سأل ألدوس هكسلي : بماذا تنصح من يريد أن يصبح كاتباً؟ فأطرق هكسلي ، وكأنه فوجئ بالسؤال؛ ثم تصنَّع الجدية وقال : يشتري قلماً وورقاً وقينة حبر .

ويسدو لي ، مع الأسف ، مما أشهده ، بحكم عملي ، من النتاج المصطلحي على مختلف مصادره في العالم العربي ، أن عددا لا يُستهانُ به ممن يُحاولون "خدمة" العربية في هذا المجال لا يضيفون إلى "وصفة" هكسلي أكثر من "وبضعة قواميس" . وقد سبق لي في ندوات ومؤتمرات ومقالات عدَّة أن قدمت أمثلة مُسهبةً على تلك الأعمال - أعتقد أن بعضكم قد اطلع عليها ، وأن بعضاً منها على الأقل موجود في مكتبة مجتمعنا هنا كما في ملفات الكثيرين ممن يهمهم

الأمر. ولا أرى المقام مناسباً ولا الوقت
مُتسعاً لإيراد المزيد منها.

الذي أريدُ تكراره رغم أنكم تعرفونه
بخبرتكم الشخصية ، ورغم تكراره على
ألسنة وأقلام الكثيرين بتعابير قد تختلفُ
شكلاً ولكنها تتفق مضموناً منذ
مواصفات الجاحظ للمترجم الناجح ، هو
أن أساسيات العمل المصطلحي ، قبل
الورق والقلم وبضعة القواميس - هي
معرفة كاملة بالموضوع لدى القائم بترجمة
مادته أو وضع مُصطلحاته ، ثم معرفة
كاملة باللغتين اللتين ينقل عن إحداهما
ويصطلحُ مُترجماً في ثانيتهما - إضافة إلى
دراسة منظمة لما لدينا من مصطلحات
ثرائية وعصرية مُوثقة حتى في غير مجالات
حقله ، والتعرف إلى المشهور منها
واستيعابه واكتناه قواعد ووسائل اشتقاقه،
والتدريب على تطبيقات مرجعية تقانية
قبل ممارسة صياغة المصطلحات فعلاً، لقد
أضحى علمُ المصطلح اليوم، كما سائرُ
المهارات ذات المسؤولية ، دراسة تخصصية
تتطلب ، حتى فوق كل ما أسلفتُ ،
قابلية شخصية ومرونة لُغوية وسعة أفقٍ

وصبراً وأناة وحبا عميقاً للغة التي يصطلح
فيها .

لقد عرفت العربيةُ مصطلحيين أفذاذا
تحققت فيهم هذه المواصفات والخصائصُ
الذاتية والمكتسبة - علماً ومنهجية وقابلية،
فأثروا اللغةَ بأعمالهم ، من أمثال رفاعة
الطهطاوي وعمر التونسي وإبراهيم
اليازجي وبطرس البستاني وأحمد فارس
الشدّيق وكرنيليوس فاندريك وخليل
سعادة وأحمد عيسى وثلاثي معجم
كليرفيل - الخياط وخاطر والكواكبي -
ويعقوب صروف والأمير مصطفى
الشهابي وغيرهم ممن تعرفون .

لكننا بحاجة ، لا إلى أفرادٍ من مثل
هؤلاء ، يبرزون على فتراتٍ وفي بعض
ميادين فقط - بل إلى كتائب فاعلة منهم
في كُلِّ ميدان - عُدّة آنية ومُستقبلية
للاحاق بالركب الحضاري المتسارع
ومواكبته . والسبيلُ العملي لإعداد مثل
هؤلاء لعله ما كان ، ولا يزال مطبقاً في
الكليات العلمية في ما كان يُدعى الاتحاد
السوفييتي حيث يَدرُسُ الطلابُ من
مُختلف القوميات مُختلف الاختصاصات

العليا باللغة الروسية ويُدمجُ تعليمُ الموضوع العلمي أو التقني ، للمتخرج في مهنة ، مع تدريبه على العمل في الوقت ذاته كـ مترجمٍ ومُصطلحي في حقل تخصصه . ويُشترطُ فيه عند التخرج كتابة أطروحته بلُغته القومية التي ستكون لغة الممارسة في بلده تاليا .

إن ما قامت به بعضُ الجامعات في العالم العربي من استحداث مساقات للترجمة التقليدية لم يعدُ كافيا اليوم . وأذكرُ أن الزميل الموقر في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، رئيسنا في مجمع اللغة العربية الأردني الدكتور عبد الكريم خليفة، اقترح أكثر من مرة أن تقوم المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بإنشاء جامعة للمصطلحات يؤمها حاملو الدبلومات العرب من مختلف أقطار العالم العربي في مختلف الاختصاصات . وفيها يتشقفون بالاطلاع والممارسة في مجال المصطلح عموما ، ثم كل فريق في متطلبات وراث اختصاصه ، ويتخرج واحداهم خبيرا مصطلحيا يظل على اتصال بجامعته والزملاء الآخرين في مجال

اختصاصه ، وتبادلُه جامعته مع زملائه في الجامعات الأخرى . فتضمنُ لهم وبهم الخبرة والتواصل والمصطلح الجيد الموحد .
ترويج المصطلحات :

أول وآخر سُبُل ترويج المصطلحات العلمية العربية هو وضعها في مُتناول أهلها وطالبيها . وأبسط قواعد الترويج المعروفة وألزمها هو كَوْن الشيء مطلوباً أو جعله، بالوسائل الترويجية العملية والنفسانية ، مطلوباً . ولن يتحقق هذا مطلقاً ما دامت العلوم الحديثة الأساسية في مختلف مجالاتها تُدرسُ بلُغة أجنبية .

يا سادتي ، المصطلح العلمي والأكاديمي يُعمَّم وينتشر في الجامعات والمعاهد والحياة الثقافية عموما بتعريب التعليم . لقد تطرقتُ إلى هذا الأمر في بداية حديثي ، واسمحوا لي هنا أن أُضيفَ بضعَ كلماتٍ تطالُ هذا الموضوع من الجانب النفساني .

إن الشاب العربي - الطالب اليوم والمتقف غدا ، الذي يرى المواد الرئيسية تدرس بلُغة أجنبية ، وأنه يتقدم للإمتحانات الحاسمة في مصيره بها ، يتأصل

في قرارة نفسه - شئنا أم أبينا - دونية العربية في المرتبة عن اللغة الأجنبية . وهذا الموقف للأسف ، لا يقتصر على الطالب وحده بل إنه يتاصل في لا وعي الأهل في الكثير الكثير من الحالات - وأحيانا حتى في لاوعي الأساتذة والمسؤولين .

إن الاستمرار في تدريس العلوم والمواد الرئيسية الأخرى في مختلف جامعاتنا والكثير من مدارسنا بلغة أجنبية، هو إذلال ، لا للغة العربية والمصطلحات العربية فقط ، بل للشخصية العربية والمعنويات العربية . إن رفع هذا الحصار والإذلال عن اللغة العربية منطلق ضروري وأساسي في ترويج المصطلحات وانتشارها واستخدامها .

كما إن وسائل الإعلام يُمكن أن تُسهم على نطاقٍ واسعٍ في نشر المصطلحات ، بخاصة ما له علاقة بأمور الحياة اليومية وما أكثرها فالجريدة الناجحة توزع في يوم ، كما المجلة الرائجة، في أسبوع أكثر مما يوزع من كتب علمية أو أدب علمي في عام . والبرامج الإذاعية والتلفزيونية تبث إلى

الناس طوال ساعات اليوم .

إن وسائل الإعلام ، للأسف ، كما تعرفون ، لا تستخدم استخداما مفيدا أو منتجا في الوطن العربي - بخاصة في المجال العلمي ؛ فهي إلى المتعة أقرب منها إلى الفائدة ، وإلى إضاعة الوقت أكثر منها إلى الاستفادة من الوقت ، وهي إلى العمل السياسي أدنى منها إلى العمل العلمي الدؤوب . ويني أنه لو توفر لوسائل الإعلام - والصحافة بخاصة أن تطعم بالصحافيين - العلماء منهم والمصطلحيين، فإنها ستكون من أهم وأفضل وسائل نشر المصطلح وتوحيده . ولا مثل أدل على ذلك من المقتطف أيام ضم فريق العمل فيها أمثال يعقوب صروف وفارس نمر وأنستاس الكرملي وشبلي الشميل .

والمعاجم الثنائية الجيدة الموثقة كانت وتظل إحدى أفضل السبل في نشر المصطلح وتوحيده . فالمعجم الجيد في موضوع هو السفير الأنشطة والأفعال في نشر وتوحيد مصطلحات ذلك الموضوع - فهو محطة اليد والفكر الأولى حين يواجه الطالب أو المثقف أو الصحافي أو

الإعلامي أو المحاضر أو المؤلف مصطلحا لمفهوم بلغة أجنبية ويريد استيعابه في حصيلته اللغوية ، أو في مناقشاته ودراساته ومقالاته ومحاضراته ومؤلفاته .

لقد لحظنا هذا الأثر جليا خلال ثلث القرن الماضي إثر صدور بضعة من هذه المعاجم التي ربما تعرفون في الطب والعسكريات والمصطلحات العلمية والفنية والهندسية ومصطلحات الحوسبة والحواسيب. وهنا أيضا أرى دورا مهما للجامعة المصطلحات التي أشرت إليها سالفا في مجال معاجم المصطلحات العلمية من حيث توثيقها وتنسيقها ومتابعة تحديثها.

وأخيرا وليس آخرا ، ونحن في عهد الحواسيب والمكانز وبنوك المعلومات وشبكات المعلومات المختلفة ، حبذا لو أن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، بالتعاون مع اتحاد الجامعات واتحاد الجامعات العربية ، تعمل على تفعيل وتنشيط شبكة عربية للإعلام المصطلحي لهدف الإعلام عن النشاط المصطلحي العربي وإتاحة تواصله بين المتعاملين به بأيسر الطرق وأقل التكاليف ، وإقامة

علاقات متبادلة بين هذه الشبكة والمؤسسات المصطلحية الدولية عن طريق شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت) أو سواها والاستعانة بما لديهم من خبرة وخبراء مما يمكن الإفادة منه في مجال توحيد المصطلح العربي ونشره . فمن خلال مثل هذه الشبكة الشاملة سيتسنى لنا بشكل أوفر مجازاة النشاط المصطلحي العالمي - وضعها وتوثيقها وتنسيقها وتوزيعها ومعجمتها وتحديثها متواليا . وستكون هذه الشبكة مفتاحا إلى آفاق أوسع - لا آفاق نقل التكنولوجيا ومصطلحاتها ومعارفها فقط، بل آفاق الإبداع المعرفي والتقني الذي سيجعلنا من صانعي العلم ، ويجعل من بعض مصطلحاتنا ، مستقبلا ، مصطلحات دولية - وهو أمر سبق لنا أن حققناه.

وقبل أن أختتم هذه الأفكار غير الجديدة ، على معظمكم ، أود التأكيد أن قولنا بتعريب التعليم لا يعني بحال من الأحوال حربا على اللغة الأجنبية ، بل على العكس - فالتعريب ، وبخاصة تعريب العلوم ، يفترض استمرارية التواصل باللغات الأجنبية على الطلاب كما على

الأساتذة. فلا أحد يجهل البون الشاسع بين ما وصلت إليه علوم الحضارة الحديثة وتقاناتها وما استوعبناه منها نحن حتى اليوم.

فكما يفترض التعريب أن يمارس المهندسون أو الأطباء أو الزراعيون أو الصيادلة أو سواهم ، مهنهم على الناس وللناس ، باللغة القومية - رابطتهم بهم ووسيلة تفاهمهم معهم ، فإن مستقبل مسيرة التعريب ونجاحها المستمر يتطلب أن يكون المهندس أو الطبيب أو الخبير الزراعي ضليعا بلغة أجنبية يتواصل فيها وبها مع العلماء أو مع منجزاتهم لمتابعة الركب العلمي في تخصصه ، والوقوف على آخر ما توصل إليه زملاؤه في العالم من حوله - فلا تحصل فجوة علمية حضارية بين ما درسه هو كطالب وبين ما تم من تقدم بعد تخرجه كمارس ، ويكون هو في الوقت نفسه مؤهلا لأن يؤدي ما يجد من مسميات علمية في تلك اللغة بمضطلحات عربية سليمة .

مقولتنا بالتعريب ليست ضد تعليم اللغة الأجنبية ، فالحاجة إلى إتقان لغة أجنبية معاصرة هي اليوم مطلب تربوي

أساسي لكل مثقف عربي أو غير عربي ، عالم أو غير عالم - إنما الاعتراض المبرر علميا وتربويا ونفسانيا وقوميا هو على إحلال اللغة الأجنبية محل العربية كلغة لتعليم العلوم .

اللغة الإنكليزية هي اليوم حاجة ضرورية يومية للعالم الفرنسي والفرندي والألماني والروسي والياباني والكوري وأي عالم فيزيائي من أي قومية كان - لكن لا الفرنسيون ولا الكوريون ولا اليابانيون ولا الفنلنديون طرحوا مسألة اعتماد اللغة الإنكليزية في تدريس مواد العلوم في بلادهم.

أنظمتنا السياسية والتربوية الممثلة في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم طرحت منذ سنوات شعار :

"العربية لغة العلم عام ٢٠٠٠" لأن التكنولوجيا وعلومها لا تنقل بل توطن . ونخشى أن يكون مصير هذا الشعار كغيره من الشعارات التطيلية التي آن أن نتجاوزها ؛ شكرا لكم

أحمد شفيق الخطيب

عضو الجمع من فلسطين

أدلة جديدة على الأصول العربية لبنية التوشيح والزجل الدورية

للاستاذ الدكتور فيديريكو كورينتي

التي استعملها بعض الأساتذة المحترمين عند التعرض لهذا الموضوع أحياناً، ولكأنهم باعة بضاعة أرخص من العلم الغني عن المنادة ، فضلاً عن المفاصلة والمشاجرة ، ومنهم من تجاوز ذلك إلى اتخاذ حيل غير لائقة بكرامة مراتبهم كحجب المخطوطات المحتوية على الأخبار الثمينة عن زملائهم بقصد الانفراد بمنافعها والتحكم في تفسير مضمونها ، بل بنية إجراء تحقيقها على وجه متفق وميولا غير علمية ، عن طريق تحريف الأصل وعدم التصريح بالتصحیحات المفروضة فيه، إلى طرق أخرى غير مقبولة عادة لدن أهل العلم والصلاح . ومن حسن حظ العلماء العرب أن معظم ذلك إنما جرى في الغرب، فتخلصوا من خوض غمار معركة قل من سلم منها وغنم فيها ، بل قل من رجع عنها بأكثر من خفي حنين .

يرجع ذلك طبعاً إلى أن العلماء العرب، مع طول اطلاعهم على التوشيح

من المعلوم أن النقاش حول كون أصل الشعر الدوري الأندلسي ، أي التوشيح والزجل، عربياً أو أعجمياً ، كان ولا يزال من أهم ميادين الجدل الأدبي في قرننا هذا، إن لم يكن أهمها جميعاً ، وإنما ذلك لسببين رئيسيين ، أحدهما أن الأخبار الموثوق بها عن تلك الأصول في التراث قليلة غامضة، وثانيهما أن هذه القضية متعلقة بقضايا ومصالح أخرى غير علمية بحتة، مما أدى إلى تفسيرات مغرضة، عن وعي أو بغيره ، منبعثة من الحماس القومي ومن الحرص على حل تلك القضية على نحو معين، ولو كان ذلك بغير مقتضى مناهج العلم الصحيح ، ولا غرو ، فإن جميع قضايا الأندلس قلما تخلو من صلة وثيقة بكل من العالمين العربي والعربي ، فلا تكاد تطرح على بساط المناقشة حتى يبادر كلا الطرفين إلى ادعاء حقه في المنازع فيه، وإن كان فيه أخذ ورد ، ولا أدل على ذلك من شدة اللهجة

* ألقى هذا البحث في الجلسة التاسعة يوم الأحد ١٦ من ذي القعدة سنة ١٤١٨هـ الموافق ١٥ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٨ م .

والزجل اللذين سموهما الفنين عادة واختصارًا ، لم يروا فيهما على مر القرون غير استنباط أندلسي طريف كانوا يعدونه من مفاخر أهل الأندلس التي شاركهم فيها المشاركة فيما بعد ، فلم يعلقوا على الأمر مزيدًا من الأهمية ، إذ رأوا المغاربة والمشاركة أجمعهم عربًا ، وحسبوا تراث الجميع تراثًا واحدًا لم يختص ببعضه بعضهم دون بعض ، وهو رأي سديد قد أثبت صحته ما أسفر عنه النقاش في هذه الفترة الأخيرة ، ولا بأس على كل حال بهذا النقاش الذي زادنا يقينًا ببراهين وأدلة ما كنا لنهتدي إليها لولا ما كان من النزاع .

أما العلماء الغربيون فإنهم ، عندما تعرفوا على وجود الفنين في أواخر القرن الماضي واطلعوا على عدد من نماذجهما في بعض المخطوطات المشرقية قبل المغربية ، وكان رائدهم في ذلك الأستاذ الألماني هارتمان ، فسرعان ما لاحظوا الفوارق البنيوية الواقعة بينهما وبين الشعر العربي المقصّد ، فتبادر إلى عقول بعضهم أنها عسى أن ترجع إلى أصلهما

الأندلسي ، وليس هذا بعيدًا عن الصواب كل البعد كما سنبينه فيما يلي ، وظن بعضهم أن مصدر ذلك الاستنباط الغريب إنما هو بقاء تراث شعبي روماني أو أسباني قدم ذي شأن عظيم في أراضى الأندلس ، بحيث إن العوام من الملل الثلاث ، أي المسلمين والنصارى واليهود ، ظلوا يؤلفون ويلحنون ويغنون أغانيهم الشعبية الرومانسية الأثرية بأعاريضها الأصلية وبنيتها الدورية ومواضيعهم الخاصة بهم زعمًا مدة من الزمن بعد غزو العرب ، كشأنهم فيما قبله ، ثم أتى بعض الشعراء الأندلسيين المعجبين بها ، فنسجوا على منوالها الموشحات في مرحلة أولى ، بلغة عربية فصيحة ما عدا خرجاتها العامية أو الأعجمية ، ثم تجاوزوا ذلك المقدار من الجرأة والتحرر من قيود التقاليد في مرحلة ثانية ، فوضعوا الأزجال العامية من أولها إلى آخرها ، وسرى بعد قليل أن هذا التخمين خاطئ .

وانصرمت السنوات وتعاقت الأجيال وتوالى اكتشاف مراجع جديدة للفين عقب تحقيق مخطوطات كثيرة محتوية على

موشحات وأزجال من أمثال " دار الطراز" لابن سناء الملك و " كتاب العاقل الحالي والمرخص الغالي " لصفي الدين الحلبي و " جيش التوشيح " لابن الخطيب ، الخ ، واتخذ العلماء العرب . وبعض المستشرقين معهم موقفا محترسا من هذه الآثار وما فيها من أخبار متناقضة وغوامض لغوية وعروضية في بعض الأحيان ، مزاوئين للبحث في خصائصها الشكلية والمضمونية والجمالية ، معترفين بأن فيها ما يخالف المعتاد في الشعر المقصد مخالفة عرضية غير مطردة ، مع إمكان إرجاع ذلك إلى تطور الأساليب العربية في الأندلس على نحو شاذ نوعا ما بحكم البعد الجغرافي والتاريخي واختلاف الذوق وتأقلمه .

على أن بعضا آخر من المستشرقين ، لاسيما منهم الإسبان مواطني ، لم يقفوا عند حد هذا الاعتراف الناتج عن التواضع المفروض على كل عالم فرضا مظنبوعا على شروط العلم الإنساني والاقتناع بأن اليقين غير حاصل إلا بعد طول التأمل والتدبر بينات كثيرة ،

وأسرعوا ، وفي مقدمتهم الأستاذ خوليان ريبيرا ، إلى القولة الثانية المشار إليها آنفا ، أي ، أن تلك المخالفة ، مع كونها عرضية فقط ، كانت تدل في زعمه على أن الموشح والزجل مشتقان حقا عن شعر رومانسي الأصل كان الأندلسيون قد عربوه تعريبا سطحيا، أي في اللغة فقط ، مع إبقائهم على أعاريضه وأدواره ومواضيعه الرومانسية الأثرية .

ولم يستطع الأستاذ ريبيرا أن يدلي ببرهان قاطع على رأيه هذا ، مع أنه معتمد في مذهبه على ما هو معلوم وثابت بالفعل من أن سكان الأندلس كانوا مزدوجي اللغة يتحدثون بالعربية والأعجمية معا إلى أيام المرابطين ، وعلى مقدمة خاطئة ، وهي أن ازدواج اللغة يترتب عليه ازدواج الثقافة على كل حال، وليس الأمر كذلك ضرورة ، كما هو معروف ، فلم يكن لزعم ريبيرا هذا كبير صدى في أيامه لاطراد شعور أهل العلم بأن أسس نظريته متقلقلة . ولكن المقادير شاءت أن تكتشف الخرجات الأعجمية الملحقة بالموشحات العبرية في

أواخر الأربعينيات على يد الأستاذ غارسيا غوميس ، وهو تلميذ رييرا المخلص لآراء معلمه ولعصبية الغالية ، فجعلها هو أقوى دليل على صحة نظرية أستاذه المهجورة آنذاك ، وبدأ يدعو لها ثانية في سلسلة من الأبحاث ، من تحقيقه لنصوص تلك الخرجات ودراسته لدار الطراز إلى تحقيقه لديوان ابن قزمان الذي أبلى فيه بلاء حسنا وقدم به خدمة كبيرة للعلم بالنسبة إلى المحاولات الشبيهة السابقة له ، باذلا في هذه المبادرة كلها جهدا جسيما بقصد تقطيع جميع الموشحات والأزجال الأندلسية المعروفة عندئذ وفقا لمبادئ الشعر الإسباني . ولم يعدم هذا النشاط الجدير بالإعجاب والتقدير حقا لما اتصف به من الجِد والاجتهاد أثرا ملموسا في الدوائر العلمية العالمية ، إذ تمكن من إقناع الكثيرين من العلماء الغربيين ، وحتى بعض العرب ، بصحة بعض نظريته أو كلها ، إلى درجة أن كبار المتخصصين في هذا الميدان ذهبوا مذهبه أو على الأقل أضربوا عن مناهضته إضرابا تاما أو كادوا ، لما كانت الخرجات الأعجمية إلى

جانب شواهد الازدواجية اللغوية الأندلسية تقارب في أنظار الجميع إثبات الازدواجية الثقافية التي هي أساس تلك النظرية ، وتحملهم على تصديق ما ادعاه غارسيا غوميس من أن للأندلسيين شعرا رومانسيا قائما بذاته موروثا من أسلافهم الجاهليين .

وكان عموم العلماء العرب المعتنين بهذا الأمر أثناء ذلك ما برحوا يعتقدون أن البنية الدورية للفنين إنما تولدت من التسميط ، الذي اخترعه الشعراء المحدثون من أمثال أبي نواس في القرن الثاني ، وأن بنيتهما العروضية هي الأخرى مطورة من الأعاريض الخليلية المتأخرة التي وضعها بعض تلاميذ العلامة البصري في أيامه أو بُعِيدَها ، وكلا الأمرين صحيح ، ولكن هؤلاء العلماء المعاصرين ، وأخص منهم بالذكر المستحق بل الواجب أستاذنا الجليل الجهبذ المرحوم عبد العزيز الأهواني ، لم يستطيعوا أو لم يريدوا أن يقفوا في وجه ذلك التيار الجارف موقفا مكافحا مدافعين عن رأيهم ومضادين لعكسه ، أولا لأن الحجج الفاصلة لم تكن

متوفرة بعد ، إذ كان تقطيع الفنان الخليلي غير خال عن بعض المشاكل العملية ، وثانيًا لأنهم أو معظمهم ، على خلاف خصمهم المنتحس في نعرته القومية ، كانوا يعطفون على الأندلس والإسبان معًا، فلم يثر حفيظتهم زعم وجود ثقافة أعجمية في حوزته إلى جانب الثقافة العربية ، بل بدا ذلك لهم أمرا طبيعيا رحبوا به ولم يحثهم على طلب الأدلة المفندة لهذا الاحتمال البعيد ، مع أنها في تناول اليد ، إذا أمعنا النظر في الحقائق التاريخية المثبتة وفي اختلاف معنى الألفاظ " أعجمي " و " رومني " و " إسباني " ، مع أن في المسألة إمكان إثارة جدال ملي نبا عنه حسن ذوقهم، فنعم علمهم وأدبهم! على أن الأستاذ غارسيا غوميس كان قد شط في الأمر شططا لم يكن من اليسير التغاضي عنه عندما اقترح تقطيع الموشحات بأعاريض غير عربية ، فلم يلبث أن جاءه رد فعل صامت أو صريح من مصادر شتى، لعل أخطره شأننا وأدله على خطئه كتاب المرحوم الدكتور سيد غازي الصادر سنة ١٩٧٩م تحت عنوان

"الموشحات الأندلسية " ، الذي لم ينس فيه بكلمة نقد على نظرية غارسيا غوميس مباشرة ، إلا أنه حدد بني الآيات والأنماط العروضية تحديدا مقنعا لا يدع محلا للشك في أنها هي الصحيحة ، في حين أن بعض المستشرقين أخذوا ينتقدون تلك النظرية انتقادا صريحا فتح باب الشر بين الطرفين الذي انتهى إلى كلام غير لائق بهما وبذكره هنا ، على أنه أنه النيام وأطلع الجميع على أنها مبنية على أسس غير راسخة فشارك في الجدل حول قضية العروض خاصة بحاثون مختلفون أولو نزعات متباينة ، يجوز تقسيمهم إلى طرفين متناقضين تناقضا تاما ، هما أنصار العروض الخليلي البحت ، وأكثرهم من تلاميذ شترن الإنكليز من أمثال ألن جونز وجريير أبو حيدر وثيودور غورتون ، وانضم إليهم الأستاذ شولر الألماني ، وأصحاب النظرية الرومانسية ، رئيسهم غارسيا غوميس مع بعض أتباعه المحليين الأصاغر ممن لا نحتاج إلى تسميتهم ، وانضم إليهم الأستاذ جيمز مونرو الأمريكي ، فكانت اليد العليا للطائفة

الأولى ، على الرغم من عجزهم عن حل جميع مشاكل تقطيع الفنين على أساس العروض الخليلي بصورة كاملة مقنعة نهائية ، إلا أنهم أحلّوا الهزيمة بأصحاب النظرية العروضية الرومانسية بقوة حججهم وأظهروا رِكَتَها، وإن لم يتخل أصحابها عنها ، فإن الرأي العام العلمي العالمي كان قد عاد إلى الصواب وأمسى يرتاب في صحة أقوال جرت العادة بتصديقها قُبِيل ذلك حتى ثبت أنها مجرد أوهام .

وقد أجبرتني الظروف ريث ذلك على الضرب بسهم ونصيب في هذا الجدل ، مكرها لا بطلا ، بسبب اتصال الميدان وعلاقتي الودية إذ ذاك بالأستاذ غارسيا غوميس واهتمامي المعقول بأبحاثه في الزجل، إذ كنت عندئذ منكبا على دراسة خصائص عامية الأندلس . فحاميت عن شيخنا ما قدرت عليه وحسُنَ بي ، إلى أن أدركت حقيقة الأمر، فاضطررتني الصدق إلى مصارحته بأن أكثر الحق مع معارضيه ، فنبذني نبذا أعاد لي الحرية والحق في الإدلاء بآرائي ، فنشرت

إثر ذاك تحقيقا أول لديواني ابن قزمان والششتري وسلسلة من المقالات أثبتُ فيها أن عروض التوشيح والزجل عروض خليلي محور في الأندلس ليطابق كلام أهله المتميز دون الفصحى واللهجات المشرقية باستبدال النبرة بكمية المقاطع الأصلية ، وهي النظرية الثالثة المتوسطة بين النظريتين الآخرين الجابرة لخللهما ، وقد شرحتها بالعربية في مقدمتي لتحقيقي الثاني لديوان ابن قزمان الصادر بالقاهرة سنة ١٩٩٥م .

إلا أن هناك مجالين اثنين مازال أصحاب النظرية الرومانسية يتمنعون بهما مدافعين عنها متذرعين بحجج يزعمون أنها تفت في عضد القائلين بانتساب عروض الفنين إلى الطراز الخليلي ، هما بنيتاهما الموضوعية والدورية ، فقد ادعوا أن مواضيع الخرجات الأعجمية إسبانية الأصل والنوع ، مخالفة لمواضيع الشعر العربي المعهودة، كما قالوا إن تقسيم الموشحات والأزجال المميز إلى أدوار ليس نتيجة لتطور التسميط، بل أسلوبٌ موروث عن الشعر الأعجمي الأثري المفروض وجوده على أساس خرجات

الموشحات نفسها لا غير. أما النقطة الأولى - أي افتراض الخلاف الجوهرى بين مواضيع الشعر العربى المقصد وبين مواضيع الفنين أو بعض أجزائهما كالخرجات ، لاسيما منها الأعجمية ، فإن آخر الأبحاث قد بينت بطلان ذلك الرأى وصحة عكسه، ومن هذا الباب إثبات تلميذى الهولندى الأستاذ أوتو زفارجيس فى أطروحته المقدمة إلى جامعة نيميخن سنة ١٩٩٥م وقد صدرت أخيراً من مطابع دار بريل للنشر ، أن الخرجات الأعجمية لو ترجمت إلى لغة ثالثة لما أمكن فرزها من أخواتها العربية ، وإني قد قصدت نفس هذا الغرض ببحث ألقيته على حضراتكم فى دورة سنة ١٩٩٥م وتحت عنوان "الخرجات المسماة بالأعجمية فى الموشحات الأندلسية " ، خلاصته أن بعض القراءات المعتمدة سابقاً لهذه النصوص فى الغرب كانت تحرف أصولها أو تفرض عليها تفسيراً خاطئاً يحولها عن معانيها الأصلية الدالة على سيطرة الإسلام والعروبة على المجتمع الأندلسي إلى معان مختلفة تغلب عليها

المبالغة فى إيهام أنه مجتمع مزدوج اللغة والثقافة ، متردد بين إسلام المولدين وتعربهم التدريجي ومسيحية الذميين وتمسكهم بالأعجمية ، على عكس الواقع المحرب من تساوي أهل الملتين من حيث سرعة التعرب ، ضربت مثلاً لذلك تحويل عيد الأضحى إلى عيد الفصح ، وصوم رمضان إلى صوم الأربعين ، والسهو عن ذكر سورة يس إلخ ، ذلك إلى جانب تحريفات أخرى تقحم فى تلك الخرجات الأعجمية بعض أساليب الشعر الأوربي كأغاني الصبح والأزواج الغيارى ومفهوم الحب الصالح ، وكل ذلك معدوم فيها ، وإنما خيل إلى محققى هذه النصوص أنه موجود لما ارتأوه من أنها منتمية إلى نموذج ثقافى أوربي ، ولا أقول إن هذا السلوك صادر عن المغالطة وسوء النية فى جميع الأحوال ، بل أرى أكثر ذلك راجعاً إلى الاغترار الناتج عن الحماس الفكرى وعدم التضلع فى اللغة العربية والحضارة الإسلامية.

على أننى كنت وعدتكم فى عنوان هذه المحاضرة بإطلاعكم على أدلة جديدة

على الأصول العربية لبنية التوشيح والزجل الدورية ، وهذا هو الهدف الرئيسي من حديثي إليكم اليوم ، ولم يكن ما سبقه غير تهئية له وتذكار بسوابقه ، وقد حان وقت التصدي لقلب المسألة . وذلك أن موالي نظرية الأصل الرومانسي لهذين الفنين ما انفكوا متشبثين بإنكار تولدهما من التسميط ، مع كونه تعليلا معقولا جدا ، بحجة أن صيغة هذا أ أ هـ — ، في حين أن صيغة الموشح الأصلية هـ — هـ أ أ أ هـ هـ ، وصيغة الزجل الأصلية هـ — هـ أ أ أ هـ هـ ، ومن الجلي أن الفرق بينها جميعا يسير منحصر في مضاعفة القفل وإسباق البيت اختياريا بمطلع مشاكل في حالة الموشح خاصة ، وهذا ضروري في الزجل الذي لا يكاد يكون أقرع إلا في حالات نادرة جدا أو متأخرة ، مع عدم مضاعفة قفله على عكس الموشح . ولكنهم بالغوا في أهمية هذه الفروق ، فجعلوها مانعا حتميا دون إمكان تولد بعض هذه الصيغ عن بعض ، علما منهم بأن الاعتراف بذلك مزيل لأهم أسس النظرية الرومانسية ، وأصروا

على المطالبة بشرح كاف شاف لأسباب وقوع ذلك التطور وكيفيته ، وهذا ما لم يكن حتى الآن في متناول اليد . ولكن الحق يتجلى ، ولو بعد حين ، ومن غريب الصدف ، أو بالأحرى من نتائج الاجتهاد والمثابرة اللذين يجب الاقرار بهما لمعظم المعتنين بهذه القضية ، أن الأستاذ مونرو الموالي للنظرية الرومانسية ، أثبت أخيرا أن خرجات كثيرة لموشحات مشهورة مقتبسة من أزجال شهيرة هي الأخرى ، فاستنتج من ذلك ، وهو برهان قاطع لا ينكر ، أن الزجل أقدم حتما من التوشيح ، على عكس الرأي السائد سابقا لدى العلماء من أنه مجرد تقليد عامي له . ولكن الأستاذ مونرو لم يهتد ولم يهتد غيره حتى الآن إلى أن أقدم الأزجال التي اقتبسها الجيل الأول من الوشاحين خرجات لموشحاتهم عند اختراعها ، أي عند تطويرها من المسمط ، لم تكن دورية البنية بعد كالأزجال المعهودة ، بل كانت أبسط من ذلك عبارة عن بيتين مقفيين فقط كالدوبيت المشرقي ، والغريب في

القصّة أن السواهد بذلك كانت أمام عيوننا منذ زمن طويل في مقدمة ابن قزمان لديوانه التي تحتوي ما لا يقل عن ستة أزجال من هذا الطراز البدائي ، كنا نخالها ، لاقتناعنا بأن الزجل لا يكون إلا دوريا دائما ، قطع أزجال عادية ذكرها ابن قزمان مختصرة ، وليس الأمر كذلك ، أولا لأنه يذكر زجلا آخر دوريا في نفس الموطن يثبت أنه لم يقصد الاختصار هنا ، وثانيا لأن لدينا زجلا آخر من نفس هذا الطراز البدائي راجعا إلى سنة ٣٠٠ ، وقد عثرت عليه أثناء تحقيقي للمجلد الخامس من المقتبس لابن حيان .

فيتين من ذلك كله :

(١) أن الزجل القديم كان عبارة عن دوبيت يقوله الشعب بالعامية أو بالأعجمية ببنية عروضية خليلية محورة من القرن الثالث فصاعداً على الأقل ، كما يثبته تقطيع ذلك الزجل الراجع إلى سنة ٣٠٠ .

(٢) أن ابن بسام قال الحق ، وأفادنا خبرا كان يكفيننا لمعرفة حقيقة هذا الأمر لو لم تتسلط على عقولنا الهواجس ،

عندما قال عن مخترع التوشيح محمد ابن محمود القبري الضريز إنه " كان يصنعها على أشطار الأشعار غير أن أكثرها على الأعاريض المهمة غير المستعملة ، يأخذ اللفظ العامي والعجمي ويسميه المركز ويضع عليه الموشحة " ، وفي كلامه هذا تلخيص عجيب قد أسىء فهمه مع إفادة كاملة للعناصر المميزة للتوشيح ، أي أن عروضه خليلي ، فإن الأعاريض المهمة جزء من العروض العربي ، وإن قل استعمالها ، كما بينه المرحوم الأستاذ سيد غازي في كتابه " في أصول التوشيح " (ص ٦٥) ، وأن المركز أو الخرجة كلام عامي أو أعجمي موزون بالعروض الخليلي ، وإلا فكيف أمكن بناء الموشح عليه ، إلا أنه لم يسمه زجلا لأن هذا المصطلح كان قد أصبح مخصصا في أيامه للزجل الدوري المعهود الذي نشأ بعد التوشيح مقلدا لمبادئ بنيته الدورية ، عندما أراد بعض الأدباء المولعين بفنون الشعب من أمثال ابن

قزمان أن يُحَلَّوْهُ بِحِلْيَ التوشيح مع الحفاظ على ملاحه لغته العامية ، فجعلوه مسمطا واتخذوا له مطلقا في مرحلة أولى ، ثم ضاعفوا أقفاله على غرار أقفال الموشح ، وهو الزجل الموشح المحدث بعد الزجل الأصلي ، وربما أدخلوا فيه التضمين ، أي القوافي الباطنة في الأقفال ، فأخيرا التضمير ، أي أمثالها في الأغصان ، وسائر ما نبجده من المحليات الشكلية في التوشيح من ترئيس وتذييل ، إلخ .

والآن فقد اتضح لنا ما كنا نجعله من قبل وهو سبب الاختلاف في صيغتي الموشح والزجل مع تولدهما معا من المسمط ، فمن البديهي أن مخترعي التوشيح ، وهم شعراء مثقفون مولعون بالأدب الشعبي ، إنما قصدوا أن يزيدوا على ظرافة المسمط المتنوع القوافي بعض ملح كلام العوام ، فاستبدلوا بمسمط الدور الأخير زجلا من الطراز القديم البدائي المتكون من بيتين مقفيين فقط على سبيل التصريح ، فاضطروا لأجل التناسب إلى مضاعفة الأسماط الباقية كذلك ،

وربما أسبقوها بمطلع مشاكل ، فتولد من ذلك الموشح الأصلي بمطلعه الاختياري وأدواره المتكونة من ثلاثة أغصان وسمطين أي قفلين ، وبخرجته العامية أو الأعجمية بدلا منهما في الدور الأخير ، ثم إن بعضهم قطعوا شوطا جديدا وهموا باستنباط شعر موشح عامي كله ، فعادوا يلتفتون إلى التسميط بالطبع لكونه مثال الدورية الأصلي في الشعر العربي ، غير أنهم في هذه المرة لم يحتاجوا إلى استبدال شيء مليح من أقوال العوام بمسمط من أسمائهم ، إذ كانوا قد جعلوا الكلام كله عاميا على غرار الزجل القديم الشعبي الأصل ، وإنما صدروه بمطلع ذي سمطين شأن الموشح ، الذي كان قد أصبح أسوة مقتفاة ومثالا مرموقا ذا تأثير في جميع أصناف الشعر الدوري . ومن الجدير بالملاحظة أنهم ما كادوا يستغنون عن المطلع في الزجل ، على خلاف الحال في الموشح الأقرع ، وقد بان سبب ذلك الآن أيضا ، فإن الزجل الأقرع لا فرق بينه وبين المسمط ما عدا اللغة ، ومن خصائص هذه الطائفة من الشعراء المحدثين

المغرمين بالفنون الشعبية الولوع بجميع أصناف التجديد والإبداع شكلاً ومضموناً بمقدار كرههم للتقليد والاتباع في هذين البابين ، وهذا بعينه ما حملهم أيضاً على الكثير من التعديلات في الأعاريز الخليلية وعلى تعقيد البنية الدورية إلى درجة بعيدة، كما هو مشهور وجاء ذكره في جميع المؤلفين من أمثال ابن سناء الملك والحلي ، وكما ينعكس فيما بلغنا من آثار الفنين .

والآن نفهم أيضاً لماذا يسمى ابن قزمان الزجل موشحاً في بعض مواطن ديوانه ، مع أنه إمام الزجالين في أيامه وواضع الكثير من قوانين الزجل المحدثه ، وإن لم يكن مخترعه فقد كفاه ذلك أن ينسب إليه ، ولا شك في أنه كان أخرى من يعلم الفرق بينه وبين الموشح ، وبيان ذلك أن العوام المتعودين على الأزجال القديمة البدائية غير الدورية عندما وقفوا على أول الأزجال الدورية المحدثه أطلقوا عليها اسم الموشحات لتقارب نمطيهما ، فجرى هذا الاستعمال على ألسنتهم فمنها أخذه ابن قزمان المحاكي لكلام العوام في

أزجاله ، ولو عرف الخطأ فيه ، ولا يمت هذا بصلة إلى ما اتفق في أيامه وبعده من أن بعض الزجالين لم يستطيعوا أو لم يريدوا أن يتبعوا قاعدة ابن قزمان في عدم جواز اختلاط العامية بالفصحى في الزجل، فوضعوا أشعاراً شأنها هذا تسمت بالمزيم ، وأشهرهم الششتري الذي لا يكاد يسلم شعره من هذه الصفة .

ويظهر على أساس ما تقدم أن تاريخ العروض العربي في الأندلس منقسم إلى فترات متتالية كما يلي :

(١) في الفترة من الفتح إلى أيام الأمير عبد الرحمن الأوسط ، أي ، النصف الأول من القرن الثالث بالتقريب ، قد سقط العروض عن الاستعمال وضاع علمه لدى الأندلسيين ، اللهم إلا من رحل منهم إلى المشرق وتعلمه فيه ، لتغير مقاييس لغتهم وفقدانها للإيقاع الكمي المميز للعربية المشرقية الذي يعتمد عليه العروض الخليلي ، وترتب على ذلك زوال قول الشعر عن ديارهم ، إلا ما قل ونذر منه ، واشتعارهم بذلك العجز والجهل عند

المشاركة معروف، فلذلك ما نسب عباس بن فرناس إلى الجنون عندما حاول أن يشرح العروض لأهل بلده إثر رجوعه من العراق .

(٢) عادت المياه إلى مجاريها بُعيد ذلك لعناية بني أمية القرطبيين بالثقافة العربية ورعايتهم للغة والأدب ، فبدأ الشعر يروج ويزدهر ثانية ، ومعنى هذا الواقع التاريخي والمثبت من وجهة تحليله اللغوي الفونولوجي أن العروضيين والشعراء كانوا قد اكتشفوا طريقة تسمح لأذان الناس بسماع إيقاع الأعاريض الخيلية ، ونظريتي في ذلك أن الوسيلة المتخذة لتمكين ذلك إنما كانت إقامة النبرة مقام كمية المقاطع ، كما أشرت إليه أعلاه ، وقد برهنت على ذلك في مؤلفاتي حول اللهجة لأندلسية وعروض الفنين .

(٣) عمت البلوى بعد ذلك بالشعر الموزون جميع طبقات المجتمع الأندلسي، من الخواص المجيدين للفصحى الذين وضعوا دواوين قصائد

مأثورة ، إلى العوام الذين لم يعرفوا غير العامة أو الأعجمية ، فوضعوا بهما تلك الأزجال البدائية المذكورة آنفا المنعكسة في الخمرجات واستودعوها رصيدهم من العواطف والعبر ، ومنها ولا شك ما رجع إلى أسلافهم الجاهليين من العجم والعرب والبربر والقوط واليهود إلخ، إلا أنها قاطبة قد صارت موزونة ومقفاة طبقا لقوانين الشعر العربي المجلوب من الشرق ، مع تحوير العروض على الطريقة المحلية الموصوفة فيما سبق .

(٤) اهتم بعض الأدباء الأندلسيين خلال ذلك بكل ما أحدثه الشعراء المشرقيون الذين كان لهم نفوذ عظيم في أدب المغرب ، من عناية بتجديد الشعر شكلا ومضمونا ، وبفنون الشعب الشعرية ، فمن المفروض أن إحدى نتائج هذا النشاط ، وهو التسميط الذي راج رواجاً لا بأس به في المشرق ، استعمل في الأندلس أيضاً، كما يثبته إكثار الأدباء اليهود الأندلسيين من استعماله في القرن

الرابع عند أول إحيائهم للأدب
العبري ، وهم يقلدون نماذج حضارة
العرب في أدنى تفاصيلها عندئذ، وإن
لم ترو لنا مسمطات عربية أندلسية
لهذا العصر ، فلعل ذلك راجع إلى أن
جامعي المنتخبات الأدبية أحجموا عن
إدراجها فيها لتطرف أذواقهم
واعتبارها " خارجة عن أغراض
الأدب العربي " ، على حد قول ابن
بسام في الموشحات ، أو أن اختراع
التوشيح المبكر ربما أدى إلى إهمال
سريع وتام للتسميط ومحا أثره قبل
اكتماله وازدهاره ، مع أنه كان بكل
تأكيد الحجر الأساسي الذي بنى
أصحاب التوشيح اختراعهم عليه
عندما ركبوا عليه الزجل القديم ، كما
سبق شرحه .

(هـ) أقبل بعض أولئك الشعراء المحدثين
المولعين بأدب العوام في مرحلة ثانية
على التسميط والزجل القديم من
جديد، إلا أنهم لم يدعوا في أولهما في
هذه المرة أي لفظ فصيح ، بل جعلوه
فنا كل كلامه عامي ، مع مراعاته

الدائمة للعروض المحور وللبنية الدورية
المميزة للتسميط فبالتالي للموشح ،
فنشأ من ذلك الزجل المعهود ، ثم
الزجل الموشح المقلد لصيغة التوشيح
تقليدا تاما ، فتجح كلاهما مثل نجاح
التوشيح والشعر المقصد سابقا ،
وراجت وازدهرت جميعا في الأندلس
مكرمة معززة مطلوبة لدى الخاصة
والعامية إلى نهاية أيامه ، وأما انتشار
الفنين إلى سائر العالم العربي أيضا فهي
قصة مشهورة .

زملائي الأعزاء ، أقول لكم ، وهذا
ختام حديثي إليكم اليوم ، إنني لست من
السذاجة بحيث أظن أن الجدل حول
أصول الشعر الدوري الأندلسي قد انتهى ،
إذ أعلم أن العناصر الفكرية المتصلة به لا
تزال عاملة ، ولست أيضا من الإعجاب
بحيث أتمنى أن ينقطع نقاش هذا الموضوع ،
لأنني أومن بأن في النقاش مافع شتى
وأضواء كثيرة ، ولكنني ما كنت صريحا
لو أخفيت تأكدي الآن ولأول مرة بعد
زمن طويل من أن هذا التفسير لمراحل
نشوء الشعر الدوري الأندلسي وعناصر

تكوينه والعوامل الفعالة في تطويره أقرب إلى الفهم ، فبالإتالي في ظني أقرب من الصحة ، من أية نظرية أخرى سابقة - له بنفس الصدد . وإن كنت قد أصبت الحق، فإن الفضل أو جزءا كبيرا منه لمن سبقني وأرشدني برشاده أو وعظني بضلاله، وجزءا آخر كبيرا جدا لأساتذتي المصريين، عبد العزيز الأهواني وحسين مؤنس ومحمود مكي وغيرهم ، الذين ألفيتهم في إسبانيا عند نعومة أظفاري محبين ومحترمين للثقافتين العربية والإسبانية

معا مقسطين بينهما ، بينما كان آخرون يتعصبون ويظلمون خصماءهم وأنفسهم، فحظيت أنا هكذا بمن علمني الإنصاف والحياد في القضايا العلمية ، وأن لا ولاء فيها إلا للحق . وإني اليوم لمعتز بالتلمذ عليهم ، شاكر لهم على تلقينهم لي بعض علمهم وخلقهم ، وخصوصا على هبة اللغة العربية الثمينة التي أسدوها إليّ وأثروني بها، والحمد لله الذي جمعني بهم ، ولا توفيق بدونه .

فيدريكو كورينتي

عضو المجمع المراسل من إسبانيا



مجمع اللغة العربية بالقاهرة
١٥ شارع عزيز أباظة
(المعهد السويسرى سابقا) بالزمالك